

مصرع فنان

ترجمة
أحمد حسن

الحرية
للنشر والتوزيع

| | |
|----------------|-----------------------------------|
| اسم الكتاب | مصرع فنّان |
| ترجمة | أحمد حسن |
| الناشر | الحرية للنشر والتوزيع |
| | ٣ ميدان عرابى وسط البلد - القاهرة |
| | ت: ٢٦١٥٦٤٦ - ٥٧٤٥٦٧٩ |
| | م: ١٢٢٨٧٧٩٢١ |
| رقم الإيداع | ٢٠٠٧/٤٠٢٩ |
| الترقيم الدولى | 206 - 23 - 85 - 36 |

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الحرية
3 ميدان عرابى وسط البلد - القاهرة
للنشر والتوزيع
0123877921 - 5745679

مأساة في حياتها

نظر هيركيول بوارو باهتمام وتمعن
في الشابة التي دخلت حجرته.

لم يكن هناك شيء مميز في الخطاب الذي أرسلته له. كان مجرد طلب عادي لتجديد موعد دون التويه بما يكمن خلف هذا التناقض. كان الخطاب كذلك قصيرا، عمليا استشف بوارو من خطه الثابت أن كارلا ليمار شانت شابه في مقتبل العمر.

هاهى أمامه بنفسها، شابة طويلة ممشوقة القوام تخطت العشرين بقليل، من ذلك النوع من النساء اللاتي لا يد للمرء أن ينظر إليها مرتين، إلى ثيابها الأنيقة، فقد كانت ترتدى معطفا غاليا حوله فراء فاخر. أما رأسها فقد بدا جميلا فوق كتفها بجبهتها العريضة وأنفها الدقيق وذقنها التي توحى بالإصرار، وعلى العموم كانت توحى بالحيوية أكثر مما توحى بالجمال، حيوية فرضت نفسها حالما دخلت.

وشعر هيركول بوارو بالشباب والحيوية يعودان إليه وهو الذي كان قبل دخولها يشعر بالوهن والضعف. تقدم يحيها وهو يشعر بعينيها تتفحصانه بدقة فحصى شاملا.

جلست في مقعد وقبلت السيارة التي قدمها إليها وظلت تدخنها

دقيقة أو اثنتين، وهي تتمعن فيه إلى أن قال بوارو بركة:

- نعم... لا بد من اتخاذ القرار الآن، أليس كذلك؟

جفت وقالت: معذرة!

كان صوتها جذابا يتميز بنبرة جافة محببة، قال بوارو:

- إنك تحزمين أمرك... أليس كذلك؟ تقررين ما إذا كنت مدعيا أم أنتى الرجل الذى تحتاجين.

- نعم إنه شيء من هذا القبيل، ذلك لأنك يا مستر بوارو لا تبدو فى الصورة التى رسمتها لك فى خيالى.

- وأنا عجوز، أليس كذلك، أكبر سنا مما كنت تتخيلين.

- نعم هذا حقيقى، إننى صريحة كما ترى، إننى أريد - يجب أن استخدم الأحسن.

- تقى من ذلك، أنتى أحسنهم.

- إنك لست متواضعا، على أى حال إنى أميل إلى أن أثق فى كلمتك.

- إن المرء كما تعلمين لا يستخدم عضلاته فقط...

إننى لست فى حاجة للانحناء لقياس آثار الأقدام والتقاط بقايا السجائر وفحص الحشائش التى داستها الأقدام يكفينى فقط أن أجلس فى مقعدى وأفكر، إن رأسى..

وهنا ربت بوارو على رأسه بيده وأردف: هذه هى التى تعمل.

قالت كارلا ليمارشانت، أعرف هذا ومن أجله أتيت إليك، إننى

أريدك أن تقوم بعمل خارق.

نظر إليها هيركيول بوارو مشجعا فاستطردت قائلة:

- اسمى ليس كارلا بل كارولين على اسم أمى، ورغم أن الجميع يعرفوننى باسم ليمارشانت فإن اسم أبى هو كريل.

قطب هيركيول بوارو ما بين حاجبيه لحظة ثم غمغم:

- كريل... إننى أتذكر.

- كان أبى رساما، رسام له شهرة ما وبعض الناس يقولون أنه كان رساما عظيما، وهذا هو رأى فيه أيضا.

- تقصدين امياس كريل؟

- نعم وأمى - كارولين كريل - حوكت بسبب قتلها له.

- آه إننى أتذكر الآن ولكن بغموض فقد كنت فى الخارج وقتئذ وكان هذا منذ زمن بعيد.

- منذ ستة عشر عاما.

شحب وجهها وظهر بريق غامض فى عينيها واستطردت:

- هل تفهم؟ لقد حوكت ووجدت مذنبية... لكنها لم تشنق لأنهم شعروا بأن هناك ظروفها مخففة فاستبدل الحكم إلى الأشغال الشاقة مدى الحياة، لكنها ماتت بعد عام واحد من المحاكمة. هل تفهم؟ لقد انتهى كل شيء، انتهى كل شيء وانقضى.

- وماذا بعد؟

ضغطت من تدعى كارلا ليمارشانت بيدها فى عصبية ثم بدأت تقول ببطء ولكن بتأكيد على كل حرف تنطق به.

- علك أن تفهم بالضبط دورى أنا فى هذا كله.

كان سننى خمسة أعوام عندما حدث هذا. كنت أصغر من أن أعرف شيئاً بالتحديد. إننى أتذكر أبى وأمى بالطبع وأتذكر أيضاً أننى تركت منزلنا فجأة، فقد أخذنى أحدهم إلى الريف. أتذكر هناك خنازير وامرأة فلاح طيبة والجميع يعاملوننى برقة شديدة، وأتذكر أكثر من كل هذا كيف كانوا ينظرون إلى نظرة غريبة محموعة. عرفت بالطبع كما يعرف الأطفال أن هناك فى الأمر شيئاً لكننى لم أعرف ما هو.

توقفت ريثما تستطرد أنفاسها ثم أردفت قائلة:

- ثم ذهبت فى رحلة مثيرة على ظهر سفينة مدة بضعة أيام إلى أن وجدت نفسى فى كندا وفى استقبال عمى سيمون، ثم عشت فى مونتريال معه ومع عمتى لويز وكانوا يجيبوننى عندما أسألهم عن أبى وأمى أنهما سيحضران سريعا، وتدرجيا بدأت أنسى كل شئ عنهما، ودخل فى روعى دون أن يقول لى أحد أنهما توفيا. لقد كنت سعيدة تماما فى كندا، فمعاملة عمى سيمون وعمتى لويز رائعة، ثم ذهبت إلى المدرسة حيث كان لى عديد من الأصدقاء، إلى أن نسيت أيضا تماما أن لى اسما آخر غير ليمارشانت قالت عمتى لويز أن هذا هو اسمى فى كندا وبدا لى هذا شيئاً معقولا حتى نسيت أنه كان لى اسما آخر يوما ما.

انتفضت الفتاة فى جلستها وقد رفعت ذقنها فى تحد.

- انظر إلى، لا بد أنك تقول أنني فتاة ليس هناك ما يعكس صفو حياتها فأنا غنية وصحتي ممتازة وشكلي لا بأس به وأستطيع أن أتمتع بحياتي، وفي سن العشرين فيأبني لا أتمنى أن أتبادل موقعي مع أية فتاة أخرى - لكنني بدأت أتساءل عن أمي وأبي، من كانا - وماذا فعلا؟ وعلى أن أصل إلى الحقيقة... ولقد أخبروني بالحقيقة عندما بلغت الحادية والعشرين وذلك لسببين: أولهما أنني استلمت الثروة الخاصة بي وثانيهما أنني اطلمت على الخطاب، ذلك الذي كتبت له أمي قبل أن تموت.

تغير التعبير الذي ارتسم على وجهها وظهرت الكتابة في عينيها واستطردت قائلة:

- وعندئذ عرفت الحقيقة، عرفت أن أمي أدينبت لارتكابها جريمة قتل. كان هذا فظيما وهناك شيء آخر لابد أن أضفي به إليك وهو أنني أزمع الزواج، لقد ظلوا يلحون على أن أنتظر حتى يبلغ عمري الحادية والعشرين، والآن عرفت السبب في ذلك.

تحرك بوارو في مقعده وتكلم للمرة الأولى - قال:

- وماذا كان رد فعل خطيبك؟

- جون؟ إنه لم يهتم. قال أن ذلك ليس له تأثير عليه وأنتى وهو لسنا إلا كارلا وجون وأن الماضى ليس له اعتبار... إننا مازلنا مخطوبين لكن الأمر - كما تعرف له أهميته. يهمنى كما يهم جون أيضا.. إنه ليس الماضى الذى يهمنى بل المستقبل... إننا نريد أن ننجب أطفالا. كلانا يريد إنجاب أطفالا ولسنا نريد أن نرقب أطفالنا يكبرون وهم

خائفون من شيء ما .

- إلا تدركين أنه بين أجداد كل شخص منا من ارتكب عملا عنيفا شريرا؟
- إنك لا تفهم ما أعنيه: في تلك الحالات لا يعرف المرء شيئا عن هذا العنف، لكننا نعرف وأحيانا يوجه شخص إلى جون نظرة خاطفة سريعة لها معناها . افترض أننا تزوجنا وتشاجرنا ثم رأيته يوجه إلى مثل هذه النظرة التي تشير إلى الماضي؟

- كيف قتل أباك؟

جاء صوت كارلا واضحا قاطعا وهي تقول:

- لقد وضع له السم.

وساد الصمت برهة إلى أن قالت الفتاة بلهجة عملية.

- شكرا لك لأنك رجل معقول. إنك تدرك أن الأمر له أهميته -
ولن تفعل ما يفعله الآخرون من إلقاء كلمات المواساة والمعطف.

- إنني أفهم ما هناك جيدا . ما لا أفهمه هو ما تطلبينه مني.

- أريد أن أتزوج من جون! وأن أقصد الزواج منه! وأتمنى أن ننجب ولدين وينتجنا على الأقل وأنت الذي سوف تجعل ذلك ممكنا.

- هل تقصدين أن أتحدث إلى خطيبك؟ إن ذلك سيكون جنونا. إن ما تقترحينه شيء مختلف تماما. أخبريني بما يدور في ذهنك.

- اسمع يا مستر بوارو. افهم ما أقوله لك جيدا، إنني استأجر خدماتك للبحث في قضية قتل.

- هل تقصدين.....؟

- نعم، هذا ما أقصده جريمة القتل هي جريمة قتل سواء حدثت أمس أو منذ ستة عشر عاما .

- ولكن يا عزيزتى الشابة.

- انتظر يا مستر بوارو، إنك لم تستمع إلى كل ما لدى بعد . هناك نقطة هامة للغاية...

- نعم، وما هي؟

- إن أمى بريئة.

حك هركيول بوارو أنفه وغمغم قائلا: حسنا، طبعاً.. إننى أقدر...

- إن هذا ليس إحساسا . هاك خطابها . لقد تركته لى قبل أن تموت كان عليهم أن يعطوه لى عندما أبلغ الحادية والعشرين... لقد تركته لى لسبب واحد وهو أن أكون واثقة تماما من براءتها . هذا كل ما يحتويه الخطاب .

نظر هركيول بوارو مفكرا فى الوجه الملىء بالحيوية الذى يحدق فيه بتطلع ثم قال ببطء: إن هذا...

- كلا، إن أمى ليست من هذا النوع - قد تظن أن تلك ما هي إلا كذبة - كذبة عاطفية! اسمع يا مستر بوارو: هناك أشياء يعرفها الأطفال جيدا . إننى أتذكر أمى - ذكرى باهتة بالطبع - لكننى أتذكر جيدا أى نوع من النساء كانت إنها لم تكن من ذلك النوع الذى يلقي بالأكاذيب فإذا ما ساءها شيء منك فإنها تصارحك فورا . كان قول الحقيقة شيئا طبيعيا فيها . إننى لم أكن... لا أتذكر... أننى كنت شفقة بها إلى حد كبير، لكننى كنت أثق فيها إلى أقصى حد، ومازلت

أثقي فيها. فإذا ما قالت أنها لم تقتل أبي فإن هذا يعني أنها لم تقتله، إنها لن تكن من ذلك النوع من الناس الذي يكتب شيئاً كاذباً وهو على شفا الموت.

أخنى هيركيول بوارو رأسه ببطء في حين استطردت كارلا قائلة:

- ولهذا فإنني على ما يرام فيما يختص بزواجي من جون، لكنه ليس كذلك، فهو يشعر أنه من الطبيعي أن أظن أن أمي كانت بريئة ولا بد لهذا الأمر أن يتجلى يا مستر بوارو وسوف تقوم أنت بهذا العمل.
- لنفرض أن ما تقوليته صحيحاً يا آنستي، لكن ستة عشر عاماً قد مضت.

- أوه طبعاً إن الأمر سيكون عسيراً ولذلك فليس هناك من يقوم به سواك.
لح بریق خاطف في عيني هيركيول بوارو وقال: - إنك تمدحيني بأكثر مما أستحق.

لقد سمعت منك وعن الأشياء التي قمت بها والأسلوب الذي اتبعته. إن التحليل النفسي للأمور هو ما يهمك. أليس كذلك. حسناً... إن هذا التحليل النفسي لم يتغير مع الزمن، الأشياء المادية الملموسة فقط هي التي ذهبت. أعقاب السجائر وقع الخطوات..... إلخ إن هذه لم تعد متاحة الآن، لكنك تستطيع أن تتأمل كل حقائق القضية وربما التحدث إلى الأشخاص الذين كانوا موجودين وقتها.. أنهم لازالوا جميعاً أحياء، وعندئذ كما تقول تستطيع أن تلقى برأسك إلى الخلف بمقعدك وتفكر وتخرج بما حدث بالفعل.

نهض هيركيول بوارو على قدميه وربت باصبعه على شاربه وقال:

- إن ما تقولينه شرف لى يا آنستى وسوف لا أضيع ثقتك فى.
سوف أبحث قضية القتل هذه بأن أفحص الحوادث التى وقعت منذ
سنة عشر عاما مضت حتى أكتشف الحقيقة.
نهضت كارلا وعيناها تلمعان ولكنها لم تفه سوى بكلمة واحدة.
(حسنًا) أما هيركيول بوارو فقد رفع أصبعه محذرا وقال:
- هناك نقطة صغيرة. أننى سوف أكتشف الحقيقة ومن ثم لا
أضمن لك براءة أمك فإذا ما كانت مذنبه فما الذى يحدث عندئذ.
رفعت كارلا رأسها باعتزاز وقالت:
- إننى ابتها وأنا أريد الحقيقة.
- إلى الأمام إذن... كلا... ما يجب أن أقوله أو على العكس من
ذلك ... إلى الخلف.



محامي الدفاع

قال سير مونتاجو ديبلتش:

- هل تسألني إذا كنت أتذكر قضية كريل؟ طبعاً أتذكرها جيداً فقد كانت امرأة ذات جاذبية خاصة لكنها لم تكن تسيطر على عواطفها - مختلة العقل قليلاً، ولكن ما الذي يجعلك تسألني عن هذه القضية؟

قال ذلك وهو يتطلع إلى بوارو الذي أجاب قائلاً: إنني مهتم بها.

كشف ديبلتش عن أسنانه فيما اصططح الناس على تسميته (بابتسامه) الذي كان لها تأثير قوى على الشهود وقال:

- إن ذلك لا يوحى بالمهارة يا سيدى العزيز حين الحكم ببراءة المرأة.. إنني في ذلك الوقت لم أكن طبعاً على نفس الخبرة التي أنا بها الآن لكنني على أية حال فعلت كل ما كان يمكن لبشر أن يفعله. لكنك لا تستطيع أن تفعل الكثير دون معاون. لقد استطعت أن أحول الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة. على أساس عنصر الاستفزاز.

واستلقى في مقعده ماداً ساقيه الطويلتين واستطرد:

- لو أنها أطلقت عليه الرصاص أو قتلته بسكين لكان الأمر أسهل، ولكن السم... إنك لا تستطيع أن تلعب بهذه النقطة كما تعرف.

- وماذا كانت نقطة الدفاع الرئيسية؟

كان بوارو قد عرف ذلك من قبل بقراءته الصحف التي صدرت وقت الحادث لكنه لم يجد ضررا في أن يقوم بدور الجاهل تماما بالنسبة لسير مونتاغو الذي قال:

- الانتحار. الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تلجأ إليه. لكن كريل لم يكن من ذلك النوع من البشر. إنك لم تلتق به مطلقا كما أعتقد؟ كلا! ... حسنا... لقد كان من النوع الملىء بالحيوية والنشاط المولع بالنساء المقبل على الخمر..... إلخ هذا الرجل، ذلك النوع من الرجال الذي يستمتع بملذاته إلى النهاية. إنك لا تستطيع أن تقنع المحلفين بأن رجلا من هذا النوع يستطيع أن ينهى حياته بنفسه في هدوء. إن ذلك ليس مقنعا. كلا لقد كنت أخشى من البداية أنني سأكون الخاسر لا محالة أما هي فلم تساعدني البتة. لم تكن هناك أية مقاومة في داخلها ومن ثم كان للمحلفين أن يستنتجوا ما يريدون.

- هل ذلك ما قصده وأنت تقول أنك لم تجد أية معلومات منها؟

- كلية يا صديقي العزيز. أننا لسنا سحرة كما تعرف. إن نصف المعركة تتركز في الانطباع الذي يسجله المتهم على المحلفين. ولقد رأيت المرة بعد الأخرى المحلفين يصدرون رأيا مخالفا لرأي القاضى تماما ولقد سمعت محلفين كثيرين في قضيتها أحدهم يقول (إن كريل لم يقتل نفسه مطلقا.) وآخر يعلق قائلا: إن كارولين هي التي فعلتها في حين أن كارولين كريل لم تقاوم مطلقا.

- وما كان السبب في ذلك؟

هز سير مونتاجو كتفيه وقال:

- لا تسألني، لقد كانت بالطبع مغرمة بزوجها وقد تحطمت تماما عندما أدركت خطورة ما فعلته وأنا لا أعتقد مطلقا أنها تغلبت على الصدمة في أي وقت.

- ومن ثم فهي في رأيك مذنبة.

بدا ديبلتش دهشا وهو يقول:

- اوه حسنا... لقد ظننت أننا نتكلم في أمر انتهى النقاش فيه.

- هل اعترفت في أي وقت بأنها كانت مذنبة؟

بدا ديبلتش وجلا وهو يقول:

- كلا بالطبع إن لنا كما تعرف معاييرنا، والبراءة يستكشفها الناس بإحساسهم لو أنك مهتم إلى هذا الحد فإنه من سوء حظك أنك لن تستطيع العثور على ما يهيو الذي كان على رأس محاميها وهو الذي وكلني في القضية. كان باستطاعة الرجل العجوز أن يخبرك بأكثر مما أستطيعه أنا ولكنه لحق بمن رحلوا عن هذا العالم. هناك بالطبع جورج مايهيو ولكنه كان صبيّا عندئذ.

- نعم أعرف ذلك من حسن حظي أنك تتذكر كل هذا القدر. إن لك ذاكرة تحسد عليها.

بدا السرور على ديبلتش وغمغم قائلا:

- اوه حسنا. إن المرء يتذكر رؤوس المواضيع كما تعرف، خاصة عندما يتعلق الأمر بجريمة عقوبتها الإعدام، ذلك بالإضافة إلى أن

قضية كريل كان لها دوى شديد فى الصحافة. هؤلاء المهتمون بمسائل الجنس، ذلك لأن الفتاة التى كانت سببا فى الجريمة كانت على قدر كبير من الجمال.

- أرجو أن تسامحنى إذا كنت ملحا ولكن ألم يساورك أى شك فيما إذا كانت كارولين كريل مذنبية أم لا؟

هز ديبلتتش كتفيه وقال: بصراحة لا أظن أن هناك شكاً فى هذا... أوه نعم لقد فعلتها بنفسها.

- وماذا كان الدليل ضدها؟

- دليل يدينها بالتأكيد. فأولا وقبل كل شيء كان هناك الدافع، فإنها وكريل كانا يعيشان مثل القط والفأر سنوات عديدة.. مشاجرات لا تنتهى، ذلك لأنه كان يقع فى غرام امرأة بعد الأخرى. لم يستطع أن يصد نفسه عن ذلك. أما كارولين فقد تحملت ذلك بصبر لأنه كان رساما من الدرجة الأولى بالفعل. إنك تعرف بالطبع أن لوحاته قد ارتفعت أسعارها بطريقة خيالية إننى لا أهتم بأساليب الرسم هذه لكن عمله كان جيدا بالفعل. حسنا يمكن أن نقول أنه كانت بينهما متاعب، لأن مسز كريل لم تكن من ذلك النوع الذى يتحمل فى صمت لكنه كان يعود إليها دائما فى النهاية. كانت أموره الغرامية تضايقها لكن تلك العلاقة الأخيرة كانت شيئا مختلفا تماما. كانت المرأة هذه المرة فتاة صغيرة، فتاة فى العشرين من عمرها. شخص ديبلتتش ببصره وكأنه يتذكر ماضيا سحيقا وأردف:

- كان اسمها اليزا جريل ابنة أحد أصحاب المصانع فى يوركشير.

كان لديها المال والعزيمة وكانت تعرف ما تريد، وما تريده كان امياس كريل. استطاعت أن تجعله يرسمها رغم أنه لم يكن معتادا على رسم شخصيات المجتمع، ولم أكن أعرف أن معظم السيدات كن تتمنين أن يرسمهن مثل ذلك الفنان، لكنه لم يفعل. لكنه رسم اليزا جريل وانتهى بأن وقع في غرامها حتى أذنيه. كان عندئذ في الأربعين من عمره وقد مرت سنوات عديدة على زواجه، وفي ذلك السن الذي يصبح فيه الرجال حمقى أمام فتاة صغيرة. كان مفتونا بها وكانت رغبته أن يحصل على الطلاق من زوجته ويتزوجها. لكن كارولين كريل لم تكن لتسمح له بذلك وسمعتها شخصان تهدهد بأنه إن لم يترك الفتاة فسوف تقتله، وكانت تعنى ذلك كانا في اليوم السابق للجريمة يتناولان الشاي عند جار لهما وكان يتفاخر أمامهما باقتتائه بعض الأعشاب النادرة التي من بينها الكونين، ولقد تحدث عن خواص تلك المادة المميعة. وفي اليوم التالي لاحظ هذا الجار إن محتويات الزجاجاة تكاد تكون فارغة ووجدوا في حجرة مسز كريل زجاجاة مخبأة في درج سفلى فيها شيء من هذه المادة.

قال هيركيول بوارو وهو يتحرك في عدم ارتياح:

- لكن شخصا آخر قد يكون وضعها هناك.

- أوه لقد اعترفت كارولين كريل للشرطة بأنها هي التي أخذت المادة كان هذا حماقة منها بالطبع لكن محاميتها لم يكن موجودا في تلك المرحلة بعد، وعندما سئلت اعترفت صراحة بأنها هي التي أخذت المادة من الزجاجاة.

- وماذا قالت عن السبب؟

- قالت أنها أخذتها بفرض إنهاء حياتها هي. ولم تفسر كيف أصبحت الزجاجاة خاوية أو كيف أن بصمات أصابعها هي الظاهرة عليها. إن هذا الجزء من الاعتراف كان مدمرا تماما. لقد ادعت كما تعرف أن امياس كريل قد انتحر لكن لو أنه أخذ الكونين من الزجاجاة المخبأة في حجرتها لظهرت بصمات أصابعه على الزجاجاة إلى جوار بصماتها.

- لقد أعطى له الكونين في البيرة.. أليس كذلك؟

- نعم لقد أخرجت زجاجة البيرة من الشلاجة، وذهبت بها إلى حيث كان يرسم في الحديقة. صبت له البيرة وأعطتها له وأخذت ترقبه وهو يشربها. ولقد تركه الجميع وذهبوا لتناول الغداء لأنه لم يكن معتادا على تناول الغداء معهم كثيرا. وفيما بعد ذهبت كارولين مع المريية لتجده قد مات. قالت في روايتها أن البيرة التي أعطتها إياه كانت على ما يرام وبنيت نظريتها على أنه أحس فجأة بالضيق ويتأنيب الضمير فتناول السم، ولكن ذلك طبعيا هراء، وهو لم يكن ذلك النوع من الرجال، ولقد كانت بصمات أصابعها دليلا قويا ضدها.

- هل وجدوا بصمات أصابعها على زجاجة البيرة؟

- كلا وجدوا عليها بصمات أصابعه هو فقط، لكنها كانت بالطبع بصمات ملفقة، فلقد كانت كارولين بمفردها مع الجثة في حين ذهبت المريية لاستدعاء الطبيب ولابد أن ما فعلته هو أنها مسحت الزجاجاة والكأس وضغطت أصابعه عليها. لقد أرادت أن تتظاهر بأنها لم تمسك المادة المميّنة بيدها، لكن ذلك لم يكن له فائدة فإن رودلف العجوز الذي كان مدعيا عاما آثار السخرية في ذلك وأثبت بطريقة عملية للمحكمة أن رجلا لم يكن يستطيع أن يمسك الزجاجاة بأصابعه

فى مثل ذلك الوضع. ولقد فعلنا ما فى وسعنا كى نثبت العكس وأن يده تأخذ شكلا مختلفا وهو يموت لكن كلامنا لم يكن مقنعا.

- لكن الكونين يمكن أن يكون قد وضع فى الزجاجاة قبل أن تأخذها إلى الحديقة.

- لم يكن هناك أثر للكونين فى الزجاجاة مطلقا. كان الكونين فى الكاس فقط. وتوقفت ديبيلتيش فجأة وتغير تعبير وجهه وهو يقول فى حدة: والآن يا مستر بوارو ما الذى تهدف إليه؟

- إذا كانت كارولين بريئة فكيف وضع الكونين فى البيرة؟ لقد قال الدهاع عندئذ أن امياس كريل نفسه وضعه هناك لكلك تقول لى أن هذا ليس محتملا البتة وأنا من جانبى أوافقك على ذلك فهو لم يكن من ذلك النوع من الرجال، لكن إذا لم تكن كارولين قد فعلتها أيضا فلايد أن شخصا آخر قد فعلها.

- اللعنة على كل شيء يا رجل، إنك لن تستطيع أن تؤدب جوادا ميتا. لقد انتهى كل شيء منذ سنوات عديدة. إن كارولين قد فعلتها طبعيا وكان لابد أن تقتنع بذلك لو أنك كنت هناك فى ذلك الوقت، وإننى لأتخيل أنها استراحت عند النطق بالحكم. لم تكن خائفة مطلقا، لم تكن عصبية على الإطلاق. كل ما أرادته هو أن تنتهى المحاكمة. لقد كانت امرأة شجاعة حقا.

- ورغم ذلك فإنها عندما ماتت تركت رسالة تعطى لابنتها كتبت فيها مقسمة أنها بريئة.

- أتخيل ذلك فإننى وأنت كنا سنفعل نفس الشيء لو أننا فى مكانها.

- لكن ابنتها تقول أنها ليست من ذلك النوع من النساء.
- ابنتها تقول!! وما الذى تعرفه تلك الابنة يا عزيزى بوارو لقد كانت الابنة وقت المحاكمة مجرد طفلة صغيرة فى الرابعة أو الخامسة من عمرها. لقد غيروا اسمها وأرسلوها خارج إنجلترا لتعيش مع بعض الأقارب. كيف لها أن تعرف شيئا أو أن تتذكر شيئا؟
- الأطفال قد يعرفون البشر بطريقة جيدة جدا أحيانا.
- ربما لكن هذا لا ينطبق على هذه القضية لأنه من الطبيعى أن الفتاة تريد أن تعتقد أن أمها لم ترتكب جريمة. دعها تظن ذلك فلن يضير هذا أحدا شيئا.
- لكنها من سوء الحظ تطلب دليلا.
- دليل على أن كارولين كريل لم تقتل زوجها؟
- حسنا... إنها لن تحصل على مثل هذا الدليل.
- ألا تظن ذلك؟
- لقد ظننتك على الدوام رجلا شريفا يا بوارو. ما الذى تفعله الآن؟ هل تحاول أن تكتسب مالا باللعب على عواطف الفتاة؟
- إنك لا تعرفها. إنها فتاة غير عادية لها شخصية قوية جدا.
- نعم استطيع أن أتخيل ذلك فى ابنة امياس وكارولين كريل. ما الذى تريده؟
- إنها تريد الحقيقة؟
- أخشى أنها ستجد الحقيقة فى حلقها. فى الحقيقة يا بوارو إننى

لا أجد أى ظل من الشك فى أن كارولين قتلت زوجها.

- أرجو صفحك يا صديقى لكننى يجب أن استوفى هذه النقطة حقها.

- حسنا لا أعرف ماذا يمكنك أن تصنع.. تستطيع أن تقرأ وصف الأحداث والمحاكمة فى الصحف. لقد كان همفرى رودولف مدعيا، ولقد مات الآن لكنك تستطيع أن تتحدث إلى هوج مساعده الأصغر. ثم أن هناك الأشخاص الذين كانوا معهم وقت الحادث لكن لا تظن أنهم سيسرون لتحريك الرماد الذى أطلق على المسألة برمتها، لكننى واثق أنك سوف تصل إلى ما تريده معهم بطرقك الشيطانية.

- آه نعم الأشخاص الذين كانوا هناك. هذا هام جدا. من كانوا؟

ومن هم؟

تأمل ديبلتتش قليلا ثم قال:

- دعنى أتذكر... كان هناك خمسة أشخاص فقط باستثناء الخدم الذين كانوا رجلا وزوجته.. عجوزين مذمورين لا يعرفان شيئا على الإطلاق، ولم يكن لأحد أن يشك فيهما.

- إذن حدثنى عن الخمسة الذين تقول أنهم كانوا هناك:

- أولهم فيليب بليك وهو أعز أصدقاء كريل الذى عرفه على مدى عمره وكان يقيم فى المنزل فى ذلك الوقت وهو مازال حيا، أراه بين حين وآخر فى منطقة مجاورة ويشغل سمسارا. رجل ناجح يميل إلى السمنة.

- حسنا ومن التالى؟

- هناك شقيق بليك الأكبر، وهو سيد من الريف من النوع الذى لا

يفارق ضيعته كثيرا.

وفى تلك اللحظة رن فى رأس بوارو بيت من الشعر كان يتردد فى ذهنه كثيرا، بيت يقول (لقد ذهب الخنزير الكبير إلى السوق، أما الخنزير الصغير الآخر فقد بقى فى المنزل) ووجد نفسه يغمغم قائلا:

- من النوع الذى يبقى فى المنزل؟

- إنه الشخص الذى كان شغوفا بالأدوية والأعشاب. اسمه ميرديث بليك ولا أعرف إذا كان لا يزال حيا أم لا.

- ومن التالى؟

- التالى؟ إن الشخص التالى هو سبب المتاعب كلها، العشيقه اليزا جريل.

غمغم بوارو لنفسه (هذا هو الخنزير الصغير الذى أكل اللحم المحمر) فى حين كان ديبلتش يحدق فيه وقال:

- ولقد أكلت كثيرا من اللحم بالفعل، فلقد تزوجت ثلاث مرات منذ ذلك الحين، تدخل وتخرج من محكمة الطلاق وكأنها أمر سهل تماما، وكل مرة تغير فيها أحد أزواجها يكون الجديد أفضل من سابقه. إنها الآن ليدى دى تيشام، ليس عليك إلا أن تفتح أية صحيفة لترى اسمها هناك.

- وماذا عن الاثنين الآخرين؟

- المربية وهى امرأة لطيفة قديرة نسيت الآن اسمها، ثم هناك الطفلة شقيقة كارولين كريل من أب مختلف ولابد أنها كانت عندئذ فى الخامسة عشرة من عمرها، أما الآن فقد أصبحت لها شهرتها الخاصة فى أمور الحفريات واسمها انجلا ورن. ولقد التقيت بها منذ

بضعة أيام.

- إذن فليست هي الخنزير الصغير الذي كان يبكي بقوة.
- لقد كان لديها ما يبكيها بحرقه في حياتها فهي مشوهة كما تعلم، لديها ندبة على جانب وجهها.
- وقف بوارو وقال:
- شكرا لك لمعونتك، وإذا لم تكن كارولين كريل قد قتلت زوجها...
وهنا قامعه ديبلتش قائلا:
- ولكنها فعلت أيها الصبي العجوز، وأنا أقسم على ذلك.
- لكن بوارو استطرد دون أن يلتفت إلى مقاطعته، فإذا لم تكن قد قتلت فلا بد أن أحد هؤلاء الخمسة هو الذي قام بذلك.
- قال ديبلتش في شك:
- أعتقد أن أحدهم يمكنه أن يكون قد فعلها، لكنني لا أرى سببا يدفع أيًا منهم لذلك ليس هناك سبب على الإطلاق، وفي الحقيقة فإنني واثق أن أحدا منهم لم يفعلها. أخرج هذا الطنن من تحت قبعتك أيها الصبي العجوز. لكن بوارو ابتسم فقط وهز رأسه.



لقاء مع المدعى

قال مستر فوج في حماس: إنها
مذبنة بحق الجحيم.

نظر هيركيول بوارو في وجه وكيل النيابة في تأمل، ليجده شخصية
مختلفة تماما عن مونتاجو ديبلتش. كان ديبلتش يتمتع بمغناطيسية
وشخصية توحى بالسيطرة، يؤثر في مجتمعه بسلوكه المتغير من
الغضب إلى الابتسام ومن الحماس إلى الفتور. أما كوانتين فوج فقد
كان نحيلا شاحبا تنقصه سمات الشخصية القوية، لا تحس في حديثه
بأية عاطفة يمل المرء من سماعه سريعا، وكان ذلك كله سببا في أنه لم
يجرز شهرة ما، لكنه اشتهر بأنه يعرف القانون جيدا وعادة ما يفوز في
قضاياه. قال له بوارو: إذن فهذا هو انطباعك العام عنها.

- لو أنك رأيتها في قصص الاتهام لكان ذلك شعورك أيضا، ولقد
جعل منا همشري رودلف المعجوز - الذي كان يقود الادعاء - قطعة من
اللحم المقروم. على العموم لقد كان الأمر أكثر من جيد.

- إننى لا أفهمك.

- كيف لى أن أشرح لك؟ إنه مثل انجليزى ماثور فحواه (إطلاق

النار على طائر ساكن الحركة تماما). هل فهمتني؟

- إلى حد ما، لكنني أعرف أن شأن المحكمة العليا شأن غابات الصيد في أي مكان، فإن الصيد يجب أن تقاومه الضحية قليلا.

- هذا صحيح، لكن في هذه القضية لم يكن للمتهم فرصة ما، ولقد فعل بها همفري رودلف ما يريد. بدت المحاكمة باستجوابها من ديبلتتش، ولقد وقفت تجيبه على أسئلته بطريقة التلميذ الذي حفظ دروسه عن ظهر قلب، لكنه غير مقتنع بما يقول، وكأنها لقنت ما يجب أن تقوله ومن ثم لم يكن الخطأ من ديبلتتش لأن ذلك العجوز قام بدوره بعمارة - لكنه في مشهد المسرحية الذي يحتاج إلى ممثلين اثنين لا يمكن لواحد فقط أن يقوم بالدورين، ومن ثم كان تأثير ذلك سيئا على المحكمة. وبعد ذلك نهض همفري العجوز وجعل منها كما قلت لك قطعة من اللحم المفروم، ولقد استطاع بأسئلته هنا وهناك أن يجعلها تنهار وتعتزف بسخف أقوالها وتعارض رواياتها، وفي النهاية خرج باستنتاجاته المقنعة وهو يواجهها قائلا:

إنني أقترح يا مسز كريل إن روايتك عن سرقة الكونين لتتحرى ليست إلا أكذوبة، لأنك أخذت الكونين لتضعيه لزوجك الذي كان على وشك أن يهجر بك إلى امرأة أخرى، وأنتك فعلت ذلك عن عمد ولقد نظرت إليه تلك المخلوقة الشاحبة الجمال الرقيقة وقالت أوه، كلا، كلا، إنني لم أفعل ذلك لكن ذلك لم يكن مقنعا طبعاً، ولقد رأيت عندئذ ديبلتتش العجوز يتامل في مقعده لأنه كان قد عرف النهاية.

وتوقف فوج برهة ثم استطرد قائلا:

- لكننى لا أعرف، فبطريقة ما كان ما فعلته شيئاً فى منتهى المهارة، ذلك لأنها أثارت فى الجميع نخوة الشهامة فشعر المحلفون - بل إن المحكمة كلها شعرت - بأنه لم تكن هناك أية فرصة لها، بل أنها لم تكافح مطلقاً للدفاع عن حياتها أمام مثل القانونى المعجوز همفرى وبطلشه وبذلك أثارت عطف الجميع، وبالتالي لم يستغرق المحلفون سوى وقت قصير للمودة بقرارهم: (مذنبية ولكنهم يوصون بالرفقة).

توقف فوج مرة أخرى ثم استطرد:

- نعم لقد كان ما فعلته يتناقض تماماً مع المرأة الأخرى فى القضية التى لم يتعاطف المحلفون معها مطلقاً منذ البداية، كانت جميلة جداً ترتدى ثيابها على أحدث الطراز لا تبدى انفعالا مطلقا، وبالتالي كانت مثالا للمرأة هادئة البيوت، ذلك لأن الأسر لا يمكن أن تكون فى أمان ومثل هذه الفتيات يحمن حولها، فتيات مليئات بالحيوية والجنس، لا يعرفن بحقوق الزوجات والأمهات. لكن يجب أن أقول أنها كانت صادقة فى أقوالها، فقد وقعت فى غرام امياس كريل ووقع هو فى غرامها، ولم تكن تساورها هواجس فى أن تأخذه بعيدا عن زوجته وعن طفله. لقد أعجبتنى فى ناحية ما، فقد كانت شجاعة عندما حاول ديبلتش أن يخرجها فقد صمدت له، لكن المحكمة لم تكن متعاطفة معها، ولم يكن القاضى يحبها، القاضى أمتيس الذى كان غيوراً على الفضيلة متحمساً للأخلاق، ومن ثم كان تقريره عن كارولين كريل مليئاً بالعطف، لم يستطع طبعاً أن ينكر الحقائق لكنه تحدث كثيراً عن الاستفزاز الذى تعرضت له.

سأله بوارو قائلاً: لكن القاضى لم يقتنع برأى الدفاع فى مسألة الانتحار؟

- إن ذلك لم يكن في الاعتبار مطلقاً. لم يكن ذلك لأن ديبلتتش فشل في الإقناع بذلك. لقد صور كريل على أنه رجل متصلب المزاج يحب اللهو سيطرت عليه فجأة عاطفة مشبوبة بحب فتاة صغيرة ولذلك فعندما تغلب عليه تائب الضمير للطريقة التي عامل بها زوجته وطفله فقد اتخذ قراراً بإنهاء كل شيء. وقد أدى ديبلتتش تصوير هذه المسرحية بطريقة مؤثرة دفعت البعض للبكاء، لكن ذلك كله انتهى عندما تذكر الحاضرون امياس كريل وأنه لم يكن هذا النوع من الرجال مطلقاً. لم يستطع ديبلتتش أن يأتي بدليل واحد على ما يقول، ذلك لأن كريل كان يبدو للناس على الدوام رجلاً ليس له ضمير، بل شخص قاسى أنانى سعيد بأنانيته، وكل ما فيه من حب للجمال كان يتجه إلى الرسم، ومن ثم لم تكن رواية الانتحار مقنعة مطلقاً.

- ربما لم تكن وجهة نظر الدفاع هذه أحسن اختيار؟
- ولكن ماذا كان لديه غير ذلك؟ هل كان يستطيع أن يظل صامتا تاركا للدعاء أن يدين المتهم؟ كان هناك مجموعة من الأدلة ضدها، فلقد سُرقت السم وكان لديها الوسيلة والدافع والغرض وكل شيء.
- ربما حاول المرء أن تظهر كل هذه الأمور قد رتبت بطريقة مفتعلة؟
- لكنها اعترفت بمعظمها، وما تقوله غريب في الواقع فإن ما يعنيه هو أن شخصا آخر قتله ورتب كل شيء بحيث تظهر هي كمذنبة.
- هل تظن أن ذلك مستحيل الوقوع؟
- أخشى ذلك، فإنك تقترح أن يكون هناك شخص ما، ولكن أين نجد هذا الشخص؟

- فى دائرة ضيقة بالطبع، لقد كان هناك خمسة أشخاص أليس كذلك، وأى منهم يمكن أن يكون هو الفاعل؟

- خمسة؟ دعنى أتذكر لقد كان هناك العجوز الذى يهوى الأعشاب والسموم وهى هواية خطيرة، لكنه كان شخصاً طيباً لا أعتقد أنه يقوم بجريمة كهذه، ثم كانت هناك اليزا جريل لكنها كان يمكن أن تقتل كارولين ولكن ليس كريل بالتأكيد. ثم السمسار فيليب بليك وهو أقرب الأصدقاء إلى كريل. إن هذا الأمر شائع فى القصص البوليسية لكننى لا أصدق بوقوع هذا فى الحياة العادية.. من هناك غير هؤلاء؟ آه أخت كارولين، لكننى لا أعتقد أن لها أهمية ما. هؤلاء أربعة.

- إنك نسيت المربية.

- نعم هذا حقيقى، إن الخدم هم آخر من يتذكرهم الإنسان. إننى أتذكرها بغير وضوح كأمراة فى منتصف العمر بسيطة ماهرة. وأعتقد أنها من الناحية النفسية كانت ضد كريل، لكنها لم تكن لتقتله إنها لم تكن من الطراز الذى يتفعل إلى هذا الحد.

- لكن ذلك كان منذ زمن بعيد.

- خمس أو ستة عشر عاماً كما أعتقد، ولا أتوقع أن تكون ذاكرتى قوية إلى هذا الحد.

وهنا قال بوارو بتأكيد:

- لكنك تتذكر كل شيء بوضوح مدهش. إنك تتخيل كل شيء كما لو أنه يحدث أمامك الآن.

- إنك على حق فإننى أرى كل شيء أمامى واضحاً.

- يهمنى يا صديقى أن تقول لى لماذا؟

تأمل فوج السؤال لحظة وبدا مهتما وهو يقول:

- لماذا؟ نعم لماذا.

- لماذا ترى كل شيء واضحا؟ الشهداء؟ الدعاة؟ القاضى؟ والمتهمة واقفة فى القمص.

- هذا هو بالطبع السبب: إننى دائماً أراها. شيء غريب أرى فيها قصة عاطفية إن كل شيء كان مركزا حولها رغم أنها لم تكن جميلة بل مرهقة شاحبة. لكنها معظم الوقت لم تكن هناك. كانت فى مكان آخر بعيدا عن المحكمة، تاركة جسدها هناك، جسد نحيل وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة، ورغم كل هذا كانت أكثر حيوية من الفتاة الأخرى ذات الجسد البديع والوجه الرائع الجمال والشباب الغض. لقد أعجبنى فى اليزا جريل شجاعته وحبها للمعركة ولأنها صمدت أمام مختلف الأسئلة لكننى أعجبت بكارولين لأنها لم تجاوب بل انزوت فى عالمها الخاص بها، عالم الظلال والأشباح. إنها لم تهزم مطلقا لأنها لم تبدأ معركة قط..... لكننى واثق من شيء واحد فقط أنها أحبت الرجل الذى قتلته وقد مات نصفها معه.

وتوقف مستر فوج لحظة مسح فيها زجاج نظارته واستأنف:

- يا الهى يبدو أننى أقول أشياء عجيبة، لقد كنت شابا يائسا طموحا فى ذلك الوقت ومن ثم كان لمثل هذه الأشياء تأثيرها على لكن هذا لا يغير من أن كارولين كريل كانت امرأة رائعة ولن أنساها مطلقا..... قط لن أنساها.

المحامى الشاب

كان جورج مايهيو حريصا فى
حديثه. تذكر القضية بالطبع ولكن
بغير وضوح، ذلك لأن أباه كان هو
الذى يتولاها بنفسه حيث كان هو
فى التاسعة عشرة من عمره فقط.

قال إن القضية أثارت حديث الناس، لأن كريل كان رجلا له شهرته
فى عالم الفن، حيث نالت لوحاته إعجاب الناس، وعرضت اثنتان
منهما فى أشهر المعارض. ثم أردف بقوله أنه لم يفهم سر اهتمام بوارو
بالموضوع، وأبدى دهشته عندما سمع بأمر الابنة التى كان قد سمع فى
غموض أنها سافرت إلى نيوزيلندا بدلا من كندا.

لكن قضية كارولين كريل أزالته تحفظه، وعبر عن تعاطفه العميق،
وعن تفضيله ألا تكون قد علمت بالأمر برمته، غير أنه ليس ثمة فائدة
من تزويد ذلك الآن. هل أرادت أن تعرف الحقيقة؟ نعم، لكن ماذا
هناك كى تعرفه؟ هناك طبعا تقارير المحكمة التى لم يكن هو نفسه
يعرف عنها شيئا. لكنه أيضا لم يكن لديه شك كثير فى إدانة كارولين
كريل رغم التماسه بعض العذر لها، ذلك لأن هؤلاء الفنانين من الصعب

الحياة معهم، وهكذا شأن كريل الذى كان فى حياته أكثر من امرأة.

وربما كانت كارولين أيضا من نوع النساء المختلفات اللائى لم يكن يتقبلن الحقائق ببساطة، فإن امرأة مثلها هذه الأيام كانت تطلقه بسهولة وتتغلب على تماسنها، ثم أضاف فى حرص قائلها:

- دعنى أتذكر - إنها ليدى تشام كما أعتقد.. كانت فتاة القضية.

وعندما أوما بوارو بالموافقة استطرد قائلها:

- إن الصحف تثير الموضوع بين حين وآخر، ذلك لأنها دخلت المحكمة لإجراءات الطلاق أكثر من مرة، وهى الآن امرأة ثرية كما قد تعرف، تزوجت من ذلك المكتشف الشهير قبل زواجها ب - دى تشام، وعلى العموم فالمجتمع يعرفها جيدا وهى من ذلك النوع من النساء الذى يحب تسليط الأضواء عليه.

- ربما من النوع الذى يعجب بالأبطال من الرجال. هل كان مكتبكم يتولى قضايا مسز كريل لسنوات طويلة.

أوما جورج مايهيو برأسه نفيا ثم قال:

- على العكس فإن مكتب جوناثان هو محامى عائلة كريل، لكنه شعر بأنه لن يدافع عن مسز كريل جيدا فعهد إلى والدى بالقضية ويستحسن يا مسيو بوارو أن ترتب موعدا للقاء مستر جوناثان المعجوز الذى تقاعد منذ فترة، والذى كان يعرف عائلة كريل معرفة وثيقة ويستطيع أن يخبرك بأكثر مما أستطيعه أنا. فالحقيقة أننى كنت عندئذ صبيا يافعا حتى أننى لن أذهب بنفسى إلى المحاكمة.

واستطرد قائلها وهو يصفح بوارو مودعا:

– لعلك تريد أن تتبادل حديثًا مع موندز وهو رئيس الكتبة لدينا، وكان في مكتبنا عندما نوقشت القضية وكان مهتما اهتماما كبيرا بالمحاكمة.

كان ادموندز بطيء الحديث، لكن عينيه لمعتا عندما ذكر له بوارو الهدف من زيارته وقال:

– إننى أتذكر قضية كريل، فلقد كانت شيئًا مشينًا، لقد كانت منذ زمن بعيد، وها أنت تتفض الغبار عنها مرة أخرى.

– إن حكم المحكمة ليس بالضرورة نهاية كل شيء..... إن مسز كريل قد تركت ابنة.

– أتذكر أنه كانت هناك طفلة أرسلت إلى بعض الأقارب في الخارج.

– إن الابنة تعتقد اعتقادًا جازمًا في براءة أمها. هل لديك ما يؤيد هذا الاعتقاد؟

فكر ادموندز قليلا ثم هز رأسه نفيا وقال:

– لا أستطيع أن أقول ذلك. لقد كنت أعجب بمسز كريل فقد كانت قبل كل شيء سيدة ليست كالمرأة الأخرى – تلك الفتاة اللعوب الجريئة.

أما مسز كريل فكانت من معدن طيب.

– لكنها رغم ذلك كانت قاتلة؟

قطب ادموندز ما بين حاجبيه ثم قال بمزيد من الاندفاع هذا هو السؤال الذى دأبت على توجيهه لنفسى يوما بعد يوم وهى جالسة هناك فى فنص الاتهام هادئة تماما. لقد اعتدت على أن أقول لنفسى لا يمكن تصديق ذلك لكن لم يكن هناك ما يمكن الأخذ به رغم ذلك.

أن السم لم يدخل في بيرة كريل بمحض الصدفة. لقد وضعه أحدهم هناك، وإذا لم تكن مسز كريل هي التي فعلت ذلك فمن يكون؟

- هذا هو السؤال. من فعل ذلك؟

- إذن فهذا هو رأيك؟

- ما الذى تظنه أنت؟ لقد كنت فى المحكمة عند نظر القضية واستمعت إلى الشهود وهم يقدمون الأدلة

صمت الرجل لحظة قبل أن يجيب قائلا:

- لقد كنت هناك كل يوم وأنصت إلى كل ما قيل.

- ما الذى لفت انتباهك فيهم - أى شىء غير عادى، أى نبذة فيها عدم إخلاص؟

- هل تعتقد إذا كان أحدهم قد كذب؟ هل كان أحدهم يهيمه أن يموت كريل؟ إن هذه أفكار غريبة يا مستر بوارو

قال بوارو يحثه على الكلام:

- فكر فى الأمر على الأقل.

- إن مس اليزا جريل كانت تملؤها المرارة والكراهية لقد تخطت كل الحدود فى كل ماقالته لكنها كانت تريد امياس كريل حيا وليس ميتا - كانت تريد أن ترى حبل المشنقة يلتف حول رقبة مسز كريل، لكن ذلك لأن الموت قد اختطف منها الرجل الذى أرادته لنفسها. كانت مثل النمرة المفترسة. لقد كان مستر فيليب متحيزا ضد مسز كريل أيضا، يهاجمها كلما وافته الفرصة لذلك. لكنه كان صادقا مع نفسه

ذلك لأنه كان أقرب أصدقاء كريل، أما شقيقه ميرديث فقد كان مترددا غامضا في إجاباته، لكننى أعتقد أن كثيرا من الشهود يفعلون هذا، يبدون وكأنهم يكذبون في حين أنهم يقولون الحقيقة. إنه لم يقل أكثر مما أراد أن يقوله، لكن الدفاع دفعه ليقول كل ما يمكنه قوله. ثم يأتى دور المربية التى واجهت الموقف بثبات، لم تقل شيئا ليس فى الموضوع، ولم يكن أحد ليستطيع أن يقول إلى جانب من وقفت. بدت وكأنها تعرف أكثر مما أرادت أن تتطرق به ولن أدهش لذلك.

– وأنا أيضا لن أدهش لذلك.

وحدق فى وجه الفريد ادموندز المفضن الشاحب وهو يتركه متسائلا إذا كان هذا الرجل يعرف أكثر مما أراد أن يقول.



المحامى العجوز

كان مستر كالب جوناثان يعيش فى
الريف فى مقاطعة اسكس. وبعد
تبادل خطابات تفيض بالجمالة
تلقى بوارو دعوة لتناول العشاء
وقضاء الليل لديه. كان للرجل
شخصية متميزة بالمقارنة بشخصية
جورج مايهيو الشاحبة.

كان لبوارو وسائله الخاصة فى الاقتراب من الموضوع، ولم يكن قبل
انتصاف الليل عندما بدأت كئوس الخمر تطلق لسان مستر جوناثان
فى الحديث. وقد أعجبه أسلوب هركيول بوارو فى عدم دفعه دفعا إلى
تناول الموضوع. والآن وقد أصبح الوقت مناسباً له قال:

- إن مكتبنا قائم بأعمال أسرة كريل جيلا بعد جيل، وأنا أتذكر
كريل وأباه ريتشارد ثم جده لينوك.. كانوا جميعاً من سادة الريف
يفكرون فى الجياد أكثر مما يفكرون فى البشر، يجيدون ركوب الخيل
يحبون النساء وليس لهم شأن فى ميادين الفكر والأدب. لكن زوجة
ريتشارد كانت تهتم بالمبادئ والأفكار أكثر من أى شئ آخر، تحب

الشعر والموسيقى ولما كانت معجبة بامياس كنجلسى فقد أطلقت اسمه على ابنتها. ولقد أفاد امياس من الناحيتين فقد تورث عن أمه حب الفن وعن أبيه الشخصية العنيفة والأنانية، كان رجال أسرة كريل يتصفون بهذه الصفة، فلم يكونوا ينظرون إلى أى شيء إلا من وجهة نظرهم هم.

حديق الرجل المعجوز فى بوارو وهو يربت بأصابعه على المنضدة واستطرد: أرجوك أن تصحح لى معلوماتى يا مستر بوارو. إنك تهتم بتحليل الشخصيات، أليس ذلك صحيحا؟

- هذا بالنسبة لى هو أهم شيء فى القضايا التى أبحثها.

- أفهم منطقك فى هذا. تريد أن تفوض وراء جلد المجرم. إن هذا مثير للغاية لكننا لم نكن لناخذ على عاتقنا الدفاع عن كارولين كريل لأن العرف لم يسمح بذلك. لكن مكتب مايهيو كانت له كفاءته وقد عهدوا إلى ديبلتتش بالقضية - ولم يكن تصرفهم هذا أفضل الأشياء لأنهم لم يتوقعوا أن كارولين كريل متعاونه مع أسلوبه فى الدفاع. ذلك لأنها لم تكن لها المقدرة على التمثيل مثله.

- ما ذا كانت نوعية هذه المرأة؟ هذا هو ما أنا مهتم به.

- نعم، نعم بالطبع، كيف وصلت إلى أن تقدم على ما فعلته؟ هذا هو السؤال الهام فى الموضوع لقد عرفتها جيدا قبل أن تتزوج - كان اسمها كارولين سيولدنج، فتاة نعسة. تزلزلت والدتها فكرست كارولين حياتها لها. ثم تزوجت الأم مرة أخرى وأثمر الزواج الثانى طفلة أخرى. وهكذا بدأت الحساسيات والغيرة العاطفية المؤلمة.

- هل كانت غيرة؟

- جدا، ولقد وقع حادث مؤسف جعل الفتاة البائسة تلوم نفسها طوال سنوات عمرها بعد ذلك، لكنك تعرف يا مستر بوارو أن هذه الأمور يمكن أن تحدث ولا يمكن وضع القرامل في وضعها إلا مع بلوغ سن النضج.

- ماذا حدث؟

- لقد أصابت الفتاة الطفلة الصغيرة، ألقت في وجهها بنقالة ورق أفقدت الطفلة القدرة على الرؤية بإحدى عينيها، وتشوه هذا الجانب من وجهها مدى العمر. ولك أن تتخيل أثر أى سؤال عن هذا الموضوع أثناء المحاكمة. لقد أعطى هذا الحادث انطبعا عن أن كارولين كانت امرأة ذات مزاج لا يمكن السيطرة عليه. لكن هذه لم تكن الحقيقة.

وهز المحامى رأسه مؤيدا ما قاله ثم استطرد:

- كانت كارولين كثيرا ما تأتي إلى ضيعة أولبرى لتبقى فيها بعض الوقت حيث كان ريتشارد كريل شغوفا بها. كانت ترعى مسز كريل برقة متزايدة فأحببتها المرأة. وبمرور الوقت أصبحت الفتاة أكثر سعادة في أولبرى أكثر عنها في منزلها، خاصة وقد اكتسبت صداقة ديانا كريل شقيقة امياس. وكان فيليب وميرديث بليك كثيرا ما يقضيان أياما في الضيعة وذلك في ضيعتهم المجاورة. كان فيليب صبيبا شرسا محبا للنفور، لكنه كان صديقا مسليا ومازال كذلك. أما ميرديث فكان يحب تشريح الفراشات ومراقبة الطيور والحيوانات وهو ما يسمى الآن بدراسة الطبيعة. ولم يصبح أحد من هؤلاء الصبية كما أراد له أبوه،

فقد فضل فيليب المدينية على الريف، وانماطه رشيحة الفسيفساء، فاستقر ميرديث فقد ظل يرقب النخيل والخبزوات دلالاً من أن يتركها، فبعد وتزوجت ديانا من ضابط، ذهب للسرير، أما أمي، التي التزم القربى، فقد اتجه إلى الرسم مما لا بد أن يكون قد صدم أمي وفتشوا في

توقف جوناثان برهة ليتقط أنفاسه ثم استأنف:

– وفي الوقت المناسب تزوج أمي، ليس ذريل، من ديانا، وبعد أن كانا كثيرا ما يتشاجران جمعت بينهما حفلة من جيراننا، منهنما بهيم بالآخر غراماً، لكن كريل، كبقية أفراد أسرة كريل، لأنفسهم لم يكن يهتم بمشاكلهم كثيراً، كان يفكر في الزواج فتأتى بعد ذلك – على الأخص بعد حبه للفن، وفي أن أقوم به، يمكن لامرأة في حياته دور قبل الفن، وكان أنه يأتي أولاً في نظر أمي، المرأة تلهب عواطفه، لكنه كان يتركن فور أن تأخذ ما يريد، لم يكن يكن عاطفياً جداً ولم يكن حياً تماماً أيضاً، وكانت المرأة التي لم يكن اهتم بها هي زوجته، ولأنه كانت تعرف ذلك فقد تحققت ما لم يكن أدركت أنه رسام ممتاز وأحسرت ذلك فيه، كان يملك الفن، والرسام النسائية لكنه كان دائماً يهوى إليها – عادة تارسة مشددة، كان انطلق معها، كان يمكن أن يستمر الأمر هكذا أولاً أن جالسا إلى

– ماذا عن اليزا جيري؟

قال جوناثان شيئاً لم يتوجه يوارو مطلقاً:

– المسكينة اليزا، يا الحافلة المسكينة.

– إذن فهذه مشاعرك نحوها.

- ربما كان شعورى هكذا لأننى رجل عجوز، لكننى يا مستر بوارو أشفق على الشباب اليائس، شباب يطلب ما لا يستطيع أخذه، كانت اليزا مثل جولبيت التى طلبت الحب المستحيل.

- إذن هاليزا بالنسبة لك هى جولبيت؟

- نعم، لقد كانت طفلة مدللة ثرية فى مقتبل الشباب، ذات جمال آخاذ ولقد وجدت من تهواه، لم يكن مجرد روميو شاب بل رسام موهوب فى منتصف العمر ومتزوج، ولم يكن لدى اليزا جرير معايير ثابتة توقتها عند حد معين، بل مقياسها كان (خذ ما تريد فإن الإنسان لا يعيش سوى مرة واحدة) كانت فتاة تعسة لعبت بكل ما لديها على ورقة حظ واحدة، وبدا لها أول الأمر أنها ربحت لكن فى اللحظة الأخيرة جاءها الموت ومن ثم فقد ماتت اليزا أيضا، ماتت وهى التى تتبض بالحيوية والحياة، لم يعد فيها سوى امرأة باردة قاسية تملؤها الكراهية تجاه المرأة التى أقدمت بيدها على قتل حبيبها. تغيرت نبرة صوت جوناثان وهو يقول:

- اغفر لى يا عزيزى فلتات العاطفة هذه، إن فى شخصية تلك المرأة الشابة الغضة ونظرتها الساذجة للحياة أشياء مثيرة للتأمل.

- لكن لو لم يكن امياس كريل رساما مشهورا لما....

- بالضبط، بالضبط، لقد وصلت للنقطة الهامة، إن مثيلات اليزا فى هذا العالم باحثات عن البطولة والأبطال، لابد للرجل عندئذ أن يكون شيئا، أما بالنسبة لكارولين كريل فقد كان يمكنها أن تحب كاتباً فى بنك أو وكيل شركة تأمين! إنها أحبت امياس كريل الرجل وليس

امياس كريل الرسام.

ذهب بوارو إلى فراشه وهو غارق في التفكير. كان يسحره أمر تحليل الشخصيات فيالنسبة لادموندز كاتب المحامى لم تكن اليزا جرير سوى فتاة لعوب لا أكثر ولا أقل، أما بالنسبة لجوناثان المعجوز فكانت هى بذاتها جولبيت الخالدة.

وماذا عن كارولين كريل؟

إن كلا من قابلهم ينظر إليها نظرة مختلفة - فمونتاجود بليتش يحتقرها كمثال - للهزيمة والاستسلام، أما فوج الشاب فقد كانت تمثل بالنسبة إليه روح الغرام، أما ادموندز فكان يراها فقط كسيدة، وأخيرا كان المعجوز جوناثان يرى فيها مخلوقا عاطفيا مهترا.

ولكن كيف كان هو - هركيول بوارو، يراها؟

نجاحه فى مهمته أن يعتمد على الإجابة على هذا السؤال. ذلك لأنه حتى الآن كان يرى ممن التقى بهم أنها - امرأة قاتلة.



مفتتن الشرطه

جذب المفتش هالى نفسا عميقا من
غليونة وقال مفكرا:

- إنها لفكرة غريبة منك يا مستر بوارو.
- أعرف أنها غير عادية إلى حد ما.
- لقد حدث هذا منذ زمن بعيد، وما أنت تقلب الرماد مرة أخرى، ولكن ما الهدف من ذلك؟
- هناك هدف؛ فهناك متعة هي أن يصل المرء إلى الحقيقة من أجل الحقيقة، ثم إن هناك الفتاة.
- نعم. إننى أرى الأمور من وجهة نظرها، لكن كان يمكن يا مستر بوارو أن تخترع لها قصة.
- إنك لا تعرف الفتاة، ثم إنك أيضا لا تعرف أن لى معايير أخلاقية - قد أحبك كذبة متقنة في وقت ما، لكن ليس هذا مجال الكذب على فتاة هي مثل موقعها.
- يا لها من فتاة مسكينة بريئة على وشك أن تتزوج فتكتشف أن أمها قاتلة. لو أننى كنت في مكانك لذهبت إليها وقتلتها أنه كان

انتحارا . قل لها أن المحامي ديبليتش لم يؤد دوره كما يجب وأنت لا تشك لحظة في أن كرييل هو الذى أودى بحياته.

- لكن الشك يساورنى أنا فى أنه فعل ذلك. إننى لا أعتقد لحظة واحدة فى أن كرييل قد انتحر، أليس لديك أى شك أنت أيضا؟

هز هالى رأسه نفيا فقال بوارو:

- كلا، الحقيقة هى ما أريد، وليس كذبة يحتمل أن تكون ويحتمل ألا تكون هى الحقيقة.

والتفت هالى إلى بوارو وقد ازدادا وجهه احمرارا وقال بانفعال:

- إنك تتحدث عن الحقيقة. إذن هدعنى أقل لك أننا وصلنا للحقيقة فى قضية مقتل كرييل.

إن هذا التصريح من جانبك له أهمية خاصة، ولكن قل لى، ألم يساورك الشك لحظة واحدة فيما إذا كانت كارولين كرييل بريئة أم لا؟

- ليس لدى شك على الإطلاق، إن الظروف كلها كانت تشير إليها مباشرة وكل حقيقة اكتشفناها كانت تؤدى إلى هذا الاتجاه.

- هل تستطيع أن تعطينى ملخصا للأدلة ضدها؟

- أستطيع ذلك فعندما وصلنى خطابك أطلعت على أوراق القضية، وكتبت الحقائق الهامة فى هذه الورقة.

واستعد هالى لحديث طويل وبدأ يقول فى نبرة واضحة قوية:

- فى الساعة الثانية وأربعين دقيقة من بعد ظهر الثامن عشر من سبتمبر اتصل الدكتور اندرو هوسيت بالفتش كونيواي وقال له أن أمياس

كريل قد مات فجأة، وأنه بناء على ظروف الموت وما قاله له المستر بليك وكان ضيفا في منزل كريل فإنه يعتقد أن الشرطة يجب أن تتولى القضية. وعلى الفور انطلق المفتش كونواي بصحبة جراح الشرطة إلى ضيعة اولبرى، حيث أخذهم دكتور فوسيت إلى حيث كانت جثة مستر كريل لم يمسه أحد. كان مستر كريل يرسم في حديقة صغيرة مغلقة تسمى حديقة المدفعية، ذلك لأنها كانت تطل على البحر وفي وسطها نموذج لمدفع صغير، وتبعد هذه الحديقة مسافة أربع دقائق عن المنزل. لم يكن مستر كريل قد ذهب للمنزل لتناول الغداء حيث أراد أن يستغل ضوء النهار في رسم بعض أجزاء لوحته، ومن ثم فقد بقى في حديقة المدفعية بمفرده ليرسم، وكان معتادا على ألا يهتم بمواعيد تناول الوجبات في حينها. كان آخر من رآوه حيا هم اليزا جريبر (وكانت مقيمة في المنزل) ومستر بليك (وقد جاء من الضيعة المجاورة)، وانضم هذان إلى بقية من في المنزل لتناول طعام الغداء. وبعد الغداء قدمت القهوة في الشرفة. وما إن انتهت مسز كريل من تناول قهوتها حتى قالت أنها ستذهب كي ترى ما يفعل اميلاس كريل، وصحبتهما سسلينا وليامز المريية كي تأتي بمعطف كانت مس انجلا وارن أخت مسز كريل قد نسيت أين وضعته، وظنت المريية أنه ربما كان على الشاطئ.

بدأت الاثنتان سيرهما معا. والطريق ينحدر خلال بعض الأشجار حتى يصل إلى مدخل حديقة المدفعية، ويمتد بعد ذلك إلى أن يصل إلى الشاطئ.

استمرت مسز وليامز في طريقها، بينما دخلت كارولين كريل إلى حديقة المدفعية، وعلى الفور سمعت مسز وليامز صرختها وهرعت

عامدة إليها . كان مستر كريل ممدا على مقعد وقد فارقته الروح .
وبناء على الحاح مسز كريل هرعته مسز وليامز إلى الطريق نحو
المنزل لتتصل بالطبيب بالتليفون . لكنها التقت في طريقها بميرديث
بليك وعهدت إليه بمهمتها حتى تعود هي إلى مسز كريل التي ربما
كانت في حاجة إليها . وصل الدكتور فوسيت إلى مسرح الحادث بعد
ذلك بربع ساعة ، وأدرك على الفور أن مستر كريل قد مات منذ بعض
الوقت ، وحدد الوقت تقريبا فيما بين الساعة الواحدة والثانية من بعد
الظهر . لم يكن هناك ما يوحي بسبب الوفاة ، فلم يكن هناك أثر لجرح ،
وكان مسلك مسز كريل طبيعيا تماما . لكن دكتور فوسيت الذي كان
على معرفة جيدة بحالة مستر كريل الصحية وأنه لم يكن هناك ثمة
احتمال لمرض نظر إلى الأمر بجديّة . وفي تلك اللحظة التقى فيليب
بليك على سمع دكتور فوسيت بروايته .

وتوقف المفتش هالي لحظة ليلتقط أنفاسه ثم استطرد :

- إن مستر فيليب بليك ردد هذه الأقوال أمام المفتش كوني فيما
بعد ، وهي كلها تحمل المعنى التالي : أنه في ذلك الصباح تلقى مكالمة
تليفونية من شقيقه ميرديث (الذي يقطن في الضيعة المجاورة على بعد
ميل ونصف) مؤداها أن ميرديث وهو كيميائي هاو دخل معمّله هذا
الصباح ليجد أن زجاجة تحتوى على محلول الكوين - وكانت مليئة في
اليوم السابق - أصبحت تكاد تكون خاوية . أزعجه ذلك فاتصل بشقيقه
يسأله النصّح فيما يجب أن يصنع . ولقد حث فيليب بليك أخاه على
الحضور إليه في ضيعة أوليري على الفور ليناقشا الأمر سويا . ولقد
سار هو نصف الطريق ليلتقى بأخيه وعادا إلى المنزل معا . لم يصلا

وراء وتركنا المسألة لمزيد من النقاش بعد الغداء.

وبعد مزيد من البحث تأكد المفتش كونواي من الحقائق التالية: بعد يومين من اليوم السابق اتجه خمسة أشخاص من ضيعة أولبرى إلى ضيعة جريز. فيليب بليك، وخلال الوقت الذى قضوه هناك شرح لهم ميرديث بليك هوايته، وذهب بالمجموعة إلى معمله الصغير وتجولوا فيه، وخلال تلك الجولة شرح لهم أثر الكونين ضمن مجموعة أخرى من العقاقير وقال أنه مفيد تماما فى علاج بعض الأمراض، حتى أنه قرأ لهم ما جاء فى كتاب أحد الإغريقين عن هذا العقار.

وقلب المفتش هالى ملفات القضية حتى أتى إلى الجزء الثالث واستمرّد: وعندما وضعت القضية بين يدي وجاء فى تقرير الطبيب الشرعى ذهب كل شك. إن الكونين لا يترك أثارا فى الجثة بعد الوفاة. لكن الأطباء كانوا يعرفون أين يبحثون. وتأكد الأطباء أنه أخذ قبل الوفاة بساعتين أو ثلاث. أمام مستر كريل - على المنضدة - كانت هناك زجاجة بيّرة فارغة وكأس خاوية ولقد حلل ما فيها من بقايا. لم يكن هناك أثر للكونين فى الزجاجة لكن أثره كان فى الكأس. وعندما استجوبت الشهود علمت أنه رغم وجود صندوق من البيّرة وبعض الكئوس فى دولاى صغير فى حديقة المدفعية يستطيع مستر كريل اللجوء إليها عند شعوره بالعطش - فإن مسز كريل أحضرت له من داخل المنزل زجاجة بيّرة مثلجة حديثا. كان مستر كريل منهمكا فى الرسم عندما دخلت الحديقة، فى حين كانت اليزا جريز تأخذ وضع الموديل جالسة فوق أحد الأسوار الضخمة.

فتحت مسز كريل زجاجة البيرة وناولت زوجها الكأس فى يده وهو واقف أمام حامل اللوحة. ولقد تجرع الكأس مرة واحدة - وهذه هى عادته كما علمت - ثم أبدى امتعاضة من طعم البيرة قائلاً (إن كل شئ مر المذاق بالنسبة لى اليوم) وضحكت اليزا جرير وقالت (إنه الكبير) فاجاب هو (على أية حال كانت البيرة مثلجة).

وهنا تدخل بوارو فى الرواية قائلاً: ما توقيت حدوث ذلك؟

- حوال الساعة الحادية عشرة والربع. واستمر كريل فى رسمه. وطبقاً لرواية اليزا جرير فإنه شكاً بعد ذلك من تصلب أطرافه وقال أنه ربما أصيب بالروماتيزم. لكنه كان من طراز الرجال الذين يكرهون الاعتراف بالمرض من أى نوع، وحاول أن ينكر أنه يشعر بالمرض وبدلاً من ذلك طلب أن يترك بمفرده وأن يذهب الآخرون لتناول طعام الغداء. ولم يكن هذا بشئ غير معتاد.

وهكذا ترك كريل بمفرده فى حديقة المدفعية. وليس من شك فى أنه تهاوى على المقعد واسترخى حالماً أصبح وحده، ولابد أن شلل العضلات قد سيطر عليه ولما لم يكن هناك من يساعده فقد مات.

وأوماً بوارو برأسه فاستطرد هالى:

- ولقد أخذت الطريق التقليدى فى التحقيق، لم أجد صعوبة ما فى التوصل إلى الحقائق. ففى اليوم السابق كانت هناك مشاجرة بين مسز كريل واليزا جرير، فقد قالت الأخيرة أنها ستقوم ببعض التعديلات فى أثاث المنزل عندما أحضر لأعيش هنا (لكن كارولين كريل واجهتها قائلة (ما الذى تقصدينه بذلك؟) أجابت الأخرى (لا

تتظاهري بأنك لا تعرفين ما أقصده يا كارولين، إنك كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمل. إنك تعرفين جيدا أن أمياس وأنا يهيم أحدهنا بالآخر وسوف نتزوج). قالت مسز كريل (إننى لا أعرف شيئا عن ذلك). فقالت الأخرى (إذن فقد عرفته منى الآن). ولابد أن كارولين كريل قد استدارت نحو زوجها الذى دخل الحجرة لتوه وسألته (هل حقيقى يا أمياس - أنك ستتزوج اليزا؟).

سأل بوارو باهتمام: وماذا كانت إجابة أمياس كريل على ذلك؟

- من الواضح أنه استدار إلى اليزا وصاح فيها (ما الذى تقصدينه بحق الشيطان من هذه الشريرة؟ أليس لك عقل تلجمين به لسانك؟) فقالت اليزا جرير (أظن أن كارولين يجب أن تعرف الحقيقة). وقالت كارولين كريل لزوجها: (هل هذا حقيقى يا أمياس؟) لكنه لم يستطع أن ينظر فى وجهها بل أدار وجهه للناحية الأخرى وغمغم بشيء. لكن كارولين رددت سؤالها قائلة (تكلم، لابد أن أعرف) وهنا اضطر أن يجيب (إنها الحقيقة ولكننى لا أريد أن أناقشها الآن). ثم انطلق من الحجرة فى حين قالت اليزا جرير شيئا عن أنه لن يجدى كارولين أن تأخذ موقفا معاديا من ذلك. فلا بد لهم جميعا من أن يكونوا عتلاء، وأنها تود أن يستمر أمياس وكارولين أصدقاء.

وهنا سأل بوارو بفضول: وماذا كان رد مسز كريل عن ذلك؟

- طبقا للشهود فإنها قالت (لن يكون ذلك سوى فوق جثتى يا اليزا). وابتعدت نحو الباب، فى حين صاحت اليزا جرير خلفها قائلة: (ما الذى تقصدينه بذلك؟) فأجابت مسز كريل قائلة (سأقتل أمياس قبل أن أتخلى عنه لك). إنها أدلة حاسمة، اليس كذلك؟).

- نعم ولكن من الذى استمع إلى هذا الحديث؟
- كان هناك فيليب بليك ومس وليامز فى نفس الحجرة وقد كان هذا مخرجاً لهما جداً .
- هل تنطبق رواياتهما عما حدث؟
- تقريباً، إنك لن تجد شاهدين يتذكran بالضبط ما حدث، إنك تعرف هذا مثلى يا مستر بوارو؟
- صحيح، لكنه سيكون مثيراً لو أننا رأينا لكنه لم يكمل جملته فى حين استطرد هالى قائلاً:
- ولقد أمرت بتفتيش المنزل، وفى حجرة مسز كريل وجدنا فى الدرج السفلى زجاجة صغيرة مخبأة تحت بعض الملابس الشتوية. كتب عليها (رائحة الياسمين). كانت الزجاجة خاوية وعندما رفعنا ما عليها من بصمات وجدناها بصمات أصابع مسز كريل. وبتحليلها وجدت آثار زيت الياسمين. ومعه محلول هيدروبرميد الكونين. ولقد حذرت مسز كريل وأريتها الزجاجة، فقالت على الفور أنها كانت تشعر بتعاسة شديدة، وبعد أن سمعت وصف ميرديث بليك عن السم تسلمت عائدة إلى العمل وأفرغت زجاجة رائحة ياسمين كانت فى حقيبتها من محتوياتها، وملأتها بمحلول الكونين وعندما سألتها عن الدافع إلى ما فعلته قالت: (إننى لا أريد أن أتحدث فى بعض الأمور بأكثر مما يجب، لكننى كنت قد تلقيت صدمة شديدة - كان زوجى ينوى أن يهجرنى إلى امرأة أخرى. وكنت أفضل الموت عن أن يحدث هذا ولهذا أخذت الزجاجة).
- لكنه قبل كل شئ يحتمل أنها ...

- ربما يا مستر بوارو ولكن ذلك لا يستقيم مع ما قالته أمام الآخرين. ثم أنه كان هناك مشهد آخر في صباح اليوم التالي وقد سمع فيليب بليك جزءا منه وسمعت اليزا جرير الجزء الآخر ولقد حدث المشهد في حجرة المكتبة بين مستر كريل وزوجته. وكان فيليب بليك في البهو وسمع لقطات منه، في حين كانت اليزا جرير في الشرفة التي تطل عليها حجرة المكتبة وسمعت ما هو أكثر من ذلك.

- وما الذي سمعه كلا منهما؟

- مستر بليك سمع كارولين تقول (أنت ونساؤك، سوف أقتلك، سوف أقتلك يوما ما).

- ولا ذكر للانتحار؟

- بالضبط، لا ذكر للانتحار على الإطلاق. لا شيء مثل (إذا أقدمت على هذا العمل سوف أقتل نفسي)، وكانت شهادة اليزا جرير تتطابق مع هذا. فطبقا لروايتها قال مستر كريل (حاولي أن تكوني عاقلة يا كارولين، إنني مغرم بك وسأتمنى لك الخير على الدوام - أنت والطفلة. لكنني سأزوج اليزا، إننا كنا قد اتفقنا أن يترك كلا منا للآخر حريته). وكانت إجابة كارولين على ذلك هي: (حسنا جدا، لا تقل أنني لم أحذرك) فسألها: (ما الذي تقصدينه؟) فأجابت: (أقصد أنني أحبك ولن أسمح بأن أفقدك. ومن الأفضل لي أن أقتلك بدلا من أن أتركك تذهب إلى تلك الفتاة).

- يخطر لي القول أنه ليس من الحكمة بالنسبة لاليزا جرير أن تثير هذه المسألة فإن مسز كريل كان سهلا عليها أن ترفض إعطاء

زوجها الطلاق.

- هناك ما يشير إلى هذه النقطة، فإن مسز كريل كانت قد أسرت لمستر ميرديث بليك وهو الصديق العجوز الموثوق فيه والذي تألم لما حدث وتحدث إلى كريل عنه. لقد كا ذلك كما أعتقد بعد ظهر اليوم السابق. لقد ويخ مستر بليك صديقه برقة، وعبر له عن أسفه العميق إذا تهدم الزواج بينه وبين زوجته. وأكد على نقطة أن اليزا جرير كانت فتاة صغيرة، وأنه من الخطر أن يقحمها معه فى محكمة الطلاق. وعلى هذا أجاب مستر كريل وهو يضحك (لكن هذه ليست فكرة اليزا على الإطلاق، فهى لن تظهر فى المحكمة بل أننا سننهي الأمر بالأسلوب المعتاد).

- إذن فقد كان سوء تقدير شديد من اليزا جرير أن تفضح المسألة بهذا الشكل.

- إنك تعرف أسلوب النساء ينشئن أظافرهن كل فى عنق الأخرى. لايد أنه كان موقفا صعبا على أية حال، ولا أستطيع أن أفهم كيف يسمح كريل لذلك بأن يحدث. وطبقا لرواية ميرديث بليك فقد كان كل همه هو أن ينتهى من اللوحة. هل لهذا معنى خاص بالنسبة لك؟

- نعم يا صديقى أعتقد ذلك.

- أما لى فليس له معنى، سوى أن الرجل كان يبحث عن المتاعب.

- ربما كان مستاء حقيقة لأن فتاته الصغيرة قد فضحت الموقف بما قالته.

- نعم لقد كان مستاء جدا طبقا لرواية ميرديث بليك. لكن لو أنه

كان يريد تكملة اللوحة فلما لم يأخذ لاليزا صورة فوتوغرافية يعمل منها - أعرف رسامين يفعلون هذا.

- كلا، إننى أفهم كريل الرسام. ربما تدرك يا صديقى أن اللوحة كانت عندئذ كل ما يهتم به كريل، ومهما كانت رغبته فى الزواج من الفتاة فقد كانت اللوحة عنده فى المرتبة الأولى. ولذلك كان مهتما بأن تستمر فى بقائها دون أن تتفصح المسألة. لكن الفتاة لم تكن تنظر إلى الأمر من هذه الزاوية. فإنه مع النساء فإن الحب والعواطف لها المرتبة الأولى. أما الرجال - خاصة الفنانين منهم فهم مختلفون.

قال المفتش هالى باحتقار:

- الفن - كل هذا الحديث عن الفن، إننى لا أفهم منه شيئا ولن أفعل، عليك أن ترى اللوحة التى رسمها كريل. لقد بدت الفتاة فيها وكأن ضرسها يؤلمها، إنها شيء كرهه لم أستطع أن انتزعها من خيالى بعد ذلك بوقت طويل. بل إننى حلمت بها، بالإضافة إلى أنها غيرت نظرتى للأشياء فبدأت أرى الخنادق والحوائل وكأنها تخرج من لوحة رسم - بل النساء أيضا.

ابتسم بوارو قائلا: رغم أنك لا تعرف ذلك فإنك تمتدح عبقرية امياس كريل بأكثر مما كان يتوقعه.

- هراء. لماذا لا يستطيع الرسام أن ينقل عن الطبيعة شيئا لطيفا يشبع البهجة - لماذا يذهبون سعيا وراء البشاعة والقيح؟

- إن بعضنا يا عزيزى يبحث عن الجمال فى أشياء قبيحة.

- لقد كانت الفتاة جميلة حقا. تضع مساحيق كثيرة ولا تضع ثيابا تذكر.

- إنك تتذكر كثيراً من التفاصيل، إذا فقد كان الشاهدان الرئيسيان ضد مسز كريل هما فيليب بليك واليزا جريز؟
- نعم ولقد كان كلاهما قاسياً متحمساً ضدها، لكن كلام المربية - وقد استدعيت إلى المحكمة أيضاً - كان له ثقل أكثر من الاثنين. كانت في صف مسز كريل كلية، كانت سيدة صادقة وأدلت بشهادتها بأمانة دون محاولة منها للتقليل من شأن ما قالت.

- وماذا عن ميرديث بليك؟

- كان حزينا للأمر برمته. ولقد أنب نفسه كثيراً لشرحه المستفيض عن العقاقير، ووبخه وكيل النيابة على ذلك أيضاً لأن الكونين مع بقية السموم تنطبق عليها قيود القانون. لقد كان صديقاً لكلا الطرفين وكان متأثراً جداً، ثم أنه كان - يحكم قضائه حياته كلها في الريف - رجلاً ساخطاً من عدم تسليط أضواء المجتمع عليه.

- ألم تأت أخت مسز كريل الصغرى للشهادة؟

- كلا، لم يكن ذلك ضرورياً فإنها لم تكن موجودة عندما حددت مسز كريل زوجها، ولم يكن هناك ما يمكنها أن تقول له لنا مما لم تكن نعرفه من الآخرين. لقد شاهدت مسز كريل تذهب إلى الثلجة وتأخذ البيرة المثلجة، ولقد كان يمكن للدفاع أن يستشهد بقولها إن مسز كريل لم تفعل شيئاً بالزجاجة وهي في طريقها إلى زوجها، لكن هذه النقطة لم تكن لها أهميتها فإن أحداً لم يدع أن الكونين كان في زجاجة البيرة.

- كيف إذن تمكنت من وضع الكونين في الكأس وكل من امياس

- حسنا، أولا وقبل كل شيء لم يكن أى منهما ينظر إليها. فمستر كريل كان يرسم ناظرا إلى اللوحة وإلى الموديل. أما اليزا جرير- فكانت كموديل تجلس معطية ظهرها لمسز كريل ونظراتها موجهة لما فوق كتفى مستر كريل. إذن فلم يكن أى من الاثنين ينظر فى اتجاهها. كان السم معها فى أنبوبة من تلك التى تملأ بها أقلام الحبر، وقد وجدناها محطمة فوق الطريق المؤدى للمنزل.

- إن لديك إجابة على كل سؤال.

- كل شيء واضح يا مستر بوارو. لقد هددت كارولين زوجها، وأخذت السم من المعمل، والزجاجة الفارغة وجدت فى غرفتها لم يلمسها أحد سواها. وهى التى أخذت عن قصد البيرة المثلجة إليه - وهو شيء غريب الحدوث عندما يكون الاثنان متخاصمين.

- شيء غريب جدا حقا. لقد لاحظت ذلك بالفعل.

- نعم، لقد لانت قليلا. لماذا أصبحت لطيفة هكذا فجأة؟ وهو يشكو من طعم البيرة والكونين له مذاق سيئ جدا. وهى التى ربت لاكتشاف الجثة، وأرسلت المربية عائدة إلى التليفون. لماذا؟ حتى تستطيع أن تمسح ما على الزجاجاة والكأس من آثار أصابعها، وتضغط أصابعه هو بدلا منها، وبعد ذلك تستطيع أن تقول أنه انتحر. قصة محتملة.

- إنها لم تكن مخططة فى الخيال بأحكام حتى تنال البراءة.

- كلا لأنها لم تفكر فى الأمر كثيرا. لقد أكلتها الكراهية والغيرة. كل ما فكرت فيه هو التخلص من زوجها. لكنها عندما أتمت فعلتها،

عندما رآته هناك ميتا وأدركت فداحة جرمها، وأنها ستشنق بسبب قتلها له اضطرت لى تنفذ حياتها أن تدعى أنه انتحر.

- إن ما تقوله معقول جدا، لابد أن تفكرها أملى عليها ذلك.

- من ناحية ما فإنها جريمة مدبرة مقصودة، ومن ناحية أخرى فهي ليست كذلك. لا أعتقد حقيقة أنها فكرت فى الجريمة بامعان، بل انطلقت تنفذها بطريقة عمياء. هل اقتنعت يا مستر بوارو؟

- تقريبا وليس كلية، فهناك نقطة أو اثنتان..

- هل لديك نظرية أخرى يمكن أن تكون أكثر معقولة؟

- ماذا كانت تحركات الأشخاص الآخرين فى صباح ذلك اليوم؟

- لقد فحصنا ذلك كله كما أستطيع أن أؤكد لك. لم يحاول أحد منهم أن يثبت تواجده بعيدا عن الجريمة، لا يمكن لأحد ذلك. فليس هناك ما يمنع شخصا يزعم ارتكاب جريمة قتل من أن يعطى شخصا آخر قرصا زاعما أنه لتسهيل عملية الهضم، وأن عليه أن يبتلعه قبل تناول الغداء، ثم يرحل إلى مكان آخر على بعد آلاف الأميال.

- لكنك ما تظن أن هذا هو ما حدث فى هذه القضية؟

- إن مستر كريل لم يكن يعانى من سوء الهضم، ولا أستطيع أن أرى هذا يحدث فى هذه القضية. حقيقى أن مستر ميرديث بليك كان يمدح فائدة العقار فى شفاء بعض الأمراض، لكن ليس هناك ما يوحى بأن كريل قد حاول ذلك. ولو أنه فعل لذكر ذلك ولو على سبيل الدعاية. ولكن لماذا يريد ميرديث بليك أن يودى بحياة كريل؟ كل شيء يوحى بأنهما كانا على وفاق تام. والجميع كانوا كذلك حقا. ففيليب

بليك كان أحب أصدقائه إليه، واليزا جرير كانت واقعة في غرامه. ورغم أن مس وليامز المربية كانت تعترض على أفعاله لكن اعتراضاتها الأخلاقية لا يمكن أن تؤدي بها إلى أن تسمه. أما مس وارن، أخت كارولين فرغم أنها كانت تعاكسه كثيرا إلا أنه كان مغرما بها إلى أقصى حد، وكانت هي أيضا مغرمة به. لقد كانت تتلقى معاملة رقيقة خاصة من كل من في المنزل، ولابد أنك سمعت أنها قد أصيبت بجرح بالغ في صغرها أثناء ثورة غضب جامح من أختها كارولين. وهذا يوضح أنها إنسانة من النوع الأهوج الذي لا يسيطر على عواطفه، أليس كذلك؟ وذلك بدليل ضربها لأختها وتشويهها إلى الأبد.

- إن هذا يوضح أن انجلا وارن كان لديها سبب قوى لكرهية أختها كارولين كريل.

- ربما ولكن ليس ضد امياس كريل. وعلى أية حال فكارولين كانت تحب أختها حب عبادة وتكرس حياتها لها بعد أن أوتها في بيتها بعد موت والديها. وكانت تعاملها بالعطف والحنان بإسراف لدرجة أفسدتها. ولقد كان واضحا أن الفتاة مغرمة بكارولين، ولقد أبعدوها عن المحاكمة بناء على اصزار مسز كريل نفسها. لكن الفتاة لما عرفت ضايقتها هذا جدا، وكانت ترغب بأى طريقة في أن تذهب لرؤية أختها في السجن. لكن كارولين لم توافق على ذلك مطلقا. قالت إن مثل هذه الزيارة ستفسد عقلية الطفلة مدى الحياة. ولقد رتبت لها أن تذهب إلى مدرسة داخلية في الخارج.

وتوقف لحظة قبل أن يردف قائلا:

- لقد أصبحت مس وارن الآن امرأة لها شهرتها، تسافر

للاستكشافات وتحاضر في الكلية الملكية الجغرافية... إلخ.

- ولا أحد يتذكر محاكمة أختها؟

- إن أسماءهما مختلفة فقد كانت لهما أم واحدة، ولكن الأبوين مختلفان فقد كان والد كارولين يدعى سبولدنج.

- من الذي كانت تعتنى به المربية وليامز، الطفلة أم انجلا وارن؟

- انجلا وارن. لقد كانت هناك ممرضة خاصة للطفلة، لكنها أيضا كانت تتلقى دروسا خفيفة على يد مس وليامز كل يوم كما أعتقد.

- أين كانت الطفلة في ذلك الوقت؟

- كانت مع المربية في زيارة لجدها، وهي الليدي ترسليان التي مات زوجها وفقدت ابنتيها الصغيرتين فاغرمت بهذه الطفلة. أما عن تحركات بقية الأشخاص في يوم الجريمة فكانت كالتالي:

بعد الافطار جلست اليزا جرير في الشرفة بالقرب من نافذة حجرة المكتبة، ومن مكانها استطاعت أن تسمع المشاجرة بين كريل وزوجته. وبعد ذلك اصطحبها كريل إلى حديقة المدفعية. وجلست كموديل له وقت الغداء، وقد توقف الرسم مرة أو اثنتين حتى تريح عضلاتها.

أما فيليب بليك فكان في المنزل بعد الافطار، وسمع جزءا من المشاجرة أيضا، وبعد ذهاب اليزا جرير مع كريل أخذ يقرأ بالصحيفة حتى اتصل به شقيقه تليفونيا، ومن ثم فقد هبط إلى الشاطئ ليلقاه. وقد صعدا الطريق سويا إلى المنزل، مارين مرة أخرى بحديقة المدفعية. كانت مس اليزا جرير قد ذهبت لتوها إلى المنزل لتأتي بمعطفها، إذ أنها كانت تشعر بالبرد، في حين كانت كارولين كريل مع

زوجها يتناقشان في مسألة رحيل انجلا إلى المدرسة.

- هل كان حديثا وديا؟

- حسنا، كلا، لم يكن كذلك. فلقد كان كرييل يصيح فيها لأنها كانت تضجيره بهذه الأمور المنزلية. اعتقد أنها كانت تريد أن تستقر كل الأمور إذا كان هناك انفعال سيتم. تبادل الأخوان بليك بضع كلمات مع امياس كرييل، ثم ظهرت اليزا عائدة، وأخذت موضعها، والتقط كرييل فرشاته مرة أخرى، بما أوحى إليها أنه يريد التخلص منها، مهتما بما أراده، وابتعدا في اتجاه المنزل. - وعلى فكرة - أشاء حديثهما معه شكا كرييل من أن البيرة الموجودة بالقرب منه ساخنة، وأن زوجته وعدته بأن ترسل إليه بيرة مثلجة. آه....

- بالضبط، آه.... لقد كانت زوجته طيبة لطيفة عندئذ. ولقد وصلا إلى المنزل ليجلسا في الشرفة الأمامية، فأحضرت لهما مسز كرييل وانجلا وارن البيرة. وفيما بعد ذهبت انجلا للسياحة مصطحبة بليك معها. أما ميرديث بليك فقد ذهب إلى بقعة مفتوحة تطل مباشرة على حديقة المدفعية. كان يستطيع أن يرى من مكانه اليزا جرير متخذه وضعا فوق ذلك السرير الضخم، واستطاع أن يسمع صوتها وصوت كرييل يتحدثان. وجلس هناك يفكر في مسألة الكونين. كان لا يزال قلقا لا يعرف ماذا يفعل. لمحت اليزا ولوحت له بيدها. وعندما سمعوا الجرس معلنا طعام الغداء هبط ميرديث إلى حديقة المدفعية، واصطحب اليزا جرير عائدين إلى المنزل سويا. عندئذ فقط - كروايته - لاحظ أن شكل كرييل كان غريبا، لكنه لم يعلق على الأمر بشيء عندئذ. فإن كرييل لم يكن من ذلك النوع الذي يقع فريسة المرض

مطلقا، ولذلك لم يخطر في باله شيء بالمرة. ذلك بالاضافة على أنه معتاد على أن تعترى صديقه نوبات من الغضب والضييق والضحجر، وذلك حسبيما يروق له رسمه أم لا. وفي مثل هذه الحالات كان من الأفضل أن يترك المرء وشأنه. وهذا ما فعله الاثنان في تلك اللحظة.

أما بالنسبة للآخرين فالخدم كانوا مشغولين بالأعمال المنزلية وطهى طعام الغداء. ومس وليامز كانت في حجرة الدراسة تصحح بعض الكراسات، وبعد ذلك أخذت ترقب بعض الأشياء من الشرفة. أما انجلا وارن فقد قضت معظم اليوم متجولة في المنزل، تتسلق الأشجار وتاكل شيئا هنا وهناك... وهو ما تفعله فتاة في الخامسة عشرة من عمرها. وبعد ذلك عادت إلى المنزل واصطحبت فيليب بليك - كما قلت من قبل - للسباحة قبل الغداء....والآن يا عزيزى بوارو هل وجدت شيئا ليس في مكانه، شيء مفتل؟

- لا شيء على الإطلاق، ورغم ذلك فسوف استمر في المحاولة...

- ما الذى سوف تفعله؟

- سوف أقوم بزيارة هؤلاء الأشخاص الخمسة، ومن كل منهم سوف أحصل على وجهة نظره في الأحداث - على روايته لما حدث.

- يا عزيزى بوارو. لن تفهم رواياتهم مطلقا. الا تستطيع أن تدرك هذه الحقيقة البديهية البسيطة؟ ليس هناك من شخصين يتذكran نفس الشيء بترتيب حدوثه مطلقا. وبعد كل هذه السنين. إنك سوف تسمع خمس قصص مختلفة لخمس قضايا قتل.

- هذا هو ما أعول عليه. سوف يكون الأمر ممتعا ومفيد جدا.

الخنزير الصغير الذى ذهب للسوق

كان فيليب بليك يتطابق مع
الأوصاف التى وصفها به مونتاجو
بليتش. رجل غنى ناجح مرح يميل
قليلا إلى السمعة.

كان هركيول بوارو قد أعطاه موعدا فى الساعة السادسة والنصف
من بعد ظهر يوم السبت. ولما كان مزاجه معتدلا فقد استمع لما قاله
بوارو جيدا. شرح له بوارو مهمته التى فهم منها فيليب بليك أنه يجمع
مادة لكتابه عن الجرائم الغامضة، وعندما سئل بوارو لماذا يفعل ذلك
أجاب قائلا:

- إنه الجمهور يا سيدى، إنه الجمهور الذى يلتهم هذه الكتب
التهاما. إنها الطبيعة البشرية، إننى وأنت يا مستر بليك نعرف الطبيعة
البشرية على حقيقتها بلا خيال، ولكن ليس هذا هو الحال من الآخرين.

- لم تعد لى خيالات الآن - لقد هجرتها كلها.

- لكن ذلك لا يمنع أنك تروى قصصا ممتازة كما سمعت.

لمعت عينا فيليب بليك واسترخى فى مقعده بما أوحى لبوارو

بمنظر خنزير راض عن حياته وقال لنفسه: (ها هو الخنزير الذى ذهب إلى السوق. بدأ فيليب بليك رجلاً ناحجاً بلا هموم راضياً، بنجاحه، ليس له ما يتقل ضميره فى الماضى أو الحاضر. خنزير ذهب إلى السوق. لكن لابد أن فيليب بليك كان وسيماً يوماً ما ومتين البنية، ولكن ما عمره الآن؟ لابد أنه بين الخمسين والستين؟ لقد كان فى نحو الأربعين عندما وقع حادث مقتل كريل. قال بوارو:

- إذن فأنت تفهم موقفى؟

قال السمسار الناجح وهو ينتصب فى جلسته ويحدج فى محدثه:

- كلا، اذهب للجحيم إن كنت أفعل. لماذا أنت؟ هل أنت كاتب؟

- كلا، مخبر سرى.

- نعم، كلنا يعرف هركيول بوارو الشهير.

لكن ما فى الجملة من سخرية كان أكثر مما فيها من تقدير، وقد ضايق هذا بوارو فقال: يغربنى أنتى معروف لديك، إن نجاحى مصدره اعتمادى على علم النفس وأساسه السؤال الخالد - لماذا؟ يسلك البشر هكذا. إن هذا هو المثير فى عالم الجريمة اليوم يا مستر بليك. لقد اعتادت الجرائم أن تقتصر بالقصص الغرامية لكن الجريمة الآن مختلفة تماماً. إن الناس يقرأون باهتمام اليوم أن دكتور كريين قد قتل زوجته، لأنها كانت امرأة قوية ذات شكيمة، أما هو فكان إنساناً قليل الأهمية، وبذلك شعر بعقدة نقص تجاهها. وسمع الناس عن جريمة ارتكبتها امرأة لأن والدها وبخها وهى فى الثامنة من عمرها. إن مسألة لماذا؟ فى الجريمة هى ما يهم الناس اليوم.

- إن السبب فى معظم الجرائم هو المال.
- إن السبب يا عزيزى لا يمكن أن يكون واضحا . هذه هى النقطة.
- وهنا يجىء دورك؟
- بالضبط. إنهم يريدون إعادة كتابة بعض الجرائم من الناحية النفسية - علم النفس والجريمة، وقد قبلت تكليفى بهذه المهمة.
- ولكن ما دورى أنا؟
- قضية مقتل امياس يا سيدى العزيز.
- بدت الدهشة على وجه فيليب بليك وقال متأملا:
- أوه نعم، بالطبع قضية كريل.
- ألا تثير فيك الضيق يا مستر بليك؟
- لن يفيد الشعور بالضيق من شيء لا يمكنك التحكم فيه. إن محاكمة كارولين كريل ملك للناس، وفى إمكان أى شخص أن يكتب عنها ما يريد، ولا فائدة من الاعتراض على ذلك. إننى أكره الحديث عنها طبعاً لأن امياس كريل كان أعز أصدقائى، ويؤسفنى أن يحرك أحدهم الرماد مرة أخرى، ولكن مثل هذه الأشياء تحدث والاعتراض عليها كضرب الرأس فى الحائط، وربما كان تناولك لها أفضل من تناول الآخرين.
- أرجو أن أكتب عنها دون خدش لأحد.
- يضحكنى أن أسمعك تقول ذلك.
- أؤكد لك يا مستر بليك أننى مهتم بالموضوع حقاً. إن الأمر ليس

مجرد مسألة نقود بالنسبة لى، إننى فى الحق أريد خلق الماضى مرة أخرى. أن أرى وأسمع الأحداث التى وقعت وأن أتخيل أفكار ومشاعر الممثلين فى هذه الدراما .

- إننى لا أرى فى المسألة شيئاً غامضاً، فكل ما هنالك هو غير امرأة.

- سيسعدنى يا مستر بليك أن أسمع منك مشاعرك تجاه الحادث.

- مشاعرى. إننى لم أقف ساكناً لأشعر. إنك لا تبدو وكأنك تفهم كيف كان أميلاس كريل صديقى، ولقد مات هذا الصديق - قتل ووضع له السم ولو أننى تصرفت بسرعة لكنت أنقذته من الموت.

- وكيف ذلك يا مستر بليك؟

- إنك طبعاً قرأت وقائع القضية، حسناً، فى ذلك الصباح حدثنى شقيقى ميرديث فى التليفون وهو فى قمة القلق والضيق لأن الكونين قد اختفى من الزجاجاة. فماذا فعلت؟ قلت له أن يأتى لتناقش الأمر سوياً ونقرر ما يجب فعله. إنه ليؤرقتنى اليوم أننى كنت إنساناً متردداً هكذا. كان لايد لى أن أدرك أنه ليس هناك وقت أضيعه. كان من واجبى أن أذهب إلى اميلاس وأحذره. كان يجب أن أقول له أن (كارولين قد سرقت أحد سموم ميرديث وعليك أنت واليزا جرير أن تأخذا حذرهما).

ونھض فيليب بليك واقفاً فى عصبية وانفعال واستطرد:

- بالله يا رجل ألا تدرك أننى قلبت الأمور فى عقلى آلاف المرات.

لقد كانت لدى الفرصة لأنقذه لكننى أضعتها بأن انتظرت ميرديث. لماذا لم أدرك أن كارولين لم يكن لديها مثل هذا التردد. لقد أخذت السم لتستخدمه، وأنها ستستخدمه فى أول فرصة تتاح لها، وأنها لم

تكن لتنتظر حتى يكتشف ميرديث ما سرق من زجاجة.

- كنت أعرف أن امياس كرييل كان فى خطر داهم، لكننى لم أفعل شيئاً.

- أعتقد أنك تؤنب نفسك بلا سبب - لم يكن لديك وقت لكى - .

- وقت؟ لقد كان لدى وقت طويل. كان أمامى أن أختار طريقاً عديدة. كان أمامى أن أذهب إلى كرييل وأقول له. لكنه كان من الممكن ألا يصدقنى بسهولة فهو ليس من ذلك النوع من الرجال، ولأنه لا يمكن أن يصدق أن كارولين يمكنها أن تفعل ذلك. لكن كان يمكننى أن أذهب إلى كارولين بنفسها وأقول (إننى أعرف ما تزعمين عمله وأعرف ما تخططين له. ولكن إذا مات امياس بفعل الكونين فسوف تشنقين جزءاً لذلك). إن ذلك كان يمكن أن يوقفها. أو كان يمكننى أن اتصل بالشرطة - لكننى بدلاً من ذلك كله تركت نفسى فريسة لبطء وحرص ميرديث. قال لى (لابد أن نكون واثقين من الشخص الذى أخذه). يا له من عجوز أحمق - إنه لم يتخذ قراراً واحداً بسرعة فى حياته. من حسن حظه أنه كان الابن الأكبر، ومن ثم ورث الضيعة لكى يعيش عليها، فلو أنه حاول ليكسب مالا لفقد كل ما لديه.

- ألا يساورك الشك أنت نفسك فيمن أخذ السم؟

- كلا بالطبع. عرفت على الفور أنها كارولين، ذلك لأننى كنت أعرف كارولين جيداً.

- هذا مثير يا مستر بليك، إننى أريد أن أعرف أى نوع من النساء كانت كارولين كرييل؟

- إنها لم تكن البريئة الساذجة التى ظنّها الناس وقت المحاكمة.

- من كانت إذن؟

جلس بليك مرة أخرى فى مقعده وظهرت عليه الجدية وهو يقول:

- كانت مأكرة بكل ما تحمل الكلمة من معنى. تذكر أنها كانت جميلة، الجمال والأسلوب الذى يخدع الناس. كانت لها نظرة مستعطفة يائسة تلح على مشاعر الناس وشهامتهم. ولابد أن هذه الصفات نفسها كانت لمارى ملكة اسكتلندا. دائما رقيقة سيئة الحظ، لكنها بالفعل امرأة ذكية مدبرة مأكرة تخطط للقتل فى برود.

لا أعرف إذا كان قد قيل لك هذا أم لا - إنها نقطة ليست لها أهمية فى القضية - ماذا فعلته كارولين لأختها وهى طفلة؟ عندما تزوجت أمها مرة أخرى، ووجدت أن العطف والحنان يتجهان نحو الصغيرة انجلا، لم تستطع كارولين أن تتحمل ذلك. فحاولت أن تقتل الطفلة بأن ألقت على رأسها قضيبا من الحديد ومن حسن الحظ أن الضربة لم تكن مميتة لكنها كانت شيئا فظيعا بالطبع.

- نعم بالتأكيد.

- حسنا هذه هى كارولين الحقيقية. كانت تريد أن تكون الأولى على الدوام، ولم تكن تحتل أن تكون غير ذلك. والطبيعة الشيطانية الباردة الأنانية فى داخلها هى التى أدت بها إلى القتل. بدت للناس سريعة الانفعال، لكنها كانت مأكرة خبيثة. وعندما كانت تأتى إلى ضيعة أولبرى وهى صغيرة كانت تنفذ خططها علينا جميعا. لم يكن لديها مال يخصصها، لكنها أخذت تقلب فينا اختيارها: فكرت فى ميرديث أول الأمر، ثم تحولت إلى امياس لأنه كان سيرث أولبرى، ورغم أنها أدركت

أن ذلك لم يكن مالا كثيرا فإنها كانت تعرف أن له موهبة قد تأتي بالكثير، وقد قامرت على عبقريته، وكيف ستأتى بمال وفير.

ولقد فازت، فلقد أتت الشهرة لامياس مبكرا . تحقق الناس من موهبته واشتروا لوحاته. هل رأيت إحداها؟ لدى واحدة فتعال لنراها.

قاد الطريق إلى حجرة الطعام وأشار إلى الحائط وقال:

- هاك هي، إحدى لوحات امياس كريل.

نظر بوارو فى صمت، وأدهشه أن يستطيع رجل أن يضفى على موضوع جامد سحره الخاص. صبة من الورد على منضدة خشبية. لكنها كانت ورودا حية على منضدة تكاد تتحرك. كانت لوحة مثيرة. إن مثل هذه المنضدة والزهور كانت ستثير حفيظة المفتش هالى. فلم تكن زهورا عادية أو منضدة تقليدية. قال فيليب بليك وهما يعودان إلى مجلسيهما:

- هذا هو الرجل، ورغم أننى لا أفهم فى الفن لكنها شئ ممتاز، وهو نفس الرجل الذى رسم (امراة الكوكتيل) وغيرها، هذا هو الرجل الذى حرم من الحياة وهو فى ريعان الشباب، ذلك بسبب امرأة غيورة حاقدة.

والثقل أنفاسه ثم قال بصوت أقل انفعال:

- سوف تقول أننى متحيز ضد كارولين. لكننى كنت أشعر بما لها من سحر، ومن هى المرأة خلف ذلك - امرأة شريرة يا مستر بوارو، حاقدة قاسية.

- لكنه قيل لى أيضا أن مسز كريل تحملت كثيرا فى حياتها الزوجية؟

- نعم، لكن لم تجعل من ذلك شيئا معروفا للجميع، إنها الضحية

على الدوام، لكن امياس البائس الذى تحمل حياته الزوجية كجحيم مستمر هو المألوم، لقد كان له فته على الدوام. كان فته هو المهرب الذى يلجأ إليه. كان عندما يرسم لا يكثرث بكارولين أو مضايقاتها ومشاجراتها. لم تكن تتوقف عن الشجار مطلقا، هذا الأسبوع بسبب شيء والأسبوع التالى بسبب شيء آخر. كانت لا تتوقف عن الشجار وكأنه يحفزها ويثيرها وينفس عنها، فتقول فيه كل ما يعن لها. لكن ذلك كان يخنقه لأنه كان يريد الهدوء. إن رجلا مثله لم يكن له أن يتزوج مطلقا. كان له أن ينشأ علاقات نسائية لكن بلا زواج.

- هل كان يسر إليك بأسراره؟

- حسنا، كان يعرف أننى مخلص له، فكان يتركنى أرى الأشياء بنفسى. لم يكن يشكو فليس هو هذا النوع من الرجال. لكنه كان يقول أحيانا (اللعة على النساء جميعا). أو (لا تتزوج مطلقا يا فيليب. لو كنت تريد الجحيم فانتظره فيما بعد هذه الحياة).

- هل علمت بارتباطه القوى باليزا جرير؟

- نعم على الأقل كنت أرى الارتباط فى الطريق. كان قد قال لى أنه التقى بفتاة رائعة، فتاة مختلفة عمن رآهن طوال حياته. لم ألق التفاتا لذلك، فامياس كان يلتقى بفتاة أو أخرى تكون (مختلفة) وكان معتادا

- بعد شهر أو نحوه أن يدهش حين تذكرها له مرة أخرى. لكن اليزا جرير هذه كانت حقا مختلفة. تحققت من ذلك عند قدومى إلى أولبرى للبقاء بعض الوقت - خلبت ليه وأوقعتة فى حبها.

- إنك لم تكن تحب اليزا جرير أيضا؟

- كلا، لم أحبها، كانت بالتأكيد محبة لما يملكه الآخرون. كانت هي أيضا تريد امتلاكه روحا وجسدا، لكنني كنت أتوقع أن تكون أفضل من كارولين. ربما كانت ستتركه لشأنه حالما تثق فيه، أو ربما كانت ستمله وتتصرف عنه إلى شخص آخر. كان أفضل شيء بالنسبة لامياس هو أن يتخلص من آثار المرأة.

- لكن هذا لم يكن بالضبط مزاجه الخاص؟

- إن الأحقق كان على الدوام يرتبط بامرأة أو بأخرى، لكنهن لم يكن يعنين الكثير بالنسبة له. والمرأتان اللتان كان لهما أثر يذكر في حياته هما زوجته كارولين واليزا جريير.

- هل كان كريل مغرما بالطفلة؟

- تقصد انجلا، أوه، لقد كنا جميعا مغرمين بانجلا، كانت دائما مندمجة في شيء أو آخر. نعم كان امياس مغرما بها، لكنها أحيانا كانت تصرط في الاعيبيها، وعندئذ كان يغتاظ منها جدا. أما كارولين فكانت تقف في صفها على الدوام، وكان هو يكره هذا تماما، بل كان يغار من هذا الأسلوب في المعاملة. ومن هنا كان قراره أن تذهب الفتاة إلى المدرسة ذلك الخريف، لكن انجلا غضبت جدا لهذا السبب، ليس لأنها كانت تكره الفكرة نفسها وإنما كان بسبب أسلوب امياس في اتخاذ قراره واصراره عليه. حاولت كل ما في وسعها انتقاما منه، حتى أنها وضعت عشرة ديدان في فراشه. على أية حال كان امياس على صواب، فقد كان الأوان قد حان لتتعلم الفتاة بعض النظام. كانت المربية وليامز على مقدرة وكفاءة، لكنها اعترفت أن الفتاة كانت تفلت من سيطرتها.

- عندما سألتك عن حب امياس للطفلة كنت أقصد طفلة هو.
- تقصد كارلا الصغيرة. لقد كانت طفلة مدللة جدا وكان يسره أن يلعب معها عندما يكون رائق المزاج. لكن عاطفته نحوها لم تكن لتمنعه من الزواج من اليزا إذا كان هذا هو ما تقصده.
- هل كانت كارولين تهتم بالطفلة؟
- لا أستطيع القول أنها لم تكن أما طيبة، لا، لا أستطيع أن أقول ذلك. إن هذا هو الشيء الوحيد الذى أسف من أجله فى هذه القضية
- الطفلة، ها هى خلفية حياتها مأساة حقيقة. لقد أرسلوها إلى الخارج، إلى ابنة عم امياس، وأنا أمل أن يكونوا قد تمكنوا من إخفاء الحقيقة عنها.
- الحقيقة يا مستر بليك لابد أن تعرف ولو بعد سنوات عديدة. ومن أجل هذه الحقيقة سأسلك أن تفعل لى شيئا. أن تكتب لى بالتفصيل كل الأحداث التى وقعت فى أولبرى فى تلك الأيام. بمعنى سرد كامل للظروف التى صاحبت الجريمة.
- لكن يا عزيزى بعد كل هذه السنوات؟ لن أكون دقيقا بالطبع.
- ليس هذا ضروريا، ومن ناحية أخرى فإن مرور الزمن يجعل العقل يحتفظ بالحقائق الرئيسية ويهمل الأمور التافهة.
- هل تقصد إذن أن يكون سردا عاما؟
- كلا على الإطلاق، بل أقصد أن يكون تفصيلا دقيقا لكل حدث بمفرده وكل محادثة جرت على مسمع منك ولا زلت تتذكرها.

- افترض أنني تذكرتها بطريقة خاطئة؟

- ربما ستكون هناك فجوات، لكن هذا شيء لا يمكن التغلب عليه.
نظر إليه فيليب بليك بدهشة وقال: ولكن ما هو الهدف؟ إن ملفات الشرطة ستعطيك تفصيلا أكثر دقة بكثير.

- كلا يا مستر بليك، إننا نتحدث الآن من الناحية النفسية، إنني لا أريد حقائق مجردة، بل أريد حقائق تختارها أنت، وعامل الزمن وذاكرتك مسئولين عن هذا الاختيار. إن هناك كلمات قيلت وأفعال تمت، لم أجد لها انكاسا في ملفات الشرطة. كلمات ربما لا تكون أنت قد ذكرتها مطلقا، لأنك اعتبرتها عندئذ بعيدة عن الموضوع أو غير هامة.

- هل تقريرى هذا للنشر؟

- كلا بالطبع، لن يراه سوى كى يساعدنى فقط للخروج باستنتاجاتى.

- ولن تقتبس من تقريرى هذا فقرات دون موافقتى.

- طبعاً وأنا أقدر أنك رجل أعمال وسوف يكلفك هذا جهداً ووقتاً ومن ثم فإننى أقبل أن أدفع لك أجراً معقولاً. تلت ذلك فترة صمت ثم قال فيليب بليك فجأة: كلا سوف أقوم بذلك ولكن بلا مقابل، لكن تذكر أنني لا أضمن الدقة فيما أكتبه.

- إن هذا مفهوم تماماً.

- إذن فسوف أقوم به فإننى أشعر بأنى مدين - بطريقة ما لامياس كريل.

الخنزير الصغير يبقى فى المنزل

لم يكن هيركيول بوارو بالرجل الذى
يهمل التفاصيل، ولذلك فقد كان
اقترايه من ميرديث بليك مدروسا
بعناية، وحيث كان ميرديث مختلفا
تماما عن شقيقه فقد كان أسلوبه
هو الاقتراب ببطء واكتساب ثقته.
ولم يكن اكتساب ثقة ميرديث بليك
لتأتى بطريق أحد المعارف ليقدمه
له. كان بوارو يعرف ليدى مارى
ليتونجور التى قامت بواجب
التعريف، وكان أن استقبل ميرديث
بليك ببعض الحيرة.

لم يكن بوارو بالنسبة له سوى مخبر سرى، ولم يكن المرء ليرى
هؤلاء الناس سوى فى مناسبات خاصة تتضمن أعمالا ليست فوق
مستوى الشبهات. لكن طالما كانت ليدى مارى ليتونجور هى التى كتبت
(إن هيركيول بوارو صديق قديم له قدره. أرجوك أن تفعل ما فى
وسعك من أجله). فإنه لا ضير عليه أن يستقبل الرجل.

وها هو الرجل أمامه بشخصه ولحمه. إن منظره لا يتفق مطلقاً مع ما تخيله ميرديث بليك. كان هذا ما قرأه هيركيول بوارو في أفكار ميرديث وأثار حيرته. كانت هذه الحيرة قد أملت به وهو يهبط من القطار في تلك المنطقة - المكان الفعلي الذي جرت فيه أحداث القضية التي يبحثها. وها هو في هاندكروس الضيقة التي عاش فيها الأخوان، وكانا يذهبان منها إلى أولبرى ليلعبان التمس مع اميلاس كريل وهتاة تدعى كارولين، ومن هذا المكان بدأ ميرديث بليك رحلته في ذلك الصباح المأساوي منذ ستة عشر عاماً، وها هو الرجل نفسه أمامه ينقلب مع ما تخيله عنه بوارو. رجل عجوز، بعينين زرقاوين شاحبين، يرتدى ملابس قديمة، له مسلك متردد، يأخذ وضعا في القيام بالأشياء، وقد تطبع بالريف وهدوئه حتى العظام.

لم يحاول بوارو أن يبدو انجليزيا، فليس هناك فائدة من ذلك، ولهذا بدأ يتحدث عن ليدي ماري ليتونجور وزوجها حتى استطاع أن يصل الهدف من زيارتها، وبالتالي كان لذكره للكتاب الذي ينوي وضعه أثر مخفف على ميرديث الذي لم يخف غضبه بل قال:

- إنه شيء وحشي أن ينسب الناس أظافرهم في أشياء حدثت منذ ستة عشر عاماً، لماذا لا يتركوا الأشياء كما هي؟

- إنني أتفق معك، ولكن ماذا نفعل؟ إن هناك طلباً على مثل هذه الأشياء، وكل امرئ حر في إعادة بناء جريمة تمت والتعليق عليها. إننا نعيش في عصر حرج يا مستر بليك، وسوف يدهشك أمر الكتب المنشورة، والتي حاولت مراراً أن أخفف من وقعها، وسوف أحاول في هذه القضية أيضاً أن أراعي مشاعر مس كريل التي تدعى الآن مس ليمارشنت.

- هل تقصد كارلا الصغيرة؟ الطفلة؟ هل أصبحت امرأة ناضجة.
إن المرة لا يصدق ذلك.

- أعرف، لكن الزمن يمر بسرعة والفتاة الآن مصرة على أن تعرف
كل ما يمكن معرفته عن الأحداث الحزينة التي وقعت في الماضي.

- لماذا؟ لماذا نحرك الرماد من جديد، إنه لمن الأفضل كثيرا أن
يتترك كل شيء على حاله لكي ينسى.

- لأنك يا مستر بليك - تعرف كل ما حدث في الماضي جيدا، لكن
مس كريل لا تعرف عنه شيئا سوى ما جاء بالتقارير الرسمية.

- آه لقد نسيت ذلك، يا للفتاة المسكينة، لابد أنها في موقف سيء،
والصدمة التي عانت منها عندما عرفت الحقيقة من تلك التقارير
القاسية عن المحاكمة.

- إن الحقيقة يا مستر بليك لا يمكن التوصل إليها من التقارير
القانونية. والأشياء التي لا تتضمنها التقارير قد يكون لها أهمية كبرى.
المشاعر - العواطف، وشخصيات الممثلين في الدراما - ثم الظروف
المخفية. وما أن نطق بهذه الكلمة حتى بدأ الآخر يقول في حماس
وكانه مثل من جاءه الوحي:

- الظروف المخفية! هذا هو. لو أنه كانت هناك ظروف مخفية لأي
مجرم لكانت متوافرة في هذه القضية. إن أمياس صديق قديم، وعائلته
وعائلتنا كانا على حسن جوار لأجيال عديدة، لكن على المرة أن يعترف
أن سلوكه كان مثيرا للحنق. لقد كان فنانا، وهذا ما قد يبرر سلوكه،
ولكن خطأه هو أنه تسبب في علاقات غريبة كى تتشأ. إن الموقف لم

يكن ليسمح لرجل على خلق وقيم لأن يتحملة ولو للحظة واحدة.

- يسرني أن أسمع منك ذلك. لقد أدهشني هذا الموقف فكيف لرجل له مثل هذه الأسرة النبيلة أن ينطلق في علاقاته بهذا الشكل.

لمعت عينا ميرديث الشاحبتين وقال:

- لكن المسألة هي أن امياس لم يكن رجلا عاديا - كان رساما، وبالنسبة له فالرسم يجيء في المرتبة الأولى - إنني لم أفهم نظرة هؤلاء الفنانين. لقد فهمت كرييل قليلا لأنني كنت أعرفه طوال عمري وعائلته تعرف عائلتي. وفيما عدا مسألة الفن هذه كان منضبطا مع المقاييس العامة. بعض الناس يقولون أنه عبقرى وربما يكونون على حق لكنه بالنسبة لي كان مجنوننا. وعندما كان يرسم لوحة لم يكن شيء سواها. لم يكن ليسمح بشيء أن يقف في طريقها. كان عندئذ كرجل يعيش في حلم، ولا يكاد يتم اللوحة حتى يعود لممارسة الحياة العادية.

ونظر ميرديث لبوارو وعندما أومأ الأخير دليلا على الفهم استطرد: إنك تفهم ما أعنيه- حسنا، إن ذلك يفسر لماذا نشأ مثل ذلك الموقف. كان يحب تلك الفتاة، كان يريد أن يتزوجها بعد أن يطلق زوجته من أجلها. لكنه كان قد بدأ اللوحة. وكان يريد أن يتمها، ولم يكن هناك شيء في الحياة أهم من ذلك - لم يكن يرى شيئا آخر، ولم يخطر له أن الموقف كان مستحيلا بالنسبة لكلتا المرأتين.

- ألم تفهم أي منهما موقفه؟ أوه، أعتقد أن اليزا فعلت ذلك. كانت متحمسة تماما لرسمه. لكنه كان موقفا ضعبا بالنسبة لها، أما كارولين - آه - لقد كنت على الدوام معجبا بكارولين، وقد مر بي وقت كنت

أريد أن أتزوجها فيه، لكن هذا الشعور قتل في مهده طبعاً - لكنى
طللت مكرساً حياتى.. لخدمتها.

وفكر بوارو فى هذه الجملة الأخيرة البسيطة، إنها تعبر أحسن
تعبير عن موقف ميرديث التقليدى، إنه من نوع الرجال الذى يكرس
حياته من أجل امرأة. إنه سيخدم محبوبته بإخلاص دون أى أمل فى
مكافأة. نعم، إن هذه الجملة تكشف عن شخصيته تماماً.

قال بوارو: لا بد أنك نقيمت على هذا الموقف ووقفت إلى جوارها؟

- نعم. لقد فعلت حتى أننى وجهت اللوم إلى كريل بشأن هذا الموضوع.

- ومتى كان ذلك؟

- فى اليوم السابق للحادث. لقد حضروا لتناول الشاي هنا كما
تعرف، وانتحيت بكريل جانباً وقلت له ما أريد - قلت له إن ذلك لم
يكن عدلاً بالنسبة لكليهما - لم أكن أعرف أنه يدرك الموقف.

- ربما لم يكن يفعل؟

- قلت له أنه يضع كارولين فى موقف غير محتمل تماماً، وإذا كان
ينتوى الزواج من تلك الفتاة فما كان له أن يحضرها إلى المنزل لتلقى
بالإهانات فى وجه كارولين - لقد كان فى ذلك إهانة لها.

- وماذا كانت إجابته على ذلك؟

قال ميرديث وإمارات الاستياء والتقرز بادية على وجهه.

- لقد قال أن على كارولين أن تتلع الإهانة.

- إنها ليست إجابة متعاطفة مطلقاً.

- إنها كريهة. ولقد فقدت هدوئي عندئذ. وقلت له أنه لا يهتم بزوجه ولا يهتم ما تعانيه ثم سألته عن الفتاة - ألم يكن يضعها في موقف سيئ للغاية. وكانت إجابته هي أن على اليزا أن تبذل الموقف هي الأخرى. ثم استطرد قائلاً أنك لا تفهم يا ميرديث أن اللوحة التي أرسمها الآن هي أفضل ما فعلت حتى الآن. إنها عمل جيد ولن أسمع لامرأتين غيوريتين بأن تفسداها لم يكن هناك فائدة من التحدث إليه وعندما قلت له أن الرسم لم يكن كل شيء قاطعني قائلاً: أنه كذلك بالنسبة له. وعندما قلت له أنني أشعر بالأسى على كارولين لأنها قاست كثيراً في حياتها معه قال أنه يعرف ذلك وهو آسف على هذا، ولكنه كان قد حذر كارولين من نوع الحياة مع من كانوا مثله.

وعندئذ قلت له بوضوح أنه ليس عليه أن يهدم حياته الزوجية، فهناك الطفلة التي لابد أن يضعها في اعتباره، وأنه من أجل اليزا نفسها يجب أن ينهي علاقته معها لأنها صغيرة جداً وسوف يتدمر على ذلك عندما تتقدم به السن، وسألته ألا يستطيع أن ينهي تلك العلاقة ويعود إلى زوجته؟ وماذا كانت إجابته؟

- بدا محرجاً وريت على كتفي قائلاً: إنك فتى طيب يا ميرديث لكنك عاطفي أكثر من اللازم. انتظر حتى أتم اللوحة وسوف ترى عندئذ أنني كنت على حق. قلت له: (اللجنة على لوحك). لكنه ابتسم وقال (أن كل نساء انجلترا لم يكن ليعلم ذلك). وعندما سألته ألم يكن من الأفضل أن يحتفظ بالأمر سرا حتى يتم اللوحة. أجاب: بأن هذه لم تكن غلطته، وأن اليزا جرير هي التي أفسدت بالسر. وعندما سألته عن السبب أجاب أنه في اعتقادها لم يكن الأمر ليستقيم بغير ذلك.

أرادت أن يكون كل شيء واضحاً معروفاً. إن ذلك قد يكون مفهوماً طبعاً من جانبها، ورغم سوء سلوكها فقد كانت على الأقل مخلصاً. لقد كان موقفاً عصيباً بالنسبة لنا جميعاً.

- يبدو أن الشخص الوحيد الذي لم يتأثر كان هو امياس كريل؟

- ولماذا؟ لأنه كان أنانياً محباً لنفسه، إنني أتذكره وهو يقول لي وهو يبتسم (لا تقلق يا ميرى. إن كل شيء سيصبح على ما يرام). لقد كان من صنف الرجال الذين لا يهتمون بمشاعر النساء وقد كنت على وشك أن أقول له أن كارولين على وشك أن تقوم بعمل يائس.

- هل قالت هي ذلك؟

- ليس بهذا التحديد. لكنني سوف أتذكر وجهها دائماً بعد ظهر ذلك اليوم، شاحب متوتر تحاول أن تغطي ذلك بافتعال المرح. كانت تتحدث وتضحك كثيراً لكن عينيها كانتا توحيان باليأس والمرارة. لقد كانت مخلوقاً رقيقاً تماماً.

كان ميريث بليك الآن قد ترك تحفظه جانباً وبالنسبة لمن هم مثله فإن للماضى سحره الخاص. بدأ يتكلم الآن وكأنه يحدث نفسه:

- كان لابد لي أن أشك في شيء. إن كارولين هي التي تحولت بالحديث إلى هوايتي للمحاليل والأعشاب. والمقاوير. إن هناك نباتات كانت تستخدم في استخراج الأدوية منذ زمن لكنها لم تعد في القائمة المعتمدة للأدوية الآن. ومن الغريب أنه يمكن استخدام بعض الأعشاب بطريقة بسيطة للعلاج دون اللجوء إلى الأطباء إنني أجد متعة في جمع الأعشاب وتجفيفها. ومن الكونين ذلك الذي لم يعد موجوداً في

الفاروماكوبيا . ولقد أثبت فائدته فى حالة السعال وحالات أخرى.

- هل تحدثت عن ذلك كله فى معملك؟

- نعم، تجولت معهم فيه وأنا أشرح لهم العقاقير المختلفة،
الفاليريان وكيف يجتذب القطط، ولقد كانوا جميعا مبهورين مهتمين.

- من الذى تمنيه بهم؟

بدت الدهشة على ميرديث بليك وكأنه نسى أن محدثه لم يكن له
علم بالموضوع: المجموعة كلها.. شقيقى فيليب وامياس وكارولين
وانجلا ثم اليزا جرير.

- هؤلاء فقط؟ نعم أظن ذلك. من الذى كان يجب أن يكون معهم؟

- ظننت أن المربية كانت..

- كلا، إنها لم تكن معهم بعد ظهر ذلك اليوم، لقد نسبت اسمها
الآن. كانت امرأة طبية تزاول عملها فى جديده، وأظن أن انجلا سببت
لها متاعب جمة.

- ولما كان ذلك؟

- كانت الفتاة ظريفة لكن كانت تتأهبها نوبات شقاوة جامحة. لقد
وضعت بعض الديدان فى ظهر امياس وهو منهمك فى الرسم. لقد
استشاط غضبا عندئذ ولعنها، وكان بعد ذلك أن أصر على إرسالها
إلى المدرسة - ذلك لأنه بالإضافة إلى ألاعيبها أظنه كان غيورا منها
قليلا ذلك أن كارولين كانت تعبد انجلا وربما كانت تهتم بانجلا أكثر
من اهتمامها بأى شئ آخر. وامياس طبعاً لم يكن يجب ذلك. لقد كان
هناك سبب لذلك طبعاً لكننى لن..

- هل تقصد لأن كارولين قد شوهت وجه أختها وهي صغيرة؟
- هل عرفت بهذا أيضا؟ إننى لم أكن سأذكر ذلك لك. لقد انتهى هذا منذ زمن بعيد. ولكن نعم، كان هذا هو السبب فى مسلكتها هذا كما أعتقد. كانت تشعر على الدوام أنه ليس هناك ما يمكن أن تفعله تمويضا لانجلا عما ألحقته بها.
- ولكن ماذا عن انجلا؟ هل كانت لا تزال تضممر مشاعر عداوية تجاه أختها غير الشقيقة؟
- كلا، لقد كانت انجلا تهيم حبا بكارولين، ولم تكن تتذكر تلك المسألة مطلقا، إنها كارولين التى لم تكن تستطيع أن تتسى.
- هل استجابت انجلا برضاء عن مسألة إرسالها إلى مدرسة داخلية؟
- كلا، لقد عبرت عن سخطها على اميلاس كريل، ووقفت كارولين إلى جانبها لكن اميلاس أصر على موقفه. إنه من نوع الرجل السهل القيادة فى معظم الأحوال، لكنه إن أصر على مسألة فإنه يفعل ما فى وسعه لتنفيذ رأيه، واستسلمت كارولين وانجلا لذلك القرار.
- متى كان يعتزم ذهابها إلى المدرسة؟
- فى الخريف وكانوا يعدون حقيبتها عندئذ كما أتذكر. ولو لم تحدث الكارثة لكانت قد ذهبت خلال أيام معدودة بعدها. ذلك لأنه كان هناك حديث عن إعداد حقيبتها ذلك الصباح.
- وماذا عن المربية؟ هل رحبت بالفكرة رغم أنها ستحرمها من وظيفتها اليس كذلك؟

- حسنا، كان ذلك حقيقيا من ناحية. لقد كانت كارلا الصغيرة تتلقى عدة دروس، لكنها كانت فى السادسة من عمرها أو نحو ذلك، وكان لها ممرضتها، ولم يكونوا طبعاً ليحتفظوا بهمس وليامز.. نعم هذا هو اسمها.. يا له من شيء غريب كيف أن الأحداث تتداعى عندما نتحدث عنها.

- نعم بالتأكيد. إنك الآن تعيش فى تلك الفترة من الماضى، إنك تعود لتعيش المناظر نفسها. والكلمات التى تنطق بها الناس وتعبيرات وجوههم أليس كذلك.

- نعم، لكن هناك فجوات، إننى أتذكر مثلاً الصدمة التى شعرت بها عندما علمت لأول مرة أن امياس سيترك زوجته. لكنى لا أتذكر إذا كان هو الذى أخبرنى أم اليزا جرير. إننى أتذكر أننى حاولت إقحام اليزا فى الموضوع محاولاً أن أظهر لها مساوئ الموقف لكنها ضحكت من كلماتى بطريقتها الباردة، وقالت عني أننى أعيش فى الماضى. إننى -أزلت أؤمن بذلك - لقد كان لامياس كريل زوجة وطفلة وكان عليه أن يتمسك بهما.

- لكن اليزا جرير كانت ترى أن ذلك الرأى لا يتمشى مع منطق الساعة؟

- نعم، ولكن تذكر أنه منذ ستة عشر عاماً لم يكن ينظر إلى الطلاق على أنه شيء عادى كما هو الآن. اليزا كانت مع التطور الذى يقول أنه إذا لم يكن الزوج سعيداً مع زوجته فلا بد لهما من الانفصال. قالت أن امياس كريل وزوجته لم يكونا يكفان عن الشجار، وأنه كان من الأفضل للطفلة ألا تتشأ فى مثل هذا الجو من الشقاق.

- لكنك لم تتأثر بمنطقها.

- لقد كنت أشعر طوال الوقت أنها لم تكن تعرف ما تتحدث عنه - بل كانت تكره ما تقرأه في الكتب كالبيضاء. لكنها كانت صغيرة السن يا مستر بوارو، وكانت مدعاة للاشفاق، وكان هذا جزئيا السبب في أنني أتحدث عن امياس كريل: لقد كان يكبرها بعشرين عاما. ولم يكن هذا يبدو عادلا.

- لكنني أتوقع أنه لم يكن لك عليه تأثير. فإن الرجل عندما يسير في طريق معين - خاصة عندما يتصل الأمر بامرأة فإنه يصعب عليك أن تغير رأيه.

- هذا صحيح تماما، ولعل تدخلني لم يكن مفيدا على الإطلاق. وربما كان ذلك لأنني لم أكن إنسانا مقنعا على الإطلاق.

حدجه بوارو بنظرة سريعة ولمح فيه الرجل الحساس الذي يعرف ضعف شخصيته، وكان يعرف جيدا صدق ما قاله ميرديث بليك، لكن لم يكن الرجل الذي يقنع أحد بالتخلي عن طريق ما. لابد أن الجميع كانوا يلقون بما يقول عرض الحائط. ولكن يغير الموضوع سأله بوارو:

- هل لازلت تحتفظ بمعملك وأدويتك وعقاقيرك؟ كلا.

جاءته الإجابة سريعة حادة تتسم بالانفعال ثم استطرد ميرديث بليك قائلا: لقد تركت كل شيء، تخلصت من كل شيء. لم أستطع الاستمرار وكيف كان لي أن استمر بعد الذي حدث - لقد كان يمكن أن يقال أن الخطأ كله كان بسببي.

- كلا يا مستر بليك. إن حساسيتك المفرطة.

- ولكن ألا ترى الموقف؟ لو أننى لم أقم بجمع هذه المقاقير اللعينة؟ ولو لم أقم بالشرح والتعليق عليها بعد ظهر ذلك اليوم! لكننى لم أظن مطلقاً أنه .. لكننى كنت كالأحمق الفخور بعمله. لقد تجولت بهم فى نهاية المعمل وقرأت عليهم من كتاب إغريقى فقرة كانت تعجبنى. لكن المسألة لم تفارق خيالى منذ ذلك الحين.

- هل وجدوا بصمات أصابع على زجاجة الكونين؟

- بصمات أصابع كارولين كريل.

- وليس بصمات أصابعك أنت؟

- كلا، ذلك لأننى لم أمسك بالزجاجة بل أشرت إليها من بعيد فقط.

- لكنك أمسكت بها مرات قبل ذلك بالتأكيد؟

- بالطبع، لكننى كنت معتاداً على نفث التراب عن الزجاجات بين وقت وآخر. إننى لم أكن أسمح مطلقاً للخدم بالدخول إلى هناك. ولقد قمت بنفث التراب قبل ذلك اليوم بخمسة أيام.

- واحتفظت بالحجرة مغلقة؟ دون شك.

- متى أخذت كارولين الكونين من الزجاج؟

- لقد كانت هى آخر من غادر المعمل. أتذكر أننى ناديت عليها فخرجت منه مسرعة.

- ووجدتها أكثر احمراراً وعيناها توهجان بالانفعال.. يا الهى. إننى أستطيع أن أتخيلها الآن.

- ألم تتبادل معها الحديث بعد ظهر ذلك اليوم مطلقاً؟ أقصد ألم

تناقش الموقف بينها وبين زوجها.

- ليس بطريقة مباشرة. لقد كان الضيق ياديا عليها، فقلت لها عندما كدنا نكون بمفردنا (هل هناك ما يسوءك يا عزيزتي؟) فأجابت: (كل شيء يسوءنى..). كنت أتمنى أن تسمع رنة الأسى والياس فى صوتها عندئذ، لقد كان ما تقوله حقيقيا فإن امياس كريل كان كل حياتها.

قالت (لقد انتهى كل شيء، فقدت كل شيء يا ميرديث) وبعد ذلك ضحككت واستدارت لتمرح مع الآخرين مرحا مبالغاً فيه.

وفجأة بدا الانفعال على ميرديث بليك ولوح يقبضته فى الهواء واستطرد: وأنا أقول لك يا مستر بوارو أنه عندما قالت كارولين فى المحكمة أنها أخذت الكونين لتقتل نفسها فإنها كانت صادقة فيما قالت وأقسم على ذلك. لم يكن فى رأسها أية فكرة عن القتل عندئذ. لقمه جاءتها هذه الفكرة فيما بعد.

- هل أنت واثق أن الفكرة جاءتتها فيما بعد؟

- استمحيك عذرا؟ إننى لم أفهم تماما ما...

- إننى أسألك عما إذا كنت واثقا أن الفكرة قد طرأت على عقلها على الإطلاق؟ هل أنت مقتنع تماما أن كارولين كريل قد أقدمت على قتل زوجها عن عمد؟

- ولكن إذا لم تكن هى التى فعلت ذلك - فمن؟ - هل كان الأمر حادثة من نوع ما؟

- ليس بالضرورة.. ثم إنك تقول أن كارولين كريل كانت مخلوقة رقيقة، فهل يمكن للمخلوقات الرقيقة أن تقتل؟

- لقد كانت رقيقة جدا، لكن كانت هناك مشاجرات كما تعرف..
إن كارولين كانت سريعة الانفعال وكلماتها تعبر بأكثر مما تقصده.
فريما قالت لك (إننى أكرهك أو أتمنى موتك) لكن ذلك لا يتضمن أن
يقترن ذلك بفعل ما .

- إذن فمن رأيك أن ارتكاب كارولين كريل لجريمة قتل لا يتفق مع
شخصيتها؟ إن لك طريقة غريبة فى الاستنتاج يا مستر بوارو، إن ما
أستطيع قوله هو - نعم، إن هذا لا يتفق مع شخصيتها، ولعله يمكننى
تبرير ما حدث، أن الاستفزاز الذى تعرضت له كان قويا إلى أقصى
حد . لقد كانت تعبد زوجها - وفى أحوال مثل هذه قد تذهب المرأة إلى
حد - القتل.. إننى ذهلت أول الأمر ولم أصدق أنها فعلت ذلك.. ولم
تكن هى التى قتلت.. إنك تعرف ما أقصده.. أقصد أنها لم تكن
كارولين الحقيقية هى التى قتلت..

- لكنك من الناحية القانونية واثق أنها هى القاتلة؟

- يا عزيزى.. إن لم تكن هى..

- حسنا إن لم تكن هى؟

- إننى لا أستطيع التفكير فى حل بديل.. هل يمكن أن يكون الأمر
حادثا غير مقصود، هذا مستحيل، ثم إننى لا أصدق نظرية الانتحار،
لأننى أعرف جيدا شخصية امياس كريل، فما الذى يبقى عندئذ؟

- يبقى أن هناك احتمالا بأن يكون قاتل امياس كريل شخص آخر.

- لكن هذا غير معقول . من الذى كان يريد قتله؟ من الذى يمكن أن
يكون قد قتله؟

- إن احتمالات معرفتك للقاتل أكثر من احتمالاتي.. فكر في الأمر
وقل لي ماذا تظن؟

حده ميرديث بنظره دقيقة أو دقيقتين ثم هز رأسه وقال:

- لا أستطيع أن أفكر في أي احتمال آخر. كنت أتمنى أن يكون
هناك مثل هذا الاحتمال، لو أن هناك سببا يدعونا للشك في أي
شخص آخر. إنني لا أريد أن أفكر في أن كارولين هي القاتلة ولم
أصدق ذلك أول الأمر. ولكن من يكون هو القاتل؟ اليزابير؟ هذا رأى
سخيف. أنا؟ هل أبدو كالقاتل؟ هل يمكن أن تكون المربية المحترمة هي
القاتلة؟ أم زوج من الخدم المخلصين؟ ربما نقترح أن تكون الطفلة
انجيلا هي التي فعلت ذلك؟ كلا يا مستر بوارو ليس هناك احتمال
بديل. لكن يمكن أن يكون من قتل اميلاس كريل ليس احد سوى زوجته.
لكنه هو الذي دفعها إلى ذلك - ومن ثم فهو انتحار قبل وبعد كل شيء.

- هل تقصد أنه مات بسبب أفعاله إن لم يكن بيده هو؟

- إنها نقطة خيالية ولكنها تعتمد على نظرية السبب والنتيجة.

- ألم تفكر مطلقا يا مستر ميرديث أن سبب الجريمة يكمن دائما
في دراسة شخصية القاتل؟

أي أنه حتى تعرف بالضبط أي نوع من الناس كانت الضحية، فلن
يمكنك أن ترى الظروف المحيطة بوضوح.. إن هذا هو ما أبحث عنه
وما ساعدتني أنت وشقيقك فيه.

إعادة بناء شخصية اميلاس كريل أمامي.

- شقيقى فيليب؟ هل تحدثت إليه أيضا؟ بالتأكيد.

- كان عليك أن تحضر إلى أولا .

- إذا أخذت الأمر من ناحية حقوق الابن البكر. فأنت على حق لأنك الأكبر سنا، لكنك تقرر طبيعا أنه بسبب إقامة أخيك في لندن كان أسهل على أن أقوم بزيارته أولا.

- كان لا بد أن تأتي إلى أولا. ذلك لأن فيليب متحيز، بل إنه كتلة من التحيزات، ولقد حاول بالطبع أن يجعلك تأخذ موقفا معاديا من كارولين.

- هل لهذا أهمية بعد كل هذه السنوات؟

- لقد نسيت أن سنوات عديدة قد انقضت، ولا أحد يستطيع الآن أن يلحق بها ضررا، لكنني لم أكن أريدك أن تأخذ انطبعا خاطئا على أية حال: وهل تظن أن شقيقك قد حاول أن يعطيني انطبعا خاطئا.

- بصراحة. نعم. لقد كان هناك نوع من العداء الدائم بينه وبين كارولين.

- لماذا؟

بدا وكأن السؤال قد أثار حفيظة ميرديث بليك.

أجاب قائلا: لماذا؟ وكيف لي أن أعرف السبب؟ لقد كان فيليب يضايقها كلما استطاع ذلك.

أعتقد أنه تضايق عندما تزوجها كريل، ولذلك لم يقم بزيارتها لمدة عام كامل ورغم ذلك كان امياس أعز أصدقائه. والسبب الحقيقي كما أعتقد هو أنه لم يكن يظن أن أي امرأة كانت جديرة بامياس، وأن زواجه من كارولين قد يفسد صداقتهما.

- وهل حدث ذلك؟

- كلا، بالطبع لا. لقد ظل امياس على حبه وصداقته لفيليب حتى النهاية. ولقد اعتاد امياس أن يضاحكه قائلا أنه محب للمال ويحقق أرباحا فاحشة، لكن فيليب لم يكن يهتم بل كان يبتسم قائلا أنه من حسن حظ امياس أن له صديقا ثريا.

- ماذا كان رد فعل شقيقك تجاه مسألة اليزا جريير؟

- إن هذا من الصعب الحكم عليه. لم يكن من السهل تحديد موقفه. لقد ضايقه أن يجعل امياس من نفسه أحق بسبب فتاة. قال أكثر من مرة أن ارتباطه مدمر، وسوف يندم امياس على ذلك. لكنه مع ذلك كان لديه شعور - وأنا واثق من ذلك - بالارتياح إذ يرى كارولين وقد فقدت زوجها.

اتسعت عينا بوارو دهشة وقال: هل كانت هذه حقيقة مشاعره؟

- أوم، لا تسيء فهم ما أقول. أنا لا أعتقد أن مشاعره قد تخطت مؤخرة رأسه. ولا أعتقد أنه تحقق لحظة واحدة من حقيقة مشاعره. إننى لا أشارك مع فيليب في كثير من الصفات، لكن هناك علاقة ما بين من تسرى فيهم دماء واحدة - وأحيانا ما يعرف الأخ ما يفكر فيه شقيقه.

- وماذا بعد حدوث المأساة؟

- يا لفيليب المسكين! لقد حطمتها تماما. لقد كان كثير الاعتزاز بامياس، كما تعرف - نوع من التقديس. إننى وامياس كريل في نفس العمر تقريبا وفيليب يصغرنا بهامين وكان يعتبر امياس نموذجا يحتذى به. ولهذا كانت صداقته شديدة، وكانت مرارته تجاه كارولين كبيرة.

- لكنه لم يدر من خله أى شك عندئذ؟

- لم يداخل أحد منا أى شك.. أوه لقد انتهى كل ذلك الآن، وها أنت تثيره مرة أخرى.

- لست أنا بل كارولين كريل.

حدق فيه ميرديث وقال: كارولين كريل. من تقصد؟

- كارولين كريل الثانية.

- تقصد كارولين الصغيرة - لقد أسأت الفهم لأول وهلة.

- هل فكرت أنتى أقصد كارولين الحقيقية وأنها هي التي لم ترقد حتى الآن في قبرها بسلام. هل تعرف أنها كتبت رسالة لابنتها - وكانت آخر كلماتها - أنها بريئة.

حدق فيه ميرديث بعدم التصديق وقال في دهشة شديدة:

- هل كتبت كارولين ذلك.

- نعم، هل يدهشك هذا؟

- إن ذلك كان سيدهشك لو أنك رأيتها في المحكمة، مخلوق يائس مستسلم ليس فيه ذرة كفاح للحياة.

- روح انهزامية مستسلمة؟

- كلا، كلا - ربما يكون السبب هو أنها قتلت الرجل الذي أحبته - أو هذا ما ظننته.. ولكن أن تكتب شيئاً مثل هذا قبل موتها بلحظات.

- ربما كانت كذبة بيضاء؟ ربما، لكن هذا لا يتفق مع أخلاق كارولين.

أوماً بوارو برأسه موافقاً، لقد قالت كارلا ليمارشانت من قبل ربما

قلنا أن كارلا لها ذاكرة طفل عنيد لكن ميرديث بليك عرف كارولين جيدا . إن هذا أول تأكيد سمعه يوارو لفكرة كارلا عن أمها . تأكيد يمكن الاعتماد عليه . قال ميرديث

- ولكن لو كانت كارولين بريئة .. فإن الأمر كله يكون جنونا .. إننى لا أرى احتمالا بديلا .. وماذا عنك؟ ما هى أفكارك؟

- حتى الآن ليست لى أية أفكار، إننى أجمع الانطباعات فقط . من هى كارولين كريل؟ ومن هو اميلاس كريل؟ ومن هم الأشخاص الذين كانوا معهما فى ذلك الوقت؟ ما الذى حدث بالضبط فى هذين اليومين؟ هذا هو ما أنا بحاجة إليه . أن أميز الأحداث واحد بعد الآخر . إن شقيقك سوف يساعدنى فى هذا المجال . سوف يرسل إلى بتقرير مفصل عن الأحداث التى يتذكرها عن المأساة .

قال ميرديث بليك فى حدة: لن تخرج بالكثير من هذا التقرير . إن فيليب رجل مشغول، وذاكرته لن تسعفه، وخاصة وأن سنوات عديدة قد مرت، وربما تذكر الأشياء على وجه خاطئ تماما .

- أدرك أنه ستكون هناك فجوات .

- أقول لك أنه - إذا أردت - فسوف أقوم أنا بنفس العمل، أقصد سيكون على مراجعة ما يقوله أليس كذلك؟

- سوف يكون لهذا قيمة كبيرة جدا . هذه فكرة ممتازة حقا .

- حسنا، سوف أفعل، إن لدى بعض اليوميات التى احتفظ بها فى مكان ما . ولكن تذكر أننى لست خبيرا باللغة والهجاء ولا تنتظر شيئا ممتازا .

- ليس هو الأسلوب الذى أطلبه، ولكن سرى لكل ما تستطيع أن تذكره، كل ما قاله هذا الشخص أو ذلك. كيف كانوا يتصرفون. لا تهتم إذا لم تبد الأحداث متماسكة، فإن ما يهم هو الجو العام.
- نعم أفهم ذلك. لابد أنه من الصعب عليك أن تتخيل البشر من الأشخاص ممن لم ترهم قط.
- هذا هو الأمر الذى كنت على وشك أن أطلبه منك. إن ضيعة أولبري على مقربة من ضيعةك أليس كذلك؟ هل يمكننا الذهاب إلى هناك؟ كي أرى بعينى المكان الذى وقتت فيه المأساة.
- أستطيع أن اصحبك إلى هناك فوراً. لكن المكان قد تغير كثيراً.
- هل أعيد بناؤه؟
- كلا، لم يصل الأمر إلى هذا الحد - لكنه أصبح شيئاً كالفندق. اشترته جمعية ما وخصصته لجمعية من الشباب كي يقيموا فيه فى الصيف. لقد أقيمت الحواجز فى الحجرات جميعاً وتغيرت معالم الأرض إلى حد كبير.
- تستطيع أنت أن تعيد بناء ما كان موجوداً بوصفك له.
- سأفعل ما أستطيع. كنت أتمنى أن ترى كل شيء كما كان فى الماضى. لقد كان من أجمل الضياع التى شاهدتها فى حياتى.
- وانطلقا يهبطان المنحدر فى حين سأل بوارو:
- من الذى صرح ببيع الضيعة؟
- الأوصياء لصالح الطفلة. إن كريل لم يكتب وصية ما، لكن كل

شيء آل لها. اتخيل أن الأملاك قسمت بين كارولين والطفلة إلا أن كارولين قد تركت ما ورثته للطفلة أيضا.

- وماذا عن أختها انجلا؟

- كان لانجلا مبلغ من المال تركه لها والدها.

- فهمت. ولكن إلى أين تأخذني؟ إنني أرى الشاطئ أمامي مباشرة.

- لا بد أن أشرح طبيعة المنطقة لك وهو ما سوف تراه بعد قليل.

هناك خليج صغير يجري إلى داخل الأرض، وهو يشبه مصب نهري صغير ولكنه طبعاً جزء من البحر. ولكي تصل إلى أولبري عن طريق البر عليك أن تتوغل في الشاطئ حتى تدور حول الخليج. لكن أقصر طريق إلى المنزل هو عبور الخليج في هذه المنطقة الضيقة، لتجد أولبري أمامك مباشرة - هاك - أنت تستطيع أن ترى المنزل من خلال الأشجار. كان قد وصلا إلى الشاطئ، وأمامها كانت غابة صغيرة، فاستطاع بوارو أن يميز منزلاً أبيض اللون يبدو من فوق الأشجار. كان هناك قاريان مربوطان إلى الشاطئ وسرعان ما أصبحا يجدفان تجاه الناحية الأخرى. قال ميرديث بليك:

- لقد اعتدنا على هذا الطريق في تلك الأيام إلا إذا كانت هناك عاصفة أو كانت السماء تمطر، فعندئذ كنا نستقل السيارة. إن المسافة تكاد تكون ثلاثة أميال في ذلك الطريق.

ربط القارب إلى الشاطئ وألقى نظرة تائهة على تلك الأكواخ أمامها وقال: كل هذه الأكواخ جديدة. لقد كان هناك كوخ واحد للقوارب، وكنا نسبح في هذا الجزء من الخليج. لا تظن أننا سنلتقي

أحدنا لن يكون هناك أحد في شهر إبريل، ثم أننى على وفراق مع
جيرانى إن الشمس رائعة اليوم كما كانت في ذلك اليوم.. هذه هي
الحديقة التى كانوا يسمونها (حديقة المدفعية) إننا الآن ندور حولها.
انطلقا بين مجموعة أخرى من الأشجار، ثم دار الطريق بهما مرة
أخرى حتى وجدا نفسيهما أمام باب ثبت في حائط مرتفع. استمر
الطريق صاعدا في تعرج لكن ميرديث فتح الباب ونفذا من خلاله.
ولأول وهلة غشيت الشمس عينا يوارو وقد خرجا لتوهما من تحت
ظلال الأشجار.
كانت الحديقة الصغيرة مسطحة وحولها سور ضخيم عريض به
فتحات للمدفعية، وفى وسطها كان هناك مدفع ضخم، والانطباع الذى
يشعر به المرء هو أنه معلق فوق البحر. كانت الأشجار تحوطها، لكن
ماء البحر الأزرق كان تحتها تماما. قال ميرديث:
- كانت هناك منضدة ومقعد ثم صناديق للبيرة فى ذلك الركن. لم
يتغير المكان كثيرا.
- وقد وقعت المأساة هناك؟ نعم، كان هذا المقعد الطويل تجاه
الحائط، وكان كريل ممدا عليه. كان قد اعتاد أن يفعل ذلك، فيحرق فى
السما، وفجأة ينهض واقفا ثم يستأنف الرسم مرة أخرى وكأنه مجنون.
وتوقف لحظة قبل أن يستطرد قائلا:
- ولهذا بدا شكله طبيعيا جدا وكأنه نائم، لكن عيناه كانتا
مفتوحتين وقد تصلب جسده. إن الكونين يشل الأطراف كما تعرف. لم
تكن هناك آلام وقد أراحنى ذلك.

- من الذى وجده هكذا؟ كارولين بعد الغداء، كنت أنا واليزا جريز آخر من رآه على قيد الحياة. لابد أن الموت كان فى طريقه إليه عندئذ. بدا لى غريباً. أفضل ألا أتحدث عن ذلك. سأكتبه لك فإن ذلك أسهل. استدارا خارجين من حديقة المدفعية ليصعدا الطريق المتعرج وعلى مستوى أكثر ارتفاعاً من حديقة المدفعية كانت هناك بقعة مسطحة تظللها الأشجار وبها مقعد ومنضدة. قال ميرديث:

- وهذا لم يتغير أيضاً. لقد جلست هنا ذلك الصباح، ومن هنا استطعت رؤية حديقة المدفعية بوضوح، حيث لم تكن الأشجار عندئذ بهذا الارتفاع. كانت اليزا جالسة كموديل هناك.

واستمررا يصعدان الطريق المؤدى إلى المنزل. كان منزلاً قديماً على الطراز الجيورجي، وعلى مقربة منه بنيت أكواخ صغيرة للسباحة قال ميرديث شارحاً: إن الفتیان والفتيات يقضون أياماً فى المنزل لا أعتقد أن هناك ما يهكم رؤيته فى الداخل، فكل الحجرات قد قسمت... هيا بنا فإن الأشباح تعود لتطاردنى مرة أخرى.

وعادا إلى الشاطئ من طريق أكثر طولاً. لم يتكلم أى منهما، فقد احترم بوارو صمت مرافقه. وعندما أصبحت فى ضيعة هاندكروس مرة أخرى قال ميرديث فجأة:

- لقد اشتريت تلك اللوحة كما تعلم. تلك التى كان امياس كريل يرسمها. لم أستطع تحمل فكرة أن يشتريها أحدهم مجرد الدعاية. إنها قطعة فنية رائعة. لقد قال امياس أنها أفضل لوحة رسمها، ولن أدهش إذا كان ذلك صحيحاً. لقد تمت فعلاً، ولم يكن ليعمل فيها سوى

يوم أو يومين . هل يهكم أن تراها؟ نعم بالتأكيد .

قاد ميرديث بليك الطريق عبر بهو واسع وأخرج من جيبه مفتاحا . فتح به بابا ليجد بوارو نفسه فى حجرة متوسطة الاتساع تقوح منها رائحة التراب . كانت ضلف نوافذها مغلقة بإحكام . وبعوض الجهد فتح ميرديث إحدى النوافذ ليدخل منها هواء الربيع . وفقا إلى جوار النافذة يستشقان الهواء النقي . لم يكن هناك داع للسؤال عما كانت هذه الحجرة فقد كانت الأرفف الخاوية وعلامات الزجاجات فوقها تشرح كل شيء . وإلى جوار الحائط كان هناك حوض والتراب يلف كل شيء . قال ميرديث بليك : إن كل شيء يعود إلى الذاكرة بسهولة . أن أقف هنا وأشم رائحة الياسمين وأتحدث عن عقاقيرى وأدويتى .

ويذهن غائب مد بوارو يده عبر النافذة وجذب عددا من أعواد الياسمين تحرك ميرديث نحو الحائط الآخر ونفض التراب عن لوحة .

وأمسك بوارو أنفاسه . لقد رأى حتى الآن أربع لوحات لامياس كريل . اثنتان فى قاعة (تيت) ، وثالثة عند تاجر لوحات فى لندن ، ثم لوحة الزهور عند فيليب بليك . لكنه الآن ينظر إلى ما سماها الفنان نفسه أحسن لوحاته . وتحقق بوارو من موهبة الفنان . لأول وهلة يخيّل إليك أنها مطبوعة . صورة فتاة فى قميص أصفر ، تجلس فوق جدار ضخم ، والشمس ساطعة تماما ، و خلفها زرقة البحر الصافية . إنه موضوع مثالى لصورة مطبوعة ، لكن النظرة الأولى تصبح زائفة فالضوء مختلف والوضوح غريب ثم الفتاة ..

نعم .. هنا كانت الحياة نفسها .. الشباب والحيوية .. الوجه كان يفيض بالحياة ثم العينان .. فيض من الحياة والشباب .. هذا إذن ما رآه

امباس كريل هي اليزا جرير.. ذلك الشيء الذي أعماء عن زوجته الرقيقة. كانت اليزا هي الحياة وهي الشباب. كانت رأسها مرفوعة في كبرياء، وعينها منتشيتان بالنظر والزهو.. إنها كانت تنظر إليك. ترقبك. مد هركيول بوارو ذراعيه إعجابا وقال: إنها رائعة.. نعم رائعة.

- نعم، لقد كانت صغيرة السن جدا.

هز بوارو رأسه موافقا هو يفكر في نفسه. ما الذي يعنيه الناس بصغر السن؟ هل يقصدون البراءة؟ هل يقصدون عدم الخبرة؟ لكن الشباب ليس كذلك. إن الشباب قوى ويكر وقاس أحيانا. ثم إن الشباب قبل ذلك ويعده عرضة للسقوط.

تبع مضيفه إلى الباب وقد زاد اهتمامه باليزا جرير التي سيقوم بزيارتها بعد ميرديث بليك. ترى ما الذي تفعله الأعوام بهذه الفتاة الصغيرة المنتشرة. وألقى على اللوحة نظرة أخيرة. إن هاتين العينين تراقبانه، تقولان له شيئا.

لنفرض أنه لم يفهم ما تقولان؟ هل ستمكن من ذلك المرأة الحقيقية؟ أم هل تقول هاتان العينان ما لم تعرفه المرأة الحقيقية؟

مثل هذا الكبرياء والانتصار والترقب.. لكن الموت انقضى وأخذ الفريسة من بين هاتين الذراعين الشرهتين.

ثم إن اللعة قد ذهبت عن هاتين العينين المحمومتين المترقبتين. كيف هما عينا اليزا جرير الآن؟ خرج من الحجرة وفكرة واحدة تسيطر عليه (لقد كانت مليئة بالحياة أكثر مما يجب).

وأحس من هذه الفكرة ببعض الخوف.

الخنزير الصغير أكل اللحم المنتنوى

كان منزلا فاخرا فى شارع بروك ذلك
الذى ذهب إليه هركيول بوارو للقاء
ليدى ديتشام. أخذ منه رئيس الخدم
معطفه وعصاه، وتقدمه إلى الداخل
عبر الهول يهبط ثلاث درجات ثم
يعلن اسمه فى مقاطع واضحة.

وعندما أغلق الباب خلفه وجد بوارو نفسه مع رجل طويل نحيل
يتقدم نحوه. لم يكن لورد ديتشام من النبلاء فقط لكنه كان شاعرا أيضا.
فقد ألف مسرحيتين شعريتين نالتا نجاحا. كان فى نحو الأربعين من
عمره، عريض الجبهة له عينان وفم جميل الشكل. دعا بوارو للجلوس
وقدم له سيجارة ثم قال: لقد حضرت كى تقابل زوجتى كما فهمت؟

- لقد كانت الليدى رقيقة جدا فأعطتنى موعدا.

أرجو ألا يكون لديك أى اعتراض يا لورد ديتشام؟

أجاب اللورد مبتسما: إن اعتراضات الزوج يا مستر بوارو لا تأخذ
فى الاعتبار مطلقا هذه الأيام.

- إذن قلديك اعتراض؟

- ليس بالضبط، لكنى أعتترف بأننى أخشى نتيجة اللقاء على زوجتى. ولأصارك بالحقيقة. منذ سنوات عديدة مضت، عندما كانت زوجتى لا تزال فتاة صغيرة تعرضت لتجربة مأساوية أرجو أن تكون قد تغلبت على الصدمة التى خرجت بها منها، حتى أننى أميل إلى الاعتقاد أنها نسيتها كلية. وما أنت تعود لتنبش الماضى، ولا بد أن تثير أسئلتك ذكريات قديمة.

- إن هذا لشيء مؤسف يا سيدى اللورد، وأستطيع أن أؤكد لك أننى سوف أكون عاقلا إلى أقصى الحدود، ولن أقول شيئا فيه ضرر لليدى ديتشام لأنها لابد وأن تكون رقيقة العواطف جياشة الأحاسيس. وفجأة ضحك الرجل الآخر وقال:

- اليزا! إن اليزا قوية كالجواد. إن زوجتى قادرة على امتصاص أى عدد من الصدمات. وإننى لأتساءل إذا كنت تعرف غرضها من استقبالك؟

- ربما كان حب استطلاع؟

ظهر بريق الفهم والتقدير فى عيني اللورد وقال:

- إذن فأنت تعرف ذلك.

- إن هذا شيء محتمل. فالنساء لن يرفضن مطلقا لقاء مخبر سرى، أما الرجال فسوف يقولون له اذهب إلى الشيطان.

- بعض النساء قد يقلن له اذهب إلى الشيطان أيضا.

- سيكون ذلك بعد أن ينتهى اللقاء وليس قبله.

- ربما . ما هي الفكرة وراء هذا الكتاب الذى تكتبه؟
- إن الناس يميلون تقديم الألبان القديمة، ديكورات المسرح القديمة والأزياء القديمة. إن هذا يتفق مع الطبيعة البشرية. إن الجريمة مأساة، والرغبة فى المأساة شعور قوى فى الجنس البشرى. وسوف لا يتعرض الكتاب بالتشويه للحقائق المعروفة.
- إن الحقائق هى ملك الجميع كما كنت أعتقد.
- نعم، ولكن ليس تفسير هذه الحقائق التعليق عليها.
- ما الذى تعنيه بهذا يا مستر بوارو؟
- يا عزيزى اللورد، إن هناك طرقا عديدة للنظر إلى حقيقة تاريخية. خذ مثلاً: إن كتباً عديدة كتبت عن ماري ملكة اسكتلندا، مقدمة اياها على أنها ضحية، ثم على أنها عاهرة لا مبادئ لها، ثم على أنها قديسة ساذجة، ثم على أنها قاتلة متأمرة، وأخيراً على أنها ضحية الظروف والأقدار - ولكل امرء ما يشاء من تفسيرات.
- وماذا هناك فى هذه القضية؟ إن كريل قتلته زوجته وهذا شيء لا شك فيه: وأثناء المحاكمة تعرضت زوجتى لافتراءات شوهت سمعتها دون حق، ولقد اضطرت الشرطة لمحاكمتها حتى خرجت من المحكمة. لقد كان الرأى العام معادياً تماماً.
- إن المجتمع الانجليزى حريص جداً على الأخلاق.
- اللعنة عليهم، وماذا عنك أيضاً؟
- إننى أحيى حياة تنسم بالأخلاق، لكن هذا يختلف عن تمسك المرء بأفكار أخلاقية.

- لقد تساءلت أحيانا عن ماهية مسز كريل هذه. لقد ظهرت بمظهر الزوجة الضحية المغلوبة على أمرها! لدى شعور أن شيئا خلف هذا.

- إن زوجتك قد تعرف.

- إن زوجتى لم تذكر لى القضية مرة واحدة. على أية حال فهى فى انتظارك.

وفى الطريق إليها كانت مظاهر الثراء الفاحش فى كل ركن من القصر، أشياء قيمة بصرف النظر عن ذوقها، وقال بوارو لنفسه (إنها الخنزير الذى يأكل اللحم المشوى). ووجد نفسه داخل حجرة واسعة، وسيدة القصر واقفة إلى جوار المدفأة. وعلى الفور انبثقت فى ذهن بوارو جملة لم يستطع التخلص منها (لقد ماتت فى شبابها ...).

كانت هذه هى الفكرة التى ألحت عليه وهو ينظر إلى اليزا ديتشام . التى كانت تدعى اليزا جرير. لم يكن سيعرفها طبعاً من صورتها فى لوحة كريل، فقد كانت تلك تمثل الشباب، تمثل الحيوية. أما اليزا الحقيقية الماثلة أمامه الآن فليس شباباً ولا حيوية، لكنه تحقق أيضاً - بأكثر مما تحقق من لوحة كريل - إن اليزا رائعة الجمال. نعم لقد كانت امرأة جميلة جداً. إن عمرها الآن لا يعدو السادسة والثلاثين لوكان عمرها وقت تلك المناسبة عشرين. لكن بوارو شعر فوق ذلك ببعض الألم. فإن هذه لم تكن جولبيت التى وصفها له العجوز جوناثان.

إن اليزا جرير قد تركت لتعيش، وهى الآن تحيه فى صوت رتيب: إننى مهتمة بحضورك يا مستر بوارو. تفضل بالجلوس وأخبرنى بما تريدنى أن أفعله.

وفكر بواروفى نفسه (لكنها ليست مهتمة! ليس هناك فى هذا العالم ما يهمها) لكنه تمكن من القول:

- إنتى مضطرب يا سيدتى، هأنأ أعرف إن إعادة تخيل الماضى سيكون مدعاة للألم بالنسبة لك.

- أجابت وقد ظهرت علامات المرح على وجهها:

- أعتقد أن زوجى هو الذى وضع تلك الفكرة فى رأسك. لقد التقى بك عند قدومك، وهو طبعاً لا يفهم شيئاً، ليس معتاداً على ذلك. إنتى لست على الإطلاق تلك الإنسانية الرهيفة الحس التى يظنها. لقد كان أبى كما تعلم عاملاً فى طاحونة - لقد تمكن بعمله وكفاحه من أن يحقق ثروة، وما كان له أن يفعل ذلك لو كان رقيقاً. وأنا مثله.

ومرة أخرى فكر بوارو فى نفسه: (نعم، إن إنسانة رقيقة لم تكن لتذهب للبقاء فى منزل كارولين كريل لتخطف زوجها). ثم قال لها:

- هل أنت واثقة يا سيدتى أن العودة إلى الماضى لن تكون مؤلمة لك؟

- كلا، ليست مؤلمة، كنت أتمنى أن تكون.

- لماذا؟

- إنه من السخف ألا يشعر المرء بشئ على الإطلاق وفكر بوارو مرة أخرى (إن اليزا جرير قد ماتت).. ثم بصوت مرتفع:

- إن هذا يجعل مهمتى أسهل يا سيدتى. لكنى أخشى أن يؤلمك الرجوع إلى تلك التفاصيل.

- لن يؤلمنى هذا، فإن الأشياء تؤلم فقط عند حدوثها، وهذا ما لا

يستطيع زوجي أن يفهمه، إنه يتخيل أن المحاكمة والتحقيق كانا قطعة من العذاب بالنسبة لى.

- ألم تكن كذلك؟

- كلا لقد تمتعت بها، يا الهى. كيف واجهنى ديليتش العجوز بالهجوم. إنه الشيطان بعينه. لكنى استطعت مقاومته ولم يستطع أن ينتصر على. أرجو ألا أكون قد أخرجتك من خيالاتك عنى يا مستر بوارو، فإن فتاة فى العشرين من عمرها كانت ستحس بالخجل والعار. لكننى لم أكن كذلك، ولم أهتم بما قالوه عنى. كان هناك شيء واحد أريده.

- وما هو؟

- أن تشنق كارولين.. ستظننى عداثية؟ وأننى لكذلك - تجاه أى شخص يسبب لى جراحا. إن تلك المرأة فى رأى أحقر نوع من النساء - لقد عرفت أن امياس يحبنى، وأنه كان على وشك أن يهجرها، ومن ثم فقد قتلته حتى تحرمنى منه.. ألا تظن ذلك شيئا فظيحا منها؟

- ألا تفهمين وتقدرين موقف إنسانة غيرة؟

- كلا، لا أفعل لو أنك خسرت المعركة، فأعترف بذلك. وإذا لم تستطع الاحتفاظ بزوجه فلتتركه يذهب بسلام. إنه حب التملك.. ذلك الذى لا أفهمه.

- ربما كنت شعرت بمثلها لو أنك تزوجته.

- لا أعلن ذلك.. اسمع. إننى أريد أن أوضح لك شيئا.. لا تظن أن امياس كريل قد غرر بفتاة بريئة.. لم يكن الأمر كذلك بالمرّة؟ لقد كنت أنا - أكثر منه - مسئولة عن بدء تلك العلاقة. لقد التقيت به فى حفل

ووقعت فى غرامه، وعرفت أننى لابد لى من الحصول عليه.

- رغم أنه كان متزوجاً؟

- إن من يدخلون أرض غيرهم يحاكمون؟ لكن الأمر يحتاج إلى أكثر من لوحة حتى يظل الناس خارج أرض غيرهم. فإذا كان غير سعيد مع زوجته وسعيداً معى، فلما لا آخذه؟ إن لنا حياة واحدة نحياها.

- لكن قيل أنه كان سعيداً مع زوجته؟

- كلا، كانا يتشاجران مثل الكلب والنمطة - كانت مصدر غيظه باستمرار.. لقد كانت امرأة فظيعة.. ربما لا أكون منصفة بالنسبة لها، لكنى أعتقد إنها امرأة كريهة.

- لقد كانت مأساة كبيرة؟

- نعم كانت كذلك.

قالت ذلك واستدارت نحوه فجأة، ولحظ بوارو ارتعاشة حياة فى وجهها الجميل واستطردت:

- لقد قتلتى تلك المأساة.. هل تفهم ذلك؟ لقد قتلتى.. ومنذ ذلك الوقت لم يبق لى شيء.. ليس حولى سوى فراغ.. مثل السمكة المحشورة فى إناء من زجاج.

- هل كان امياس كريل يعنى كل شيء بالنسبة لك؟

أومأت برأسها بطريقة تثير الشفقة ثم قالت فى رزانة:

- لقد كان عقلى دائماً يعمل فى اتجاه واحد، أظن أن المرة لابد أن يضع سكيناً فى صدره - مثل جولييت. ولكن أن تفعل ذلك فإنك عندئذ

تعترف أنك قد انتهيت، وأن الحياة قد هزمتك.

- ويدلا من ذلك؟

- أن يكون لك كل شيء. أن تتغلب على المأساة. إنها لم تعد تعنى شيئاً بالنسبة لى. عرفت أننى يجب أن أنتقل إلى مرحلة تالية.

نعم. المرحلة التالية. رآها بوارو فى خياله تحاول أن تحقق أطماعها بتلك الإرادة القوية. تخيلها امرأة جميلة تبحث عن شيء تنهيه لتملاً به حياة خاوية. لقد كانت دائماً تعيد الأبطال. طيار مشهور، ثم مكتشف له أعماله ثم لورد ديتشام. قالت اليزا ديتشام:

- لم أكن منافقة مطلقاً. إن المثل الأسباني يقول: (خذ ما تريد وادفع ثمنه). لقد فعلت ذلك لقد أخذت ما أردت، لكننى كنت على الدوام راغبة فى دفع الثمن.

- لكن مالا تستطيعين فهمه هو أن هناك أشياء لا يمكن أن تشتري.

- إننى لم أقصد مجرد النقود.

- كلا، كلا، إننى أفهم ما تعنيه، هناك أشياء ليست أساساً للبيع.

- هراء.

ابتسم بوارو ابتسامة خافتة. كان فى صوتها نبرة عامل الطاحونة الذى وصل إلى الثروة. شعر نحوها فجأة بالشفقة. نظر إلى الوجه الناعم والعينين المتعبتين وتذكر الفتاة التى رسمها امياس كريل. قالت:

- أخبرنى بأمر هذا الكتاب. ما الهدف منه؟ من الذى فكر فيه؟ إنك لست كاتباً، أليس كذلك؟

- إننى خبير فى الجريمة.
- هل تقصد أن الناس تستشيرك فى أمور كتب الجريمة؟
- ليس على الدوام. فى حالتنا هذه لدى مهمة أؤديها.
- لصالح من؟
- كارلا ليمارشانت.
- ومن تكون؟
- ابنة امياس وكارولين كريل.
- نعم أتذكر أنه كانت لهما طفلة صغيرة. أعتقد أنها كبرت الآن.
- نعم، فى الحادية والعشرين من عمرها. فتاة طويلة سمراء تتمتع بشخصية قوية.
- أظن أننى أريد أن ألقاها.
- ربما تهتم هى بلقائك.
- لماذا؟ أوه، نعم. لكن يا له من لغو فارغ. لا يمكن لها أن تتذكر أى شىء، الآن فلم تكن عندئذ قد بلغت السادسة من عمرها.
- إنها تعلم أن أمها حوكت لقتلها أביها.
- وهى تظن أننى السبب فى ذلك؟
- ربما كان هذا تفسيراً صحيحاً.
- يا له من غباء - لو أن كارولين قد تصرفت مثل مخلوق عاقل

...١١

- إذن فليس عليك مسئولية ما .

- ولماذا؟ ليس هناك ما أخجل منه . لقد أحببته وجعلته سعيدا .

وفجأة وكأنما تغيرت ملامحها وعادت مرة أخرى فتاة اللوحة ..
استطردت: لو استطعت أن أجعلك تفهم - لو أنك رأيت الموقف من
زاويتي - لو أنك فقط تعرف.

- ولكن هو ما أريده.. أن أعرف. إن مستر فيليب بليك الذى كان
هنا فى ذلك الوقت سيكتب لى تقريراً شاملاً بكل ما حدث. وسوف
يفعل مستر ميرديث بليك نفس الشيء. ولو أنك...

التقطت اليزا ديتشام أنفاسها وقالت بأزدراء:

- هذين الاثنين! لقد كان فيليب نائماً غيباً - أما ميرديث فقد كان
يحوم حول كارولين. لكنه كان أليفاً على الدوام. لكنك لن تخرج بشيء
حقيقى من تقريرهما. ومرة أخرى لمح الحياة والحيوية تعودان إليها.
عادت امرأة تحيا من بقايا المرأة التى ماتت. استطردت قائلة بسرعة
وغضب: هل تريد الحقيقة؟ إنها ليست للنشر، بل فقط لتسمعها أنت:

- أتعهد بألا أنشر شيئاً دون موافقتك.

- أريد أن تكتب الحقيقة، أن تعود إلى الماضى؟ أن تظهر كيف أنها
كانت.... لقد قتلته. قتل أمياس.... أمياس الذى كان يريد أن يعيش
وأن يتمتع بالحياة.. ليس للكراهية أن تكون أقوى من الحب.. لكن
كراهيتها كانت أقوى. وكراهيتى لها.. إننى أمقتها.... اسمع لايد لك أن
تفهم، أن تشعر كيف كانت عواطفنا أنا وأمياس وسأريك شيئاً.

اتجهت إلى الناحية الأخرى من الحجرة وأخرجت من أحد الأدراج

السرية خطابا بهت لون الحبر عليه. ألقته بين يدي بوارو. تذكر بوارو طفلة ما - في يوم ما - ألفت بين يديه بتوقعة كانت تمتز بها، وقفت على البعد ترقبه وهي تحس بالفخر والخوف من رد الفعل لديه. فض الخطاب ليقرأ:

اليزا أيتها الطفلة الرائعة. إنني لم أر مثل جمالك في حياتي، ورغم ذلك فأنا خائف - لأنني رجل عجوز - في منتصف العمر - شيطان لا يستقر على حال. لا تثقي في أو تعتمدى على إخلاصي - إنني فيما عدا عملي - أصلح لشيء. إن أفضل ما في هو عملي. والآن لا تقولي أنني لم أحذرك.

اللعنة على كل شيء - إنني سأخذك مهما كان الأمر. سأذهب إلى الجحيم لأجلك وأنت تعرفين ذلك. وسوف أرسم لك لوحة تجعل هذا العالم الأحمق يحبس أنفاسه حينما يراها. إنني مفتون بك ولا أستطيع أن أكل أو أنام - اليزا. اليزا. اليزا. أنا لك دوما وحتى الموت.

كان الخطاب قد كتب منذ ستة عشر عاما - والحبر قد بهت لونه، لكن الكلمات لا تزال حية تنبض وتتحرك ونظر بوارو إلى المرأة التي كتبت لها هذه الكلمات. لكن من يراها الآن لن يجدها امرأة:

كانت فتاة صغيرة غارقة في الحب.
وفكر مرة أخرى في جوليت.



الخنزير الصغير لا يملك تننباً

- هل لى أن أسألك السبب يا
مستريوارو؟

فكر بوارو لحظة فى الإجابة. كان يشعر بعينيها الحادثتين
الفاحصتين ترقبانه داخل وجهها المغضن. كان قد صعد إلى حجرة
مس سسليا وليامز فى ذلك الحى الفقير الذى بنيت فيه البيوت بحيث
تشعل حجرات صغيرة مستقلة للعائلات من النساء. كانت حجرة
وحيدة تستخدمها فى كل شىء. لكن رغم الفقر البادى على كل شىء
فقد نجحت مس وليامز فى أن تصبغ كل شىء بشخصيتها. فلقد
غطت الجدران بلوحات مقلدة لهذا الرسام وذاك وردت قولها قائلة:

- إنك تريد ذكرياتى عن قضية كريل. هل لى أن أعرف لماذا؟

كان يمكن لهيركيول بوارو أن يكذب فى أوقات ما، لكنه مع مس
وليامز - المربية الحازمة شعر أنه صبى صغير تسأله إذا كان قد غسل
أسنانه أم فلا يستطيع إلا أن يجيب بالصدق. وبدلاً من أن ينسج قصة
كتابته كتاباً عن الجريمة شرح لها فى بساطة تكليف كارلا ليمارشانت
له بالمهمة وقالت السيدة العجوز بعد أن استمعت إليه فى اهتمام:

- يهمنى أن أسمع أنباء هذه الطفلة وما هو مصيرها الآن؟

- لقد أصبحت شابة جميلة جذابة، لها شخصية قوية مستقلة، ليست من هؤلاء الأشخاص الذين يمكن اثاؤهم عن قرارهم بسهولة.

- هل اتجهت للفن؟ لا أظن ذلك.

- حسنا ما فعلت، فإن وصفك لها يوحى بأنها قد ثبتت لأبيها وليس لأُمها. إننى أريد أن أراها فإنه من المفرح أن ترى شخصا تعرفه فى صغره وقد شب عن الطوق.

- أعتقد أنها كانت صغيرة جدا عما رأيتها آخر مرة.

- كانت فى الخامسة من عمرها تقريبا. طفلة جذابة تميل إلى الهدوء والتفكير وتتصرف إلى لعبها الصغيرة ولا تهتم بأن يساعدها أحد. ومن حسن حظها أنها كانت صغيرة عندما حدثت المناساء، فلو أنها كانت أكبر سنا لأحدثت ضررا بالغا.

- ورغم ذلك فإن المرء لا يشعر أن هناك شيئا فى الأفق، فرغم أنه لا يسمح للطفل بأن يرى أو يفهم الكثير، فإنه يحس بأن هناك شيئا غامضا لا يفهمه وهذا ضار أيضا. ولكن دعيتى أسألك سؤالا وربما كنت أنت الوحيدة التى يمكنك شرحه.

- وما هو؟

- إن هناك أشياء لا أستطيع تحديدها بالنسبة لها. أشعر أن الطفلة - عندما يذكر اسمها لا تعطى الاهتمام الكافى، بل إن إستجابة الآخرين لسماع الاسم لا يكون سوى دهشة غامضة وكأن الشخص الذى أتحدث إليه قد نسى كل شيء عنها. إن هذا ليس طبيعيا كما تعرفين! إن طفلة فى مثل سنّها لابد أن يكون لها الاهتمام كله فى مثل

كل هذه الظروف، ليس لشخصها، بل لأنها محجور حيوى. ربما كان لامياس كريل أسبابه لهجر زوجته، أو لعدم هجرها، لكنه عند الانفصال يشكل الأطفال نقطة هامة جدا، لكن فى حالتنا هذه فإن الطفلة لا تشكل أهمية على الإطلاق. إن هذا يبدو لى غريبا.

- لقد وضعت أصابعك على نقطة هامة يا مستر بوارو. إنك على حق تماما فيما قلت، وهذا من ناحية ما السبب فيما قلته لتوى من أن نقل كارلا إلى بيئة مختلفة كان له أثر طيب عليها. ولو كانت أكبر سنا لقااست من حنينها إلى بيتها الأول. إنه على مدى عملى الطويل فى هذا الميدان رأيت أطفالا كثيرين - معظم الأطفال - يمانون من الاهتمام الزائد من ناحية آبائهم وأمهاتهم، وفى حالة الطفل الوحيد تزداد هذه المعاناة، فإن الطفل يريد أحيانا أن يكون بمفرده بعيدا عن الرقابة. وهذا نفسه له تأثير سىء على الزواج، فالزوج يكره أن يأتى إلى المرتبة الثانية بعد الطفل، ولذلك فهو يبحث عن الاهتمام والرعاية فى مكان آخر، وهنا يكون الطلاق هو الخاتمة، وأنا مقتنع أن أفضل شيء للطفل هو ما اسميه الإهمال الصحى من جانب الأبوين، وهذا يحدث بطريقة طبيعية فى حالة أسرة كبيرة لها أطفال عديدة بإمكانيات مادية ضيقة.إنهم يهتمون فعلا لأن ليس لديها الوقت للانشغال بهم. إنهم يدركون جيدا أنها تحبهم، لكن رعايتها لهم لا تضايقهم. وعلى الناحية الأخرى نجد الزوج وامرأته يكتفى كل واحد منهما بالآخر بحيث لا يبدو عليهما اهتمام بالطفل. وفى مثل هذه الظروف يحس الطفل بالخيانة ويشعر أنه قد ترك فى العراء، أما بالنسبة لمسز كريل فإنها كانت أما ممتازة، تلعب مع كارلا فى الأوقات المناسبة، لكنها أيضا كانت تهتم

بزوجها إلى أقصى حد، بل إن وجودها نفسه كان متلاشياً في وجوده وربما كان ذلك هو المبرر الوحيد لما فعلته.

- هل تقصدين أنهما كانا أكثر شبيهاً بعاشقين منهما بزوجته؟

- تستطيع أن تقول ذلك بطريقة ما، لكنه طبعاً كان رجلاً!

- إنك لا تضميرين إحساساً بالحب نحو الرجال.

- إن الرجال لهم أحسن ما في العالم. إنني أرجو ألا يستديم الوضع على هذا المنوال طويلاً.

- إذن فلم تكوني تحبين أمياس كرييل؟

- بالتأكيد لم أكن أحبه، ولم أوافق على أفعاله مطلقاً، ولو أنني كنت زوجته لتركته منذ زمن فإن هناك أشياء لا تستطيع المرأة أن تتحملها. فإن على المرأة أن تحترم نفسها وألا تخضع للزدرء.

- هل قلت شيئاً كهذا لمسز كرييل؟ كلا بالتأكيد فلم يكن لي أن أقول ذلك بحكم عملي فإنني مستخدمة لتعليم أنجلا وليس لكي أقدم نصائح لم تطلب مني إلى مسز كرييل. لو أنني فعلت ذلك لكان سوء تصرف مني.

- لكنك كنت تحبين مسز كرييل.

- لقد كنت مغرمة جداً بها، ولقد أسففت لما حدث لها.

- وماذا عن تلميذتك أنجلا وارن؟

- كانت فتاة رائعة.. من أكثر التلميذات اللاتي قابلتهن ذكاء. كان ذهنها متوقداً رغم انفعالها السريع وأفعالها الطائشة، لكنها كانت على العموم شخصية قوية، وكنت آمل على الدوام أن تفعل شيئاً له شأن.

ولقد فعلت! لا بد أنك قرأت عن اكتشافاتها في الصحراء وفي الفيوم.
إننى فخورة بانجلا رغم أننى لم أمكث معها هي أولبرى سوى عامين
ونصف لكننى أحب أن أعتقد أننى استطعت أن أساعدها في اكتشاف
ذكائها وحبها للحفريات.

- فهمت أنه كان قد اتخذ قرارا بإرسالها إلى المدرسة. لا بد أنك
غضبت لمثل هذا القرار؟

- كلا على الإطلاق يامستر بوارو. لقد كنت موافقة عليه تماما.
دعنى أوضح لك المسألة: لقد كانت انجلا فتاة عزيزة على، لكنها كانت
مع ذلك فتاة صعبة المراس. وكانت قد بدأت فعلا في السن الصعبة
التي تشعر فيها الفتاة بعد ثقتها بنفسها، فهي ليست بطفلة وليست
بامرأة. فإنه في لحظة ما تكون انجلا عاقلة ناضجة، لكنها في اللحظة
التالية تصبح طفلة طائشة عصبية تقوم بحيل شريرة. وفي هذا السن
تكون المدرسة شيء رائع، فهي تجد فيها عقولا أخرى تحفز عقلها؛
ومجتمعها منظما متكاملا يساعدها على أن تصبح عضوا عاملا فيه.
إن ظروف انجلا في المنزل لم تكن مثالية، ذلك لأن مسز كريل
أفسدتها تماما برعايتها وحبها الدائمين. وقد نتج عن ذلك مشاجرات
بين مسز كريل وزوجته، لأنه كان يريد أن يكون في المرتبة الأولى. لقد
كان يحب الفتاة وكانا في معظم الأحيان صديقين، لكنه في أحيان
أخرى كان يغضبه اهتمام مسز كريل الزائد بانجلا. وعندما كان
يتشاجر مع انجلا كانت انجلا تثيره بحيلها، بأن تضع بعض الملح في خمره
أحيانا أخرى كانت انجلا تأخذ جانها فيجعله ذلك حائقا. وفي
وهو الذي اعتاد أن يصبه مرة واحدة، ولقد كانت حيلتها الأخيرة

السبب في قراره بإرسالها إلى المدرسة حينما وضعت بعض الديدان في فراشه.

توقفت مس وليامز لحظة ريثما التقطت أنفاسها واستطردت:

- كان قرارا لا رجعه فيه، غضبت له انجلا رغم أنها كانت قد عبرت مرة أو اثنتين عن ترحيبها بالذهاب إلى المدرسة. وعندما سئلت حُبذت ذلك القرار وكانت على وشك الالتحاق بالمدرسة في الخريف. ولكن المسألة برمتها كانت خلفية سيئة لكل ما حدث بعد ذلك الصيف.

- هل تعنين مجيء اليزا جرير؟ وما رأيك فيها؟

قالت مس وليامز بحدة وهي تزم شفيتها:

- ليس لدى رأي فيها على الإطلاق، فهي امرأة لا أخلاق لها البتة.

- لكنها كانت صغيرة السن.

- كانت كبيرة بما يكفي، ولا أستطيع أن أجد لها عذرا على الإطلاق.

- لقد وقعت في غرامه واعتقد أنها..

قاطعتها مسز وليامز في غضب صائح: وقعت في حبه حقيقة. أظن يا مستر بوأرو أنه مهما كانت عواطفنا فإننا يجب أن نسيطر عليها. ونسيطر كذلك على انفعالاتنا. إن تلك الفتاة لم تكن لها مبادئ أو أخلاق من أي نوع. لم يكن شيئا بالنسبة لها أن مستر كريل كان رجلا متزوجا. لا بد أنها تلقت تربية سيئة فهذا هو العذر الوحيد الذي التمسها لها.

- لا بد أن موت مستر كريل كان صدمة شديدة لها.

- أوه نعم، رغم أنها هي الوحيدة المألومة على ذلك، إنتى لا أذهب

إلى حد اتهامها بالمشاركة فى الجريمة، لكن لو أن امرأة دفعت إلى نقطة الانهيار دفعا لكانت هذه المرأة هى كارولين كريل. أقول لك بصراحة، إنه كانت هناك لحظات أصبرت فيها أن أقتلها معا. تلك اللحظات التى سمعت فيها الفتاة توجه الإهانات لمسز كريل، كلا يا مسز بوارو إن امياس كريل قد لقي ما يستحقه، فإنه ليس لرجل أن يعامل زوجته كما كان يعاملها ولقد نال عقابه.

- إن مشاعرك بالغضب قوية...

- إن مشاعرى قوية تجاه رابطة الزوجية، فإذا لم تحترم هذه الرابطة فإن المجتمع كله ينهار. إن مسز كريل كانت زوجة مخلصنة وفية، لكن زوجها أتى عن عمد بعشيقته إلى منزلها، ولقد نال ما يستحقه لأنه ضايقها بأقصى ما يستطيع تحمله أى إنسان، وعن نفسى فإننى لا ألومها على ما فعلته.

- لقد كانت تصرفاته سيئة، اعترف بذلك، لكن تذكرى أنه كان فتانا عظيما.

- نعم. إن هذا هو العذر دائما هذه الأيام. فتان! إن هذا، هو العذر للحياة المنحلة من كل نوع - الخيانة - السكر - والعريضة. ومن أى نوع كان امياس كريل فتانا؟ إن من المعتاد أن يعجب المرء ببعض اللوحات لعدة أعوام، لكن هذا لا يدوم، بالإضافة إلى أن أبعاد صوره كانت مخيفة وتشريعه كان خاطئا. كلا لا تطالبنى بأن أعجب برسومه.

قال بوارو بغير وضوح: هل كنت مع مسز كريل عندما اكتشفت الجثة؟

- نعم تركت المنزل معها بعد الغداء. كانت انجلا قد تركت معطفها

على الشاطئ بعد السباحة أو ربما في القارب، ولقد كانت على الدوام تهمل أشياءها هنا وهناك. تركت مسز كريل عند باب حديقة المدفعية، لكنني سمعت صوت نداءها على الفور. أعتقد أن مسز كريل كان قد مات منذ أكثر من ساعة، كان ممدا على المقعد الطويل بالقرب من حامل لوحاته.

- هل كانت مسز كريل حزينة جدا عند اكتشافها لجثته؟
- ما الذي تقصده بالضبط يا مسز بوارو؟
- إنني أسألك عن انطباعاتك في ذلك الوقت.
- فهمت، نعم لقد كانت توشك أن يغمر عليها. أرسلتني لأطلب الطبيب بالتليفون. ذلك لأننا قبل كل شيء لم نكن قد تأكدنا أنه مات. ربما كان الأمر مجرد إغماء.
- هل عبرت هي عن هذا الاحتمال؟ لا أتذكر.
- هل ذهبت لطلب الطبيب بالتليفون؟
- قطعت نصف الطريق عندما قابلت مسز ميرديث بليك وعهدت إليه بمهمتي وعدت أنا إلى مسز كريل. ظننت أنها يمكن أن تكون قد انهارت - والرجال لا يفيدون كثيرا في مثل هذه الحالات.
- وهل كانت قد انهارت؟
- كانت مسيطرة على نفسها تماما. كانت امرأة مختلفة عن اليزا جرير التي ناحت وولت وحاولت مهاجمة مسز كريل.
- تقصدين أنها أدركت أن مسز كريل مسئولة عن موت مسز كريل؟
- فكرت مس وليامز في الإجابة لحظة قبل أن تقول:

- كلا لم تكن واثقة تماما، فإن هذا الشك لم يكن قد نشأ بعد، لقد صاحبت اليزا جرير فقط، قائلة: (إن هذا فعلك يا كارولين. لقد قتلته. إنه خطؤك). ولم تقل فعلا (لقد وضعت له السم). لكن لم يكن هناك شك فى أن ظنونها قد ذهبت هذا الاتجاه.

- وماذا عن مسز كريل نفسها؟

- لا أستطيع يا مستر بوارو أن أخبرك بحقيقة مشاعر مسز كريل وعما إذا كان ذلك مجرد هلع أو خوف، لكن ذلك كان طبيعيا تماما.

- نعم ولكن ماذا كانت وجهة نظرها الرسمية فى مقتل زوجها؟

- الانتحار. لقد قالت ذلك بكل تحديد من أول الأمر.

- هل قالت نفس الشيء عندما تتحدث إليك على انفراد، أم كانت لها نظرية أخرى؟

- كلا لقد بذلت جهدا لكى تقنعنى بأن الأمر لابد وأن يكون انتحارا.

- وماذا قلت إجابة على ذلك؟

- هل يهمك أن تعرف ماذا قلت يا مستر بوارو؟ إننى لا أرى سببا لذلك، لابد أننى قلت (بالتأكيد يا مسز كريل، لابد أنه كان انتحارا)..

- هل كنت مقتنعة بما قالته بنفسك؟

رفعت مس وليامز رأسها فى دهشة وقالت فى حزم:

- كلا... لم أكن مقتنعة، ولكن أرجوك أن تفهم يا مستر بوارو أننى كنت فى صف مسز كريل كلية، كان كل تعاطفى معها وليس مع الشرطة.

- كنت تفضلين لو أنها برئت. نعم.

- إذن فأنت تتعاطفين مع مشاعر ابنتها، حسنا فلا أعتقد ان لديك اعتراضا على أن تكتبى لها تقريرا وافيا عن المأساة.
- هل تريده لكارلا لكى تقرأه؟ حسنا ليس لدى اعتراض إذا كان الأمر كذلك. هل هى مصرة على أن تبحث الأمر برمته من جديد بنفسها؟
- نعم وائى لأظن أنه كان من الأفضل لها ألا تعرف بالمأساة برمتها.
- قاطعته مس وليامز قائلة: كلا. إنه دائما أن تواجه الحقيقة. ليس من المفيد على الإطلاق تجنب أى تعاسة عن طريق قلب الحقائق. لقد نالت كارلا صدمتها وهى تعرف الحقيقة.. وهى الآن تريد أن تعرف بالضبط كيف تمت المأساة. إن هذا يبدو الموقف الصائب لامرأة شابة شجاعة. وحالما تعرف كل شيء عن الموضوع فسوف يكون فى مقدورها أن تنسأ وأن تعيش حياتها الخاصة.
- لكنها تطلب ما هو أكثر من ذلك. تريد أن تبرهن على براءة أمها.
- يا للفتاة البائسة. إنتى أفهم الآن لماذا قلت أنه كان من الأفضل لها ألا تعرف بالأمر برمته. لكن على كل فإننى أعتقد أنه من الأفضل لها أن تعرف. ورغبتها فى أن تكشف براءة أمها شيء طبيعى رغم أن الحقيقة الواقعية ستكون قاسية، لكن مما عرفت منك عن كارلا فإنها ستواجه الحقيقة بشجاعة.
- ولكن هل أنت واثقة أن تلك هى الحقيقة؟..
- أعتقد أنه ليس هناك بصيص من ضوء فى أن تكون مسز كريل بريئة؟
- لا أظن أن هذا الاحتمال قد نوقش بجدية مطلقة.
- لكن مسز كريل نفسها تعلقت بنظرية الانتحار.

- كان على المرأة المسكينة أن تقول شيئاً .
- هل تعرفين أن مسز كرييل وهي تموت تركت خطاباً لابنتها تقسم فيه بشدة على أنها بريئة.
حدقت فيه مسز وليامز بدهشة وقالت بحدة:
- لقد كان ذلك عملاً خاطئاً منها .
- هل هذا رأيك؟ نعم واني لا أجرؤ على القول بأنك عاطفي كبقية الرجال. لماذا تكتب كذبة مثل هذه تقسم عليها في لحظتها الأخيرة؟ هل تفعل أنت ذلك لتجنب طفلك الألم؟ نعم إن نساء كثيرات قد يفعلن ذلك، لكنني لم أكن أظن أن مسز كرييل - وهي كما عرفتُها امرأة شجاعة تفعل ذلك . كنت أتوقع منها أن تكتب لابنتها تسألها ألا تدينها .
- إذن فإنك لا تأخذين حتى في اعتبارك احتمال أن تكون ما كتبتة مسز كرييل هو الحق - ذلك رغم أنك تقرين بحبها لك .
- لقد أجبتها حقاً وكنت متعاطفة معها إلى أقصى حد... إنك لن تفهم يا مستر بوارو... لكن ذلك حدث منذ وقت بعيد ولم يعد يهم . اسمع لقد حدث ما جعلني أعرف أن مسز كرييل كانت مذنبة .
- ماذا تقولين؟
- هذه هي الحقيقة سواء كنت على حق بعدم إفشاء ما أعرفه في ذلك الوقت أم لا - لكنني أخفيت ما أعرف، لكن عليك أنت أن تعرف بكل تأكيد . إنني واثقة أن كارولين كرييل كانت مذنبة .

الخنزير الصغير يولول

كانت شقة انجلا وارن تطل على
حديقة ريجنت، كان يوما ربيعيا
دخل فيه الهواء المنعش من نافذة
الحجرة التي دخل إليها بوارو.
وسرعان ما استدار عندما فتح
الباب ليلقى انجلا وارن.

لم تكن تلك أول مرة يراها فيها. فلقد كلف نفسه مشقة الذهاب
إلى إحدى محاضراتها التي كانت تلتقيها في المعهد الملكي
الجغرافي. كانت محاضرة ممتازة ألقته مس وارن بمهارة في صوت
واضح جذبت به اهتمام الجميع رغم أنه كان موضوعا جافا بالنسبة
للجمهور. اتضح له عندئذ أنه شخص له ذهن منظم ذكي.

وهي الآن عندما يراها بشخصها يدرك أن انجلا وارن كان يمكن
أن تكون امرأة جميلة رغم ملامحها التي تميل إلى القسوة. ولم يكن
بها ما يشير إلى الخنزير الصغير الذي ينتحب، فيما عدا التشويه الذي
نتج عن جرح غائر شفى مع الزمن. كانت العين اليمنى مشوهة قليلا.
وقد انضم ركن عينها أكثر من اللازم، لكن أحدا لم يكن يمكنه أن

يتحقق من أن تلك العين قد فقدت أبصارها . وبدأ لهركيول يوارو أنها عاشت مع هذا التشويه مدة طويلة حتى أنها لم تعد تشعر بوجوده. وخطر ليوارو أنه من الخمسة أشخاص الذين يهتم بمسألهم، بدا له أن هؤلاء الذين بدو وكأن لهم كل المميزات لم يكونوا قد نالوا سعادة مثل التي تنالها انجلا. فلن اليزا التي كانت منذ البداية رائعة الجمال، واسعة الثراء، قد انتهت وكأنها زهرة نزل عليها الصقيع وقتلت في برعمها . أما سيسليا وليامز التي بدت لعين الناظر من الخارج وكأنها معدمة، فإنه لم يشعر لديها بإحساس بالفشل. بل إنها كانت لا تزال مهتمة بالناس والأحداث أما الآن فهي انجلا وارن - الشابة المشوهة التي لا بد أن تحس بالاستكانة، فإن يوارو لمخ فيها روحا يقظة مشتتة بحاجتها للكفاح في سبيل اكتساب الثقة والشهرة. لقد ذهبت الفتاة الصغيرة الجامحة لتصبح امرأة كاملة الشخصية والحيوية، موهوبة بنشاط وافر وأهداف طموحة. كانت امرأة سعيدة ناجحة، حياتها مليئة بالمتعة والآمال.

كان من السهل مع امرأة كانجلا وارن أن يصل إلى هدف زيارته مباشرة. أعاد على مسمعها ببساطة لقاءه مع كارلا ليمارشانت. أضاء وجه انجلا وارن بفهم وقالت:

- كارلا الصغيرة؟ هل هي هنا الآن؟ إنني أرغب في رؤيتها.

- إنك لم تستمر في صلتك بها، أليس كذلك؟

- ليس بالقدر الذي كنت أود أن يكون. لقد كنت في المدرسة عندما ذهبت هي إلى كندا، واعتقدت أنها سوف تتساقط بعد عام أو عامين. أما في الأعوام القليلة الماضية فلم يكن بيننا سوى هدية على عيد

الميلاد بين حين وآخر. ذلك أننى تخيلت أنها لابد أن تكون قد اندمجت فى الحياة فى كندا، وأن مستقبلها سيكون هناك. وكان هذا أفضل بالنسبة للظروف.

- ربما كان الأمر كذلك حقاً - تغير فى الاسم وتغير فى المكان يخلقان حياة جديدة. لكن الأمر لم يكن يمثل هذه السهولة.

ثم أخبرها بأمر خطية كارلا واكتشافها للرسالة التى تركتها لها أمها عندما بلغت سن الرشد وحضورها إلى إنجلترا. استمعت إليه أنجلا وارن فى هدوء وعندما انتهى من روايته قالت بهدوء:

- إن هذا أفضل لكارلا.

دهش يوارو لأن هذه هى المرة الأولى التى يواجه فيها بمثل هذا التعليق وقال: إذن فأنت توافقينها يا مس وارن.

- بالتأكيد وأرجو لها النجاح. وسوف أفعل كل شيء يمكن أن يساعدنا. إننى أشعر بالذنب إذ أننى لم أحاول أن أفعل شيئاً فى هذا المجال بنفسى.

- إذن فأنت تعتقدين أن هناك احتمالاً بأن نظريتها قد تكون صحيحة؟ قالت أنجلا وارن بجدّة:

- بالطبع إنها على حق. إن كارولين لم تقتله، ولقد كنت أعلم ذلك على الدوام.

- إنك تدهشيننى يا آنستى، فإن كل شخص تحدثت إليه....

قاطمته أنجلا وارن بجدّة قاتلة:

- ليس لك أن تعتمد على ما سمعت ليس لدى شك في أن الأدلة الملموسة مقنعة، لكن اعتقادي المبني على معرفتي لأختي يقول بأن كارولين بالتأكيد لا يمكن أن تقتل أى إنسان.

- هل يمكنك أن تقولى ذلك عن أى كائن بشرى؟

- ربما في معظم الحالات. أننى أوافقك على أن الحيوان آدمى يمكن أن يأتى بالمفاجآت، ولكن حالة كارولين هناك أسباب لا يمكن لأحد تقديرها مثلى.

ولست خدعها المشوهة واستطردت قائلة:

- هل ترى هذا؟ ربما كنت قد سمعت عنها؟ إن ذلك من فعل كارولين، ولهذا السبب فإننى واثقة أنها لا يمكن أن ترتكب جريمة.

- لكن هذا ليس بالدليل المقنع لمعظم الناس.

- كلا ولقد يكون على العكس، ولقد استخدم فعلا على ذلك الأساس كما اعتقد، استخدم دليلا على أن كارولين عصبية المزاج وسريعة الانفعال، ذلك لأنها أصابتى وأنا طفلة، ومن ثم فإنها قادرة على أن تضع السم لزوج غير مخلص.

- إننى على أقل أتفهم الفرق. فإن نوبة من الانفعال المفاجيء الجامح لا يمكن أن يقود إلى استخدام السم عن عمد واصرار في اليوم التالى.

- إننى لم أقصد ذلك على الإطلاق، سأشرح لك ما أريد. افترض أنك شخص عاطفى طيب لكنك أيضا معرض للشعور بالغيرة الحادة، وافرض أنك في نوبة غضب جامحة قد اقتربت من ارتكاب حادث قتل.

فكر عندئذ في الصدمة العنيفة والفرع وتأنيب الضمير الذى يسيطر عليك، وبالنسبة لشخص حساس مثل كارولين فإن الفرع وتأنيب الضمير لم يتركها لحظة واحدة. إننى لم أشعر بذلك فى ذلك الوقت بوضوح، ولكنى عندما أعود بذاكرتى إلى الماضى أدرك موقفها بوضوح. لقد كان أشد ما يسيطر على حياة كارولين استمرار إحساسها بأنها قد آذنتى، وهذا الإحساس لم يتركها لحظة واحدة فى سلام، بل إنه أعطى لونا خاصا لانفعالها كله. كان يفسر موقفها نحوى بأن كانت تقدمنى على أى شىء آخر. ونصف المشاجرات التى كانت بينها وبين امياس كريل كانت بسببى. لقد كنت أميل للإحساس بالغيره نحوه ومن ثم ضايقتهم بكل أنواع الحيل. بوضع الملح فى شرابه والديدان فى فراشه، لكن كارولين رغم ذلك كانت تقف فى صفى.

توقفت مس وارتن لحظة قبل أن تستأنف قائلة:

- لقد أفسدتنى تماما بتدليلها لى، لكن ما أعنيه هو أن تلك الفورة العنيفة جعلتها تحجم عن أى عمل من نفس النوع. كانت ترقب نفسها باستمرار، خائفة من أن يتكرر ما حدث مرة أخرى، وكانت تتخذ كل احتياطات ضد ذلك، ومن هذه الاحتياطات اسرافها فى الكلام. شعرت أنها لو كانت عنيفة بما يكفى فى حديثها فإن ذلك سيجنبها العنف فى انفعالها. ولقد وجدت بالتجربة أن ذلك مفيد، ومن ثم فكنت تسمع كارولين تقول لزوجها (لو أنك ضايقتنى فسوف أقتلك. لقد أدركت أن ميلها للعنف كان فى طبيعتها، ومن ثم كانت تنفس عن هذا الميل بالكلام، ولقد اعتادت هى وامياس كريل أن يتشاجرا كثيرا بهذه الطريقة.

- نعم هناك دليل على ذلك، على أنهما كانا يتشاجران كالقطعة والكلب.

- بالضبط، وأن هذا هو الشيء الغريب والمضلل في الدليل على جرمها. إن كارولين وأمياس كانا يتشاجران طبعاً، ويقولان أشياء فظيعة كل للأخر، ولكن مالا يفهمه الناس أنهما كانا يتمتعان بالشجار. كان كل منهما يحب الناحية المساوية والمناظر الانفعالية. إن معظم الرجال لا يحبون ذلك فهم يحبون الهدوء. لكن أمياس كان فتاناً يحب الصياح والتهديد والتظاهر بالغضب وكان ذلك ينفس عما به. كان من نوع الرجال الذين إذا فقدوا زراراً يقلب البيت رأساً على عقب. إنني أعرف أن ذلك سخف، لكن هذا كان ما يظنه أمياس وكارولين، الشيء الطريف في الحياة.

حركت انجلا وارن يدها تعبر عن عدم صبرها ثم استطردت قائلة:
- لو أنهم فقط لم يبعدوني لاستطعت أن أقدم شهادتي ولأخبرتهم بكل هذا. لكنني لا أعتقد أنهم كانوا سيصدقونني. على أية حال إن ذلك ربما لا يكون واضحاً في ذهني عندئذ كما هو الآن.
إن كل ذلك كان شيئاً أعرفه دون أن أفكر فيه، ولم يكن يخطر لي أن أعبر عنه بالكلمات.

- إنني أدرك حقيقة كل ما سمعته منك. إن هناك أشخاصاً الاتفاق بينهم يسبب نوعاً من الرتابة، وهم يطلبون الشقاق لخلق شيء مثير في حياتهم، ولكن يا مس وارن هل لي أن أسألك ماذا كانت مشاعرك في ذلك الوقت؟

- الدهشة واليأس كاملين. كان الأمر يرمتي مثل الكابوس. سرعان ما قبض على كارولين - بعد الحادث بثلاثة أيام كما أعتقد، ولازلت أتذكر غضبي وحنقي وثنيتي الطفولية أنه لابد أن يكون هناك خطأ ما،

وأن كل شيء سيعود إلى مجراه الطبيعي. كان أهم ما يشغل بال كارولين هو أنا، أرادت أن تبعدني بأسرع وقت ممكن، وأقنعت مس وليامز بأن تأخذني إلى بعض الأقارب فورا، خاصة ولم يكن لدى الشرطة أى اعتراض ثم تقرر أن شهادتي لن تحتاج إليها، ومن ثم فقد اتخذت ترتيبات لإرسالى إلى مدرسة داخلية فى الخارج. لقد كرهت الذهاب بالطبع، لكنهم شرحوا لى أن كارولين كانت مشغولة بى، وأن الطريقة الوحيدة لمساعدتها هى أن أذهب.

وتوقفت مس وارن لحظة قبل أن تستطرد:

- وهكذا ذهبت إلى ميونخ وكنت هناك عندما نطق بالحكم. ولم يسمحوا لى برؤية كارولين وهو الشيء الذى لم تقبل به هى أيضا. إن هذه هى المرة الوحيدة كما أعتقد التى لم تفهم فيها الأمور على حقيقتها.

- لا يمكن أن تتأكدى من ذلك يا مس وارن فإن زيارة شخص تحببته فى السجن ربما يخلق انطباعا مخيفا فى فتاة حساسة رقيقة صغيرة السن.

- ربما. وبعد النطق بالحكم كتبت لى أختى رسالة لم أظهرها لأى مخلوق. أظن أنه يجب أن أريك إياها الآن، فقد تساعدك فى فهم شخصية كارولين. وإذا أحببت يمكنك أن تريها لكارلا أيضا.

اتجهت إلى الباب واستدارت قائلة: تعال معى. إن هناك صورة لكارولين فى حجرتى. وللحظة ظل بوارو يحدق فى الصورة. كان لها وجه طويل بيضاوى عليه تعبير خجول رقيق. كان زوجها غير واثق من نفسه، عاطفى له جماله الداخلى. كان ينقصه قوة وحيوية وجه ابتها - ولابد أن كارلا ليمارشانت قد ورثت نشاطها ومرحها من أبيها. أما

كارولين فقد كانت مخلوقاً أقل إيجابية، ورغم ذلك فقد فهم هيركيول بوارو كيف أن رجلاً خيالياً مثل فوج لم يستطع نسيانها مطلقاً.

كانت انجيلا وارن تقف خائفة مرة أخرى وفي يدها رسالة. قالت في هدوء: الآن وقد رأيت صورتها تستطيع أن تقرأ رسالتها. فضنها بوارو بعناية وقرأ ما كتبه كارولين بخط يدها منذ ستة عشر عاماً:

عزيزتي الصغيرة انجيلا:

سوف تسمعين أنباء سيئة وسوف تحزنين، لكن ما أريده أن ينطبع في ذهنك أن كل شيء سيكون على ما يرام تماماً. إنني لم ألق عليك بالأكاذيب مطلقاً، ولا أفعل ذلك الآن عندما أقول لك أنني سعيدة بالفعل، وأنني أشعر بهدوء لم أعرفه من قبل. إن كل شيء على ما يرام يا عزيزتي. كل شيء على ما يرام. لا تتطرى إلى الخلف، ولا تندمى أو تحزن من أجلي. استمري في حياتك وحققى نجاحك. إنك تستطيعين ذلك كما أعرف وقد أصبح كل شيء على ما يرام. إنني ذاهبة إلى اميلاس، وليس لدى أى شك في أننا سنكون سوياً.

إنني لم أكن أستطيع الحياة بدونك. افعلنى هذا الشيء الوحيد من أجلي - كوني سعيدة. لقد قلت لك أنني سعيدة تماماً. وعلى المرء أن يسدد ديونه ومن الرائع أن يحس الإنسان بالهدوء.

أخطك المحبة كارو

قرأ هيركيول بوارو الخطاب مرتين ثم ناوله لانجيلا وارن قائلاً:

- إنها رسالة جميلة جداً يا آنستي، وهي رسالة متميزة تماماً.

- ذلك لأن كارولين شخصية متميزة.

- نعم إن لها ذهنًا غير عادي، هل تعتقد أن هذه الرسالة تنبئ عن براءتها؟

- نعم إنها تفعل ذلك بالطبع.

- لكن الرسالة لا تقول هذا بطريقة مباشرة.

- ذلك لأن كارولين تعرف أنني لن أفكر مطلقاً في أنها مذنبية.

- ربما لكنه يمكن فهم الرسالة بطريقة مختلفة، على أساس أنها كانت مذنبية وأن التكفير عن جريمتها سيعطيها السلام.

إن هذا التفسير كان يتناسب مع وصف حالتها وهي في المحكمة. وشعر بوارو في تلك اللحظة - أكثر من أي وقت مضى بالشكوك في الطريق الذي ينتهجه. إن كل الأمور حتى الآن تشير إلى جرم كارولين كريل. والآن حتى كلماتها هي تشهد ضدها، ولكنه من الناحية الأخرى كان هناك اقتناع أنجلا وارن الذي لا يتزعزع. لقد عرفتها أنجلا جيداً بدون شك ولكن ألا يكون اقتناعها هذا مجرد إخلاص ووفاء متعصب من فتاة مرافقة تجاه الشقيقة المحبة؟

وكأنما قرأت أنجلا أفكاره فقد قالت:

- كلا يا مستر بوارو إنني أعرف أن كارولين لم تكن مذنبية.

- الله وحده يعلم. أنني لا أريد أن أزعم ثقتك في هذا، لكن دعينا نكون عمليين.. إنك تقولين أن أختك لم تكن مذنبية، حسن جداً ما الذي حدث إذن في الحقيقة؟

- أتفق معك أن هذا أمر صعب، أظن أن الأمر كما قالت كارولين - إن أمياس انتحر.

- هل هذا محتمل بما تعرفين عن شخصيته؟
- غير محتمل على الإطلاق.
- لكنك لا تستعملين عبارة (إن هذا مستحيل) كما فى الحالة الأولى؟
- كلا لأن معظم الناس قد يفعلون أفعالا مستحيلة أحيانا، إلى أشياء لا تتفق مع شخصياتهم، لكن هذه الأفعال - لو عرفتهم عن قرب - لن تكون بعيدة عن شخصيتهم.
- هل كنت تعرفين شخصية زوج أختك جيدا؟
- نعم ولكن ليس كما أعرف. يبدو لى مستعبدا جدا أن يقتل امياس نفسه - لكن يحتمل أن يكون قد فعل هذا - بل الحقيقة أنه لابد أن يكون قد فعل هذا.
- أليس لديك تفسيرا آخر.
- تقبلت انجلا ما يثيره هذا السؤال من إحياءات بهذوء، لكن الاهتمام ازداد فى نبرة صوتها وهى تقول:
- أوه، أرى ما تقصده، لكننى لم أفكر فى هذا الاحتمال مطلقا فى الحقيقة. هل تقصد أن أحدا من الآخرين قد قتله؟ وأنها كانت جريمة مدبرة عن عمد.
- نعم ، ربما كانت كذلك. أليس هذا محتملا؟
- نعم، محتمل، لكن هذا يبدو مستعبدا .
- هل هو مستبعد أكثر من الانتحار؟
- من الصعب الإجابة على هذا ... فمن الظاهر ليس هناك ما

يدعو المرء لأن يشك في أى شخص آخر. وعندما أنظر الآن إلى الماضي لا أجد....

- على أية حال دعينا نضع هذا الاحتمال في اعتبارنا. من الذى يهمه الأمر يمكنه أن يكون قتل - أكثر الأشخاص احتمالا؟

- دعنى أفكر، حسنا أنا لم أقتله واليزا تلك لم تفعل، فلقد جن جنونها عندما علمت بموته. من يتبقى؟ ميرديث بليك؟ لقد كان دائما وفيها مخلصا لكارولين كالقطة الأليفة للمنزل بأكمله، أعتقد أن ذلك قد يعطيه دافعا. ربما كان يريد ازاحة اميلاس من الطريق ليتزوج من كارولين، لكنه كان يصل إلى نفس النتيجة. بأن يترك اميلاس يذهب مع اليزا جرير وفي الوقت المناسب يتقدم هو إلى كارولين. ذلك بالإضافة إلى أنه لا يمكن أن أتخيل ميرديث قاتلا فهو رقيق جدا وحريص جدا. من يبقى؟

- مس سيسليا وليامز؟ ومستر فيليب بليك؟

- مس مليامز، إننى لا أستطيع أن احمل نفسى على الاعتقاد بأن هذه المربية يمكنها ارتكاب جريمة قتل. لقد كانت مخلصا لكارولين تماما، ومستعدة لأن تفعل أى شيء من أجلها. لقد كانت في صف النساء على خط مستقيم وتكره الرجال، وأولهم اميلاس كريل، هل هذا دافع كاف للقتل؟ كلا بالتأكيد. أما فيليب بليك؟..... آره، نعم لو أننا تحدثنا عن مجرد الاحتمالات فإنه أكثر الأشخاص احتمالا.

- إن حديثك هام جدا يا مس وارن هل لى أن أسألك لماذا قلت هذا؟

- إنه ليس شيئا محمدا. لكن طبقا لما أذكره عنه فإننى أقول أنه

شخص محدود الخيال.

- وهل يدفع الخيال المحدود إلى الجريمة؟

- إنه قد يدفعك لاتخاذ طريق جاد للتخلص من الصعوبات التي تعترضك، إن رجلاً من هذا الطراز يشعرون بالرضى في اتخاذ عمل أو آخر. إن القتل عملية حادة أليس كذلك؟

- نعم، أظنك على حق وهي وجهة نظر تستحق التفكير، لكن لا بد أن يكون هناك ما هو أكثر من ذلك يا مس وارن. ما هو الدافع المحتمل لفيليب بليك للقتل؟ لم تجب انجلا وارن على الفور بل شخصت ببصرها إلى الأرض واستطرد بوارو:

- لقد كان أعز أصدقاء امياس كريل أليس كذلك؟

- نعم... إن هناك شيئاً يدور في ذهنك يا مس وارن، شيء لم تخبريني به بعد، هل كان كل من الرجلين يتنافسان على الفتاة اليزا؟

- كلا، ليس فيليب بليك.... إنك تعرف كيف تتداعى الذكريات في ذهنك في مناسبة ما، لقد كنت أقيم يوماً في فندق، وعندما كنت أمر في الردهة فتح أحد الأبواب وخرجت منه امرأة كنت أعرفها. لم تكن تلك غرفة نومها - ولقد انطبع تأثير لقائى لها بوضوح على وجهه حالما رأتنى - فلقد عرفت معنى هذا التعبير عذ، ما رأيت وجه كارولين وهي تخرج من حجرة فيليب بليك في أولبرى في إحدى الليالى.

مسالت انجلا وارن إلى الأسام وأوقفت بوارو عن الكلام وهي تستطرد قائلة: لن تكون لدى أى فكرة في ذلك الوقت، كان لدى ما لدى البنات في تلك السن من أفكار. لكننى لم اقرن ذلك بالحقيقة. إن

خروج كارولين من حجرة نوم فيليب بليك لم يعن أكثر من ذلك، وكأنها خرجت من حجرة مس وليامز أو من حجرتي. ولكن ما لاحظته هو التعبير الذي ارتسم على وجهها - تعبير غريب لم أعرفه ولم أستطع أن أفهمه، لم أفهمه حتى... - كما قلت لك - تلك الليلة في باريس التي رأيت فيها نفس التعبير على وجه المرأة.

- لكن ما تقولين لي يا مس وارن يدعو للدهشة، فالذي خرجت به من فيليب بليك هو أنه كان يكمن الكراهية لكارولين كريل، وكان هذا هو شعوره على الدوام.

- أعرف هذا، لا أستطيع تفسير روايتي لكن هذا هو ما حدث.

أوما بوارو برأسه وفكر في أنه أثناء لقائه بفيليب بليك شعر في غموض أن شيئاً ما لم يكن صادقا. هذا الشعور بالكراهية والعداء تجاه كارولين لم يكن طبيعياً تماماً. ورنث في ذهنه كلمات ميرديث وهو يقول (إن فيليب قد ضايقه جداً أن يتزوج امياس كريل من كارولين ولم يذهب إليهما نحو عام أو أكثر). هل كان فيليب إذن مفرماً على الدوام بكارولين؟ وهل تحول حبه إليها - بعد زواجها من امياس - إلى كراهية ومرارة؟

نعم، لقد كان فيليب عنيفاً - متحيزاً، وتخيله بوارو أمام عينيه - الرجل الثرى وعصا الجولف في يده ومنزله المريح في انتظاره. ماذا كان شعور فيليب بليك الحقيقي منذ ستة عشر عاماً؟ سمع انجلا وارن تقول: إنني لا أفهم ذلك كما ترى - فليست لدى خبرة بأمور الغرام، فلم أمر بإحدى التجارب الغرامية. ولقد قلت لك هذا لأنه قد يكون لها تأثير على تفسير ما حدث.

رواية فيليب بليك

رسالة مرافقة للمخطوط

عزيزي مستر بوارو

إنني أفي بوعدي لك وأرفق مع هذا تقريراً وافياً عن الأحداث التي صاحبت وفاة أميلاس كريل. بعد مرور كل هذه السنوات أجد نفسي مضطراً للإشارة إلى أن ذاكرتي لم تكن دقيقة تماماً. لكنني كتبت ما حدث طبقاً لما تذكرته على أحسن صورة.

المخلص: فيليب بليك

مذكرات عن تطور الأحداث التي أدت إلى

مصرع أميلاس كريل في التاسع عشر من سبتمبر

إن صداقتي للمتوفي تعود إلى فترة سحيقة مضت. فبيتتي وبيته كانا متجاورين في الريف. وكان أفراد أسرتنا أصدقاء كذلك. كان أميلاس كريل أكبر مني سناً بعامين، وكنا نلعب سوياً أيام العطلات، رغم أننا لم نكن أصدقاء ننتمى إلى مدرسة واحدة.

ومن معرفتي الطويلة بالرجل أجد نفسي مؤهلاً للحكم على شخصيته ونظرته للحياة، وسوف أقول هذا مباشرة - إن لأي شخص

عرف امياس كريل - فإن فكرة انتحاره تكون مثيرة للسخرية. فإن كريل لا يمكن أن يكون أنهى حياته بنفسه. فقد كان معباً جداً للحياة، وحجة الدفاع التي أبدأها أشاء المحاكمة أن نوبة تأنيب الضمير قد تكون دافعة على ذلك تصبح سخيقة تماماً عند شخص عرف الرجل عن قرب. لقد كان ضمير امياس كريل ضعيفاً جداً وليس من النوع المرضى. ذلك بالإضافة إلى أنه وزوجته لم يكونا على وفاق. ولا أعتقد أنه كان لديه أي تردد في قسح ما كان - بالنسبة له - حياة زوجية غير مرضية. كان على استعداد لأن يعطيها كل طلباتها المادية، وكذلك الطفلة ثمرة ذلك الزواج. وأنا واثق أنه كان سيفعل ذلك بسخاء. لقد كان رجلاً كريماً محبوباً. لم يكن فقط رساماً بارعاً بل أيضاً رجل يخلص له أصدقاؤه الود والمحبة. وعلى حد ما أعرف لم يكن له أي أعداء.

لقد عرفت أيضاً كارولين لسنوات عديدة - عرفتُها قبل أن تتزوج حيث اعتادت أن تأتي للإقامة في أولبرى. كانت عندئذ فتاة عصبية معرضة لنوبات من الغضب الجامح، إلا أنها رغم ذلك لم تكن تفتقر إلى الجاذبية، لكنها دون شك كانت شخصية من الصعب على الإنسان أن يعاشرها.

أظهرت غرامها بامياس على الفور تقريباً، لكنه لم يكن - على ما أظن - يحبها كثيراً لكن حيث أنهما كانا يمضيان معظم الأوقات معا - ولم تكن هي تفتقر إلى الجاذبية - فقد تمت خطبتهما. لم يتقبل أصدقاء كريل الأمر بترحاب لشعورهم أن كارولين لم تكن الشخص المناسب له.

ولقد نتج عن ذلك بعض الحساسية بين كارولين وأصدقاء كريل في

السنوات الأولى من زواجهما، لكن امياس كان صديقا مخلصا ولم يكن على استعداد لأن يتخلى عن أصدقائه القدامى تنفيذا لأوامر زوجته. وبعد بضع سنوات عدت أنا وهو على نفس صداقتنا القديمة، وأخذت أتردد على أولبرى كثيرا، وأضيف أنني كنت الأب الروحي للفتاة الصغيرة كارلا عندما ولدت. وهذا دليل على أن امياس كان يعتبرنى أعز أصدقائه عليه، وهذا ما يعطينى التفويض لأن أتكلم عن رجل لم يعد يستطيع أن يتكلم عن نفسه.

وإذا أتينا إلى الأحداث التى وقعت فى أولبرى فهى كالآتى: وصلت أنا إلى الضيعة قبل خمسة أيام من وقوع الجريمة. أى فى الثالث عشر من سبتمبر، ولقد أدركت على الفور أن هناك توترا فى الجو العائلى. ولقد كان هناك أيضا فى المنزل مس اليزا جرير الذى كان امياس يقوم برسم لوحتها فى ذلك الوقت.

كانت أول مرة أرى فيها مس اليزا جرير شخصا. لكننى كنت أعرف بوجودها منذ بعض الوقت. ذلك لأن كريل كان قد تكلم عنها بحماس قبل ذلك الشهر. قال لى أنه التقى بفتاة رائعة. كان يتحدث عنها بحماس شديد حتى أنني قلت له ضاحكا (كن حريصا أيها الصبى المعجوز وإلا فقدت عقلك مرة أخرى). ولقد قال لى عندئذ ألا أكون أحمق فإنه لن يفعل شيئا سوى رسم لوحة للفتاة، وأنه لا يهتم بها شخصيا، وعندما قلت له (قل ذلك لشخص غيرى فطالما سمعت منك هذا من قبل). أجاب أن هذه الفتاة مختلفة، وكان ردى على ذلك هو أنهم جميعا كذلك بالنسبة له. لكن امياس كريل بدا جادا متأملا وهو يقول (إنك لن تفهم، إنها ليست سوى فتاة صغيرة السن، - ليست سوى طفلة وأضاف أن لها آراء

حديثه وليست متمسكة بتلك الأفكار المتبقية، واختتم حديثه عنها قائلاً:
إنها مخلصه شريفة وطبيعية لا تخشى شيئاً مطلقاً)

ولقد قلت لنفسى فى ذلك الوقت أن امياس وقع فى الفخ هذه المرة. وبعد أسابيع قليلة سمعت تعليقات أخرى من آخرين. قال أحدهم أنها مدلهة فى غرامه تماماً، وآخر قال إن امياس مخطيء فيما فعله لأن الفتاة صغيرة السن تماماً، لكن تعليق شخص ثالث كان أن اليزا جرير كانت تعرف جيداً كيف تشق طريقها. وسمعت ملاحظات أخرى عن أن الفتاة واسعة الثراء، وأنها اعتادت أن تأخذ ما تريد، وأنها هي المستفيدة الأولى من تلك العلاقة. ولقد ظهر تساؤل عن موقف زوجة كريل، لكن الإجابة كانت أنها قد اعتادت على مثل هذه العلاقات، وعلق آخر بأنها غيورة تماماً وأنها جعلت من حياة كريل جحيماً لا يطاق، مما يحفزها أكثر للارتباط بمثل هذه العلاقات بين وقت وآخر.

إننى أذكر هذا كله لأننى أظن أنه من المهم إيضاح كيف كانت الأمور تسير قبل أن أصل أنا إلى أولبرى. اهتمت برؤية الفتاة التى كانت حقاً رائعة الجمال ذات جاذبية لا تقاوم، ولا أخفى سرا أننى سررت قليلاً إذ رأيت كارولين متناظرة جداً.

أما امياس كريل نفسه فلم يكن مرحاً كالعادة. كان طبيعياً لعين شخص غريب لا يعرفه جيداً، لكننى - بحكم علاقتى به - أحسست بجزء من التوتر والانفعال والإثارة فى أكثر من مظهر.

ورغم أنه كان معتاداً على مثل هذه التوترات وهو يرسم، لكن اللوحة التى كان يعمل فيها لم تكن هي السبب فى كل ما ألم به من عصبية وتوتر. سره أن يرانى، وحالما أصبحنا بمفردنا قال (شكراً لله

أنك أتيت يا فيليب فإن الحياة في منزل مع أربع نساء لهن شيء كاف لإرسال أي رجل إلى الجحيم. سوف يرسلني إلى مستشفى المجانين).

لم يكن بالقطع جوا مريحا، فلقد كانت كارولين كما قلت مفتاة حانقة من الموقف، وبأسلوب رقيق مهذب - كانت تعامل اليزا بجفاء لا يمكن للمرء تخيله، دون أن تلفظ بكلمة واحدة جارحة. أما اليزا فكانت واضحة الكراهية نحو كارولين. كانت يدها هي العليا، وكانت تعرف ذلك جيدا - ولم يكن لديها نشأة مهذبة. وكانت نتيجة ذلك أن كريل كان يقضى معظم وقته - عندما لم يكن يرسم - مع الفتاة انجلا. كان كلا منهما يحب صعوبة الآخر رغم شجارهما ومعاركهما الكثيرة، ولكن في تلك المناسبة - وامياس كريل متوتر عصبي - كانا كثيرا ما يفقدان أعصابهما. أما الشخص الرابع في الأسرة فكانت المريية التي كان امياس يعرف جيدا أنها تكرهه وكأنه سم زعاف، وترقبه في غضب واحتجاج دون توقف. قال لى عندئذ:

- اللعنة على النساء جميعا، لو أن رجلا أراد هدوءا وسلاما فعليه أن يبتعد عن المرأة تماما.

- لم يكن لك أن تتزوج، فإنك من نوع الرجال الذين ليس لهم أن يرتبطوا بأسرة ومنزل. أجب بأن الوقت متأخر جدا للحديث عن ذلك، وأضاف. بأن كارولين سوف يسعدها أن تتخلص منه. وكان هذا أول إيعاء بأن هناك شيء غير عادي. قلت له:

- ما هذا كله؟ فعلاقتك باليزا جرير هذه شيء جاد إذن؟

- إنها رائعة الجمال - أليست كذلك؟ أحيانا ما أتمنى ألا أكون قد رأيتها مطلقا.

- اسمع أيها الصبي المجوز، لابد لك أن تتحكم في نفسك، فإنك لا تريد أن ترتبط بامرأة أخرى.

ضحك منى وهو يقول:

- من السهل عليك أن تتكلم - إننى لا أستطيع أن أعيش بدون نساء - لن أستطيع ذلك مطلقاً، وإذا فعلت فإنهن لن يتركنى وشأنى... أوه حسناً، إن كل شيء سيعود إلى الهدوء آخر الأمر كما أتوقع، وعليك أن تعترف بأن اللوحة جيدة. كان يشير إلى اللوحة التي يرسمها لاليزا جرير، ورغم أن معرفتى الفنية بالرسم قليلة إلا أننى استطعت أن أرى أنها ستكون عملاً له قيمته الكبيرة. إن امياس وهو يرسم شخص مختلف تماماً. ورغم أنه كثيراً ما يئن ويتوجع ويشتم إلا أنه عندئذ يكون سعيداً تماماً.

وفقط عندما كان يعود إلى المنزل تهبط روحه المعنوية بسبب ذلك الجو العدائى بين المرأتين وقد بلغ العداء أقصى مداه فى ١٧ سبتمبر. تناولنا الغداء فى جو ملئ بالحرج. ذلك لأن اليزا قد أصبحت وقحة جداً، فتجاهلت كارولين عن عمد، وخاطبت امياس وكأنها هو وحدهما فى الحجرة. تحدثت كارولين فى مرح إلى وإلى بقية الحاضرين، مصدرة تلميحات وإيحاءات كلدغات العقرب. ذلك أن كارولين لم يكن لها عجرفة اليزا وصراحتها المباشرة الوقحة - بل كان كل شيء عندها يتم بالتلميح والإشارة.

تأزم الموقف تماماً بعد الغداء، وهى حجرة الاستقبال حيث كنا نشرب القهوة. كنت قد قلت شيئاً ما عن أحد التماثيل فى الحجرة فقالت كارولين (إن هذا عمل أحد النحاتين النرويجيين. إننى وامياس

نعمجب بعممله جدا، ونتمنى أن نذهب لنراء الصيف القادم). ولقد كانت هذه الإيماءة بالتملك فوق احتمال اليزا جرير، ولم ترغب فى أن تترك هذه الفرصة للتحدى، بل قالت بعد دقيقة أو اثنتين فى نبرات واضحة جلية (إن هذه الحجرة جميلة لو أعيد تأثيثها، إن بها أثاثا أكثر من اللازم. عندما أتى للحياة هنا سوف أتخلص من كل هذا الأثاث البالى فيما عدا قطعة أو اثنتين، وسوف اشترى ستائر بلون النحاس حتى يكون لأشعة الشمس وهى تغرب تأثير مدهش) ثم استدارت نحوى وقالت (الا تظن أن ذلك سيكون شيئا رائعا؟).

لم تتح لى الفرصة للإجابة، لأن كارولين تكلمت بصوتها الهادىء الناعم الخطر النبرة هائلة: هل تفكرين فى شراء هذا المنزل يا اليزا؟

- لن يكون من الضرورى أن اشتريه.

- ماذا تقصدين.

لم يعد فى صوتها أى نغومة الآن. بل كان صوتا معدنيا قاسيا. ضحكت اليزا وأجابت: هل نحن مضطرون للتظاهر يا كارولين؟ إنك تعرفين جيدا ما أعنييه.

- ليست لدى أية فكرة.

- لا تكونى كالنعاماة التى تدفن رأسها فى الرمل. لن يفيدك أن تتظاهرى بأنك لا ترين شيئا ولا تفهمين شيئا. إن امياس وأنا يحب كل منا الآخر. إن هذا ليس بيتك بل بيته هو. وعندما نتزوج سأتى لأعيش هنا معه.

- أظنك مجنونة.

- كلا، لست كذلك يا عزيزتى وأنت تعرفين هذا جيدا . سوف يكون الأمر أسهل لو أننا كنا صادقين مع أنفسنا . إن امياس يحبنى وأنا أحبه، ولقد كان هذا واضحا لك بما فيه الكفاية . لم يبق لك سوى شيء واحد لعمله . هو أن تعطيه حريته .

- إننى لا أصدق كلمة واحدة مما تقولينه .

لكن صوتها لم يكن يوحى بأنها مقتتعه، وكانت اليزا واثقة مما تقول . فى تلك اللحظة دخل امياس كريل الحجرة فقالت :اليزا لكارولين ضاحكة: إذا لم تصدقينى فأسأليه بنفسك .

- سأفعل... اسمع يا امياس.. إن اليزا تقول أنك تريد أن تتزوجها . هل هذا حقيقى؟

ووقع امياس المسكين فى المأزق، لقد أثارت شفقتى عندئذ . إن المرء ليشعر بأنه أحرق تماما لو وقع فى مأزق كهذا . احمر وجهه وبدأ يتلعثم . استدرا نحو اليزا وسألها لماذا يحق الشيطان لم تمسك لسانها؟ قالت كارولين: إذن فالمسألة صحيحة؟

لم يقل امياس شيئا بل وقف فى مكانه يعبث بياقة قميصه . كان معتادا أن يفعل ذلك منذ كان صبيا عندما يقع فى مأزق من أى نوع . حاول أن يضع فى صوته نبرة السيطرة لكنه لم يفلح... قال:

- إننى لا أريد أن أناقش المسألة الآن:

- لكن علينا أن نناقشها .

قالت اليزا متدخلة فى الحديث:

- أعتقد أنه من العدل بالنسبة لكارولين أن تعرف ما هناك .

قالت كارولين في هدوء قاتل: هل الأمر حقيقى يا امياس؟
بدا خجلاً من نفسه، إن الرجال يفعلون ذلك عندما تضيق عليهم
النساء الخناق قالت:
- قل لى أرجوك - لايد لى أن أعرف.
رفع رأسه بقوة كما يرفع الثور في حلبة المصارعة رأسه وقال
بسرعة: إنها الحقيقة - لكنى لا أريد أن أناقش الموضوع الآن.
واستدار وخرج من الحجرة فذهبت خلفه، ذلك لأننى لم أكن أريد
أن أترك بمفردى مع النساء. لحقت به في الشرفة. كان يسب ويلعن كل
شئ من أعماق نفسه، ثم قال في صوت حائق:
- لماذا لم تمسك لسانها؟ لماذا يحق الشيطان لم تستطع أن تمسك
لسانها؟ إن - النار مشتعلة في كل شئ الآن ولايد لى أن أتم هذه
اللوحة. - هل تسمعنى يا فيليب؟ إنها أفضل ما رسمته حتى الآن وربما
كانت أفضل شئ سأرسمه في حياتى، وما هما امرأتان حمقاوتان
يفسدان كل شئ.
ثم هدا قليلا وقال إن النساء لا يتمتعن بأية حساسية للكياسة، فلم
أتمالك نفسى من الضحك وقلت: اللعنة على كل شئ أيها الصبى
العجوز، لقد جلبت كل هذا على نفسك.
- ألسأ أعرف هذا؟ ولكن عليك أن تعترف يا فيليب إننى معذور.
إذ فقدت رأسى بسببها، حتى أن كارولين عليها أن تتفهم ذلك.
وسألته ماذا سيفعل إذا ركبت كارولين رأسها ورفضت اعطائه
الطلاق، لكنه كان الآن - يحلم بشئ آخر، وعندما رددت ملاحظتى

قال بذهن غائب:

- إن كارولين لن تتخذ موقفا عدائيا مطلقا. هل تفهم ذلك؟
- لكن هناك الطفلة.

- اسمع يا فيليب إننى أعرف أن مقاصدك حسنة لكن لا تستمر فى التعيق كالبومة. سوف أتمكن من تدبير أمورى، وسوف يكون كل شيء على ما يرام، وسوف ترى.

كان هذا يتفق مع شخصية امياس تماما - تفاؤل ليس له ما يبرره. سمعته يقول - بمرح: فلينذهبن جميعا إلى الجحيم.

لا أعرف إذا كان ينتوى أن يقول لى شيئا آخر أم لا، لكن بعد دقيقة جاءت كارولين إلى الشرفة مرتدية قبعة جميلة الشكل. قالت بصوت طبيعى تماما: اخلع هذا المعطف الملطخ بالألوان يا امياس، إننا ذاهبون إلى ميرديث لتناول الشاي، ألا تتذكر أننا وعدناه بذلك؟

حرق فيها مبهورا لحظة ثم قال: أوه، لقد نسيت، نعم. نعم بالطبع.
- إذن حاول أن تظهر كرجل ليس رث الثياب.

ورغم أن صوتها كان طبيعيا تماما فإنها لم تنظر إليه. اتجهت نحو آنية الزهور وبدأت تقطف بعضها، فى حين استدار امياس ببطء وعاد إلى داخل المنزل. تحدثت إلى كارولين طويلا عن ابتهاجى باستمرار الطقس بذلك الشكل، وإذا ما كنت أحب أن أذهب مع امياس وأنجلا للصيد. لقد كانت مذهشة ما فى ذلك شك. لكن هذا كما أعتقد يوضح نوع المرأة التى كانتها، امرأة لها إرادة قوية وسيطرة حديدية على مشاعرها. لا أعرف إذا كان عزمها استقرار على قتله عندئذ أم لا

- لكن لن أدهش إذا كانت قد فعلت. ولقد كانت قادرة على وضع خططها بعناية وبطريقة باردة بعقل وبذهن منظم قاس.

لقد كانت كارولين كريل امرأة خطيرة حقاً. وكان من واجبي عندئذ أن أدرك أنها لن تسكت على هذا الوضع مطلقاً. ولكني كالأحمق ظننت أنها قد قررت أن تقبل المحتوم أو أنه ربما لو تصرفتم هي بطريقة طبيعية فإن امياس قد يعود إليها. وسرعان ما خرج الجميع من المنزل - اليزا تبدو متحدية كالعادة ولكن باحساس بالانتصار في نفس الوقت. لم تلق كارولين إليها التفاتاً. وكانت انجلا هي من أنقذت الموقف حقاً. فقد خرجت مع مس وليامز قائلة أنها لن تغير جونلتها من أجل أي شخص وأنها كانت حسنة المظهر بما يكفي للذهاب إلى مستر ميرديث المعجوز الطيب الذي لا يلحظ أي شيء.

بدأنا السير أخيراً. سارت كارولين مع انجلا أما أنا فسررت مع امياس وسارت اليزا بمفردها تبتسم. إنني لم أكن أعجب بها شخصياً - فهي من النوع العنيف الذي لا يروقهني - لكن - يجب على أن أعترف أنها بدت غاية في الجمال بعد ظهر ذلك اليوم. إن النساء يظهرن جميلات بعد أن يفزن بما يردن.

إنني لا أستطيع تذكر أحداث بعد ظهر ذلك اليوم بوضوح، إن كل شيء يبدو أمامي متداخلاً. أتذكر ميرديث خارجاً للقائنا، وأنتا سرنا في الحديقة الأمامية أولاً، وأنني تبادلنا نقاشاً مع انجلا عن تدريب كلاب الصيد، وأنها أكلت كمية كبيرة من التفاح، وحاولت أن تقنعني أن أفعل مثلها. وعندما وصلنا إلى المنزل كان الشاي قد أعد تحت شجرة السنديان الضخمة. كان ميرديث يبدو مكتئباً قليلاً، ولابد أن امياس أو كارولين قالا

له شيئاً ضايقه. كان ينظر إلى كارولين في شك، ثم أخذ يعقد في اليزا جرير وقد بدا عليه القلق العميق. إن كارولين طبعاً كان يعجبها أن يظل ميرديث متوتراً على الدوام، فهو الصديق الأخطبوطي الذي لن يذهب إلى أبعد من حدوده مطلقاً. لقد كان هذا النوع من النساء.

بعد تناول الشاي تناول ميرديث حديثاً سريعاً معي قال:

- اسمع فيليب، إن امياس لا يمكن أن يفعل هذا الشيء.

- لا تنتظر غير هذا، سوف يفعله.

- إنه لا يستطيع أن يترك زوجته وطفله ويذهب مع تلك الفتاة. إنه أكبر منها بسنوات عديدة. فهي في الثامنة عشرة من عمرها لا أكثر.

وقلت له أن مس اليزا جرير في العشرين من عمرها ولها الكثير من التجارب وقال:

- على أية حال إنها أقل من السن القانونية ولا تعرف ماذا تفعل.

- لا تقلق أيها الصبي العجوز فهي تعرف ماذا تفعل وهي تحب ذلك.

لا تتح لنا الفرصة لنقول أكثر من ذلك. وفكرت في نفسي أنه ربما كان ما يضايق ميرديث هو أن تترك كارولين امرأة مهجورة، وتخيلت أنه ما أن يتم طلاقها من كريل حتى يفكر العجوز المخلص في الزواج منها.

وكانت فكرتي أن الإخلاص بلا أمل هو حقا الخط الذي يتفق مع شخصيته. ولابد لي من الاعتراف أن هذا الجانب فيه كان يثير سخريتي.

ومن الغريب أنني لا أتذكر سوى قليلاً جداً من زيارتنا لمعمل ميرديث. كان يتمتع بأن يطلع الناس على هوايته. أما أنا فكنت أجدها مملة تماماً. أعتقد أنني كنت معهم وهو يلقي علينا جميعاً فقرة عن

فاعلية الكونين، لكننى لا أتذكر ما قاله ولم أشهد كارولين وهى تسرق المادة السامة. إنها كما قلت امرأة جريئة.

أتذكر ميرديث وهو يقرأ فقرة من أفلاطون يصف فيها موت سقراط، ظننتها مملة تماما.

ليس هناك ما أستطيع أن أتذكره عن هذا اليوم أكثر من ذلك. تشاجرت انجلا مع امياس مشاجرة كبيرة رحبنا بها جميعا، فقد ساعدت على تجنب مشاكل وصعاب أخرى، وانطلقت انجلا إلى حجرة نومها وهى تزمجر غاضبة وقائلة: إنها سوف ترد على ذلك وتتمنى لو أنه مات وتأمل فى أن يموت بالجذام فهذا هو ما يستحقه. وترغب فى أن تلتصق قطعة من السجق بأنفه كما فى القصص الخرافية، وعندما ذهبت انطلقنا جميعا نضحك.

ذهبت كارولين إلى فراشها بعد ذلك مباشرة، واختفت مس وليامز بعد تلميذتها، أما امياس واليزا فقد اتجها إلى الحديقة، وبدأ من الواضح أنهما لا يرغبان فى وجودى معهما، فانطلقت أتجول بمفردى فى تلك الليلة الجميلة.

هبطت إلى الطابق السفلى فى وقت متأخر من صباح اليوم التالى. لم يكن هناك أحد فى حجرة الطعام. يا للأشياء الغريبة التى قد يتذكرها الإنسان. إننى لا أزال أتذكر طعم شريحة اللحم التى أكلتها ذلك الصباح. كانت ممتازة تماما، بعد ذلك خرجت أتجول بحثا عن الآخرين. لم أر أحدا أول الأمر فدخنت سيجارة حتى لمحت مس وليامز تجرى هنا وهناك باحثة عن انجلا التى اعتادت أن تختفى عن الأنظار عندما يطلب منها عمل شئ. عدت إلى المنزل حيث أدركت أن امياس

وكارولين كانا يصفيان ما بينهما من عراق. كانا يتشاجران بصوت مرتفع في حجرة المكتبة. سمعتها تقول له: أنت ونساؤك! أقتلك، سأقتلك يوما ما.

- لا تكوني حمقاء يا كارولين!

- إنني أعني ما أقوله يا امياس.

لم أرغب في سماع أكثر من ذلك. فخرجت مرة أخرى لأتجول في الشرفة والتقي باليزا جرير، كانت تجلس على إحدى تلك المقاعد الطويلة الموضوعة تحت نافذة حجرة المكتبة مباشرة، النافذة التي كانت مفتوحة على مصراعها في تلك اللحظات، فلا عجب إذ كانت اليزا قد سمعت كل كلمة دارت في تلك الحجرة.

وعندما رأتني تقدمت نحوي وقالت: إنه صباح جميل، أليس كذلك؟ كان صباحا جميلا بالنسبة لها بالطبع، تلك الفترة القاسية. كلا، أعتقد أنها كانت صادقة، لكن كان ينقصها الخيال، ذلك أن ما تريده لنفسها كان هو كل ما يمكنها أن تراه. بقينا نتحدث في الشرفة دقائق معدودة، ثم سمعنا صوت باب حجرة المكتبة يصططق، ورأينا امياس خارجا منها وقد احمر لون وجهه تماما. أمسك بكتفي اليزا وقال لها:

- هيا بنا - حان وقت الرسم، لا بد أن أنتهي من تلك اللوحة.

- حسنا، سأدخل لأحضر بلوفر فأنني أحس ببعض البرودة.

تركنا ودخلت المنزل، وتساءلت إذا كان امياس سيقول لي شيئا ولكنه لم يفعل، ثم تقدمت اليزا نحونا فصحبها واتجه إلى حديقة المدفعية. دخلت المنزل لأرى - كارولين واقفة في البهو، ولا أظن أنه

لحظت دخولى - بدت شاردة الذهن تماما، وغمغت بشيء لنفسها، ولم أستطع سوى سماع كلمة (إن هذا لشيء قاس). - ثم سارت إلى ناحيتى لتتجه إلى السلم ورغم ذلك لم ترنى. وأنا أقول هنا - إنتى أظن زوليس لى سلطة قول هذا كما تفهم) إنها صعدت للطابق العلوى لتحضر السم، وإنه فى تلك اللحظات قررت كارولين أن ترتكب جريمتها.

فى تلك اللحظة نفسها دق جرس التليفون فالتقطت أنا السماعه. كان شقيقى ميرديث على الطرف الآخر وكانت نبرة صوته توحى بالضيق الشديد. قال لى أنه ذهب إلى معمله واكتشف سرقة نصف ما كان بزجاجة الكونين.

لن أخوض مرة أخرى فيما كان يجب على أن أفعله، لكن ما حدث هو أن الدهشة الجمتمى، بينما كان ميرديث يغمغم بكلمات غير مفهومة على الطرف الآخر. سمعت شخصا يخطو فوق درجات السلم فقامت لميرديث أن يحضر إلى على الفور.

ذهبت لألقاه فى منتصف الطريق. وإذا لم تكن تعرف المنطقة جبا فإنى أقول لك أن أقصر طريق من ضيعة ميرديث إلى أولبرى هو أحد القارب لمبور الخليج الصغير الذى يفصل بينهما من ناحية البحر. ولكى أصل إلى الشاطئ كان على أن أمر بحديقة المدفعية. وهناك استطعت أن اسمع امياس واليزا يتبادلان حديثا مرحا منطلقا. قال امياس إنه كان يوما حارا جدا، فى حين قالت اليزا ان هناك ريحا باردة تهب عليها من ناحية البحر وأردفت: (لقد تصلبت عضلاتى يا عزيزى. ألا أستطيع أن أستريح قليلا؟) لكن امياس صاح فيها (كلا بحق السماء، ابقى كما أنت) فغمغت اليزا (أيها المتوحش) ثم ضحكت

بينما ابتعدت أنا عن مرمى السمع.

كان ميرديث يقترب من الشاطئ فانتظرت. ثبت القارب وصعد درجات السلم الحجري إلى وقد شحب وجهه بفعل القلق والاضطراب قال: إن تفكيرك أسلم من تفكيرى يا فيليب، ماذا يجب أن أفعل؟ إن المادة خطيرة السمية.

- هل أنت واثق مما تقول؟

لقد كان ميرديث على الدوام شخصا غامضا مترددا. وربما لهذا السبب لم آخذ كلامه على محمل الجد كما كان يجب أن أفعل. قال أنه واثق تماما من أن - الزجاجة كانت مليئة بعد ظهر يوم أمس. فقلت:

- وليست لديك فكرة مطلقا بمن يكون قد سرقه؟ قال أنه ليس هناك من يمكن أن يشك فيه. فكرت في أنه ربما كان أحد الخدم لكن هذا غير محتمل. فإنه كان يحتفظ بالباب دائما مغلقا، ثم بدأ يتحدث عن أنه وجد النافذة مفتوحة بضع بوصات من أسفل. لا بد أن أحدا قد فعل ذلك.

سألته: ألا يمكن أن يكون لصا هاربا، يبدو لى الأمر يا ميرديث كان له احتمالات سيئة تماما. ولما سألنى رأى لو أنه كان واثقا تماما مما يقول فإنه من المحتمل أن تكون كارولين كريل قد أخذت المادة كي تضعها لاليزا - أو أن ليزا قد - أخذتها لتقتل كارولين كي يخلو لها الجو للإنفراد بحبها.

جفل ميرديث وقال إن هذا يبدو ميلودراميا أكثر من اللازم، ولا يمكن أن يكون واقعيًا. لقد كان تفكيره يتجه إلى ما فكرت فيه لكنه لم

يكن يريد مواجهة الحقائق. ردد سؤاله للمرة العاشرة عما يجب أن تفعله وقلت أنه علينا أن نفكر في الأمر مليا بعناية. وعلينا إما أن نعلن عن اكتشاف السرقة فورا في وجود الجميع، أو أن ننفرد بكارولين ونواجهها بشكوكنا، فإذا اقتنعنا أنه ليس لها شأن بالموضوع فعلنا نفس الشيء مع اليزا، وعندما قال أن اليزا لا يمكن أن تفعلها أجبت أنه لا أستبعد ذلك مطلقا.

كنا نسير في الطريق المؤدى إلى المنزل، وعندما كنا ندور حول حديقة المدفعية سمعنا صوت كارولين، طننت لحظة أن شجارا بين ثلاثتهم يدور لكنهما كان يناقشان أمر انجلا. كانت كارولين تقول في احتجاج (إنه شيء قاس على الفتاة)، فأجاب امياس إجابة من فرغ صبره. وفي اللحظة التالية فتح باب حديقة المدفعية ليفاجأ بما أمامه. خرجت كارولين خلفه لتقول (أهلا يا ميرديث - لقد كنا نناقش أمر انجلا ونهابها إلى المدرسة. إنني لست واثقة أن هذا أفضل شيء بالنسبة للفتاة) فأجابها امياس كريلا قائلا أنها ستكون على ما يرام، وأن أفضل شيء هو التخلص منها.

في تلك اللحظة أتت اليزا من ناحية المنزل ممسكة بلوفر، فزيجر امياس كريلا قائلا هيا، عودي إلى وضعك فإنني لا أريد إضاعة الوقت وعادا إلى وضعهما ولا حظت أن كريلا يتعثر قليلا، وتساءلت إذا كان قد أهرط في الشراب. إن رجلا في مثل موقفه له كل العذر لو فعل ذلك. سمعته يقول في استياء:

- إن البيرة التي هنا تكاد تغلى من السخونة. لماذا لا نحتفظ ببعض الثلج هنا؟

قالت كارولين؟ سوف أرسل لك بعض البيرة المثلجة.

غمغم امياس بكلمة شكر، في حين أغلقت كارولين باب حديقة المدفعية وراءها وتبعتنا إلى المنزل. جلسنا إلى الشرفة في حين دخلت هي إلى المنزل. وبعد دقائق قليلة خرجت إلينا انجلا بزجاجتين من البيرة وبعض الكئوس. رحبنا بالبيرة حيث كان اليوم حارا. كنا نشرب في اللحظة التي مرت بنا فيها كارولين حاملة زجاجة أخرى قالت أنها ستأخذها إلى امياس. عرض عليها ميرديث أن يأخذ الزجاجة إليه لكنها أصرت على أن تفعل ذلك بنفسها. وفكرت في نفسى أنها الغيرة تعتمل في داخلها، وأنها لا تحتمل فكرة أن ينفرد امياس واليزا وحدهما. لابد أن ذلك هو الذى دفع بها إلى هناك بحجة أن تناقش مسألة ذهاب انجلا إلى المدرسة.

ذهبت في الطريق المتعرج بينما كنت أنا وميرديث نرقبها. لم تكن قررنا شيئاً على الإطلاق في اللحظة التي أتت فيها انجلا صائحة بي أن أذهب معها للسباحة. ولما كان من الصعب التحدث إلى ميرديث بمفرده فقد قلت له (نستأنف حديثنا بعد الغداء) وأوماً هو موافقا.

ذهبت للسباحة مع انجلا عبر الخليج الصغير والعودة إلى الشاطئ. استلقينا على الصخور وانجلا تميل إلى السكوت وكان هذا يناسبني. ولقد عزمتم على أن انفرد بكارولين بعد الغداء وأواجهها بسرقتها للكونين. لم يكن هناك فائدة من ترك ميرديث يتحدث إليها - فإنه أضعف من أن يفعل هذا. وعليها عندئذ أن تعيده إلى، وإذا لم تفعل فهي على الأقل لن تحاول استخدامه. إن تفكيرى كان يدفعنى للاقتناع بأنها هي التي أخذته، فإن اليزا أعقل من اللعب بالسموم. إنها

تحت الحياة ولن تغامر بفعل ذلك. لكن كارولين كانت من معدن أكثر خطورة، عصبية، تتأبها نوبات من التوتر الشديد. ولكن في مؤخرة عقلى كان هناك احتمال أن يكون ميرديث قد وقع فى خطأ ما. أو أن - خادما قد أسقط الزجاجاة عن غير عمد ولا يجرؤ على الاعتراف.

كان الوقت قد بدا متأخرا بالنسبة لتناول الغداء وأنا وانجلا نهرع عائدين إلى المنزل. كانوا جميعا جالسين إلى المائدة فيما عدا امياس الذى بقى فى حديقة المدفعية يرسم، كان هذا شيئا معتادا عليه. ولقد قلت لنفسى إن هذا عمل حكيم فإن وجوده كان سيجعل من الغداء وجبة محرجة.

تناولنا القهوة فى الشرفة ولا أتذكر أن كارولين كانت منفعلة مطلقا. كانت هادئة وأميل إلى الحزن. يا لها من امرأة. ذلك أنها قتلت زوجها وهى فى منتهى الهدوء، لو أنها أمسكت مسدسا وأردته صريعا لكان فى الإمكان فهم ذلك. لكن أن تقتله بالسهم بطريقة متعمدة باردة هادئة.

نهضت قائلة أنها ستأخذ القهوة إلى امياس - قالت ذلك بطريقة طليعية تماما - ورغم ذلك كانت تعرف - أنها ستجده ميتا. ذهبت مس وليامز معها ولا أتذكر إذا كان هذا ما أقترحته كارولين أم لا.

ذهبت المرأتان سويا، وانطلق ميرديث يسير بمفرده بعد ذلك بقليل، وفى اللحظة التى كنت أفكر فيها فى عذر كى الحق به رأيت آتيا يجرى نحوى ووجهه شاحب كالموتى، تمكن من أن يقول:

- علينا أن نحضر طبيبا، إن امياس.... بسرعة.

- هل هو مريض - يموت؟

- أخشى أن يكون قد مات فعلا .

كنا قد نسينا اليزا جرير وقتها . لكنها ألقت صرخة مدوية وصاحت قائلة:
مات؟ مات! وانطلقت تدعو مثل طير جريح في حين قال ميرديث لاهنا:

- الحق بها! سأتصل بالتليفون - الحق بها... إنك لا تعرف ما قد
تفعله. ولقد انطلقت خلفها - وحسنا ما فعلت لأنه كان من السهل
عليها أن تقتل كارولين إن لم أر في حياتي مثل هذه الكراهية والحق.
لقد تعرف من كل ما عليه لها المجتمع المتحضر وعادت ابنة لعمال
طاحونة انتزع منها حبيبها. كانت على وشك أن تنعد أظافرها في وجه
كارولين وتشد شعرها. لقد ظننت للحظة أن كارولين قد أغمدت في
صدر امياس سكينها. لكن هذا كان خطأ بالطبع.

أبعدتها عن المكان، وقامت مس وليامز بواجبها، فقد حملت اليزا
على أن تتمالك نفسها بحزم.

أما عن كارولين فقد انتزع عنها النقاب. وقفت هناك هادئة تماما.
إن شخصا آخر ربما شعر بالدوار لكنها لم تفعل. عيناها فقط كشفت
عما تشعر به. كانتا مترقبتين. كان الخوف قد بدا بداخلها، اقتربت
منها وقلت في صوت خافت لا تسمعه المراتان:

- أيتها القاتلة اللعينة... لقد قتلت أعز أصدقائي. جفلت مرتعدة
في الخلف وقالت: كلا، كلا، لقد فعلها بنفسه.

- تستطيعين أن تقولى هذه الرواية لرجال الشرطة.

وقد فعلت ذلك - لكنهم لم يصدقوها.

انتهى تقرير فيليب بليك

رواية ميرديث بليك

عزيزى مستر بوارو

لقد كتبت تقريراً - كما وعدتك - بكل ما أتذكره ويتصل بالحوادث
المساوية التي حدثت منذ ستة عشر عاماً مضت. أود أولاً أن أقول لك
أننى فكرت جيداً فى كل ما قلته لى فى لقائنا الأخير. وبناء على تفكير
متأمل فأننا مقتنع أكثر من أى - وقت مضى بأن من غير المحتمل
اطلاقاً أن تكون كارولين كريل هي التي وضعت السم لزوجها. لقد بدا
لى هذا مستبعداً. كان افتقارى لأى تفسير آخر ومسلها هي - حملانى
على تبنى وجهة النظر العامة القائلة - إن لم تكن هي فعلتها فمن يكون؟
ومنذ لقائى بك أخذت أفكر فى التفسير البديل الذى طرح فى
ذلك الوقت والذي تبناه الدفاع أثناء المحاكمة. وهو أن امياس كريل قد
أنهى حياته بيده.

وبالرغم من أن معرفتى به تقول أن هذا التفسير خيالى فإننى الآن
أوشك على تغيير موقفى. إنه من الهام جداً قبل أى شيء آخر أن
كارولين نفسها صدقت هذه النظرية. ولو أننا الآن قلنا أن تلك المرأة
الرفيعة الفاضلة قد أدمنت ظلمنا فإن النظرية التي تمسكت بها لا بد
وأنها كانت صحيحة. إنها كانت تعرف امياس كريل أكثر من أى إنسان
آخر فإذا قالت هي أن الانتحار احتمال معقول فإنه لا بد أن يكون

كذلك رغم ما قاله أصدقاؤه.

سأقدم إذن نظرية أن امياس كريل كان له ضمير متيقظ، وأنه في نوبة من تأنيب الضمير - وهو المعرض دائما لنوبات انفعال طارئة - قد قتل نفسه. وربما لم يعرف أحد بهذا الجانب من شخصيته سوى زوجته نفسها. رغم أن هذا لا يتفق مع أي قول سمعته منه، لكن هذا لا يمنع من الحقيقة التي تقول أن في معظم الرجال ناحية قد تبرز فجأة لتدمش كل من حولهم.

فمثلا رجل له احترامه ومركزه قد يكتشف أن له علاقة شاذة خفية، أو أن مرابيا مستغلا قد يكون له موهبة تذوق الفن، أو من يعرفون بالقسوة قد تكتشف فيهم نزعة للرحمة والرافة. لابد أن امياس كريل كانت له مثل هذه النزعة، نزعة مرضية تنحو به إلى لوم نفسه، وربما كان هذا ما حدث يؤكد تمسك كارولين بنظرية انتحاره وهو شيء له أهميته.

والآن، دعنا نفحص الحقائق - أوعلى الأصح ذكرياتي عن الحقائق، في ضوء هذا الاعتقاد الجديد. أظن أنه من اللازم أن أستعيد حديثا دار بيني وبين كارولين قبل أسابيع من وقوع المأساة، وكان ذلك أثناء زيارة اليزا جرير الأولى إلى أولبرى. كانت كارولين كما تعرف تشعر بعاطفة صادقة نحوي ومن ثم فلا تتورع على أن تقش لي أسرارها. لم تكن تبدو عندئذ سعيدة، لكنني دهشت عندما سألتني إذا كان امياس كريل حقا يهتم بتلك الفتاة التي أحضرها معه. أجبته قائلا: إنه مهتم برسمها، وأنت تعرفين امياس على حقيقته.

هزت رأسها قائلة: كلا إنه يحبها.

- حسنا... ربما قليلا.

- بل كثيرا كما أعتقد.

- أعتزف أنها جذابة إلى أقصى الحدود، وكلانا يعرف أن امياس سريع التأثر بالجمال، لكنك بعد كل هذه السن لابد أن تعرفي أن امياس لا يهتم إلا بشخص واحد وهو أنت. لقد مرت به مثل هذه التجارب ولكنها لا تدوم. إنك الشخص الوحيد في حياته، ورغم أنه يتصرف برعونة، إلا أن هذا لا يؤثر على مشاعره نحوك.

- إن هذا هو ما اعتدت دائما على التفكير فيه.

- صدقيني يا كارولين. إن هذه هي الحقيقة.

- لكنني خائفة هذه المرة يا ميرديث. إن هذه الفتاة مخلصه جدا. إنها صغيرة السن، غزيرة العاطفة وأخشى أن يكون الأمر هذه المرة جادا. ولكن حقيقة أنها صغيرة كما تقولين، سوف تحميها. إن النساء لسن إلا ألعوبة في يد امياس، لكن الأمر مع فتاة مثل هذه سيكون مختلفا.

- نعم هذا هو ما أخشاه أن يكون الأمر معها مختلفا. إنني الآن في الرابعة والثلاثين وقد مر على زواجنا عشرة أعوام، ومن ناحية الجمال فإنني سأخسر السباق أمام هذه الطفلة اليزا. إنني أعرف ذلك.

- لكنك تعرفين يا كارولين أن امياس كريل يكرس حياته لك.

- هل يستطيع المرء أن يطمئن إلى ذلك مع الرجال؟ إنني امرأة بسيطة جدا يا ميرديث. إنني لا أود أن أمسك بلطة في مواجهة هذه الفتاة.

قال لها أن الفتاة ربما لم تكن تفهم ما تفعله، وأنها تعبد البطل في

امياس، وربما لم تكن تدرك أن امياس سيقع في حبها .

انتهى الحديث عند هذا الحد وأنا أمل ألا يقلقها الأمر أكثر من ذلك . بعد ذلك بفترة قصيرة - عادت اليزا إلى لندن، وغاب امياس أيضا بضعة أسابيع، ونسيت أنا المسألة برمتها، ثم سمعت أن اليزا قد عادت إلى أولبرى مرة أخرى حتى يتم امياس اللوحة. أقلقتنى هذه الأنباء قليلا، لكن كارولين عندما التقيت بها لم تكن قلقة أو متوترة، فتخيلت أن كل شيء أصبح على ما يرام. وهذا يفسر شعورى بالصدفة عندما علمت بالمدى الذى وصلت إليه هذه الأمور.

لقد أخبرتك بالحديث الذى دار بينى وبين كريل، ثم بينى وبين اليزا، لكنى لم أتمكن من التحدث إلى كارولين. إننى أستطيع أن أتخيل وجهها الآن بعينيها الواسعتين الداكنتين والمواطف المكبوتة وصوتها يرن فى أذنى قائلة (لقد انتهى كل شيء).

إننى لن أستطيع أن أصف لك الوحشية واليأس الذى تضمنتهما هذه الكلمات، فإنها بهجر امياس لها يكون كل شيء بالنسبة لها قد انتهى. هذا هو كما أعتقد هو السبب فى أخذها الكونين. كان ذلك مخرجاً، وهو مخرج وضعه فى ذهنها شرحى بغباء لفاعلية ذلك العقار، وتلك الفقرة التى قرأتها عن الإغريق عن سهولة الموت بهذا السم.

فيما يلى ما أعتقد حالياً: أنها أخذت الكونين معتزمة أن تنهى حياتها بنفسها عندما يهجرها امياس. وربما يكون هو قد رآها تأخذه، أو ربما اكتشف أنها قد أخذته مؤخراً، ولابد أن لذلك الاكتشاف وقعا قويا عليه. وقد أفزعته ما أدلت إليه أفعاله بالنسبة لزوجته. ولكنه رغم الرعب والفرع وتأنيب الضمير، شعر أنه لا يستطيع التخلّى عن اليزا.

إننى طبعاً أستطيع فهم ذلك، فإن أى شخص يقع فى غرامها سيجد أن من الصعوبة بمكان أن ينتزع نفسه منها. إذن فامياس لم يتخيل أن يعيش بدون اليزا - وأدرك أن كارولين لا يمكنها الحياة بدونه، فقرر عندئذ أنه ليس هناك سوى مخرج واحد أن يستخدم الكونين وينتحر.

وربما كان الأسلوب الذى استخدمه به يتفق مع شخصية الرجل فإن الرسم كان عنده أقدس شيء فى الحياة، ومن ثم فقد اختار أن يموت والفرشاة بيده، وكان آخر شيء وقعت عليه عيناه هو وجه الفتاة التى أحبها فى ياس، ربما كان قد فكر أيضاً أن موته كان أفضل شيء بالنسبة لها. اعترف بأن هذه النظرية تطرق وقائع غريبة بدون تفسير. فلماذا إذن وجدوا بصمات أصابع كارولين فقط على زجاجة الكونين الفارغة؟ اقترح أن امياس قد تناولها وأن البصمات قد محيت بسبب المواد المختلفة التى كانت متراكمة على الزجاجاة وأن كارولين - بعد موته أمسكتها لتعرف إذا كان أحداً قد لمسها، وأن ذلك بالتأكيد قد يكون شيئاً محتملاً! أما عن دليل وجود بصمات أصابعها على زجاجة البيرة فإن شهود الدفاع قالوا أن يد الرجل قد تتصلب فى وضع مشوه فى حالة شربه السم، ومن ثم استطاع أن يمسك زجاجة البيرة فى وضع غير طبيعى على الإطلاق.

هناك شيء آخر يبقى بدون تفسير، وهو مسلك كارولين طوال المحاكمة. لكننى الآن أكاد أتخيل السبب فى ذلك. لقد كانت هى فعلاً التى أخذت السم من المعمل، وكان إصرارها على إنهاء حياتها بنفسها هو الدافع إلى انتحار زوجها بدلاً منها. ومن المعقول أن يكون إحساسها الزائد بالمسئولية دفعها للإحساس بأنها مسئولة عن موته - وأقنعها

بأنها مذنبية فى ارتكابها جريمة رغم أنها ليست الجريمة التى تحاكم عليها فعلا .

أظن أن هذا يمكن أن يكون معقولا ومن ثم - وكأن هذا هو ما حدث تستطيع يا مستر بوارو أن تقنع كارلا بذلك حتى يمكنها أن تتزوج حبيبها مستريحة إلى أن كل ما أنته أمها هو دافع - لا أكثر - لأن تتخلص من حياتها بنفسها .

إن هذا ليس هو كل ما سألتنى عنه - وأحداث تلك الفترة كما أتذكرها هى كما يلى :

لقد نمت ليلة الحادث نوما سيئا يقلقنى تطور الأحداث الخطيرة لدى أصدقائى، وبعد أرق طويل حاولت فيه دون جدوى التفكير فى شيء يمكن أن يساعد فى تجنب المأساة نمت نوما عميقا حوالى الساعة السادسة صباحا . ولم يوقظنى إحضار الخادم الإشأى حتى استيقظت فى الساعة التاسعة والنصف . بعد ذلك بقليل ظننت أنى سمعت حركة فى الحجرة التى تعلوها حجرتى وهى حجرة المعمل . ولابد لى من القول هنا أن تلك الأصوات كانت كأصوات قطة تحاول الدخول . ولقد وجدت شراعة النافذة مفتوحة قليلا وكأنها قد أهمل إغلاقها فى اليوم السابق . كانت مفتوحة بالقدر الذى يسمح لقطة بالدخول . إننى أذكر سماعى تلك الأصوات حتى أفسر دخولى إلى المعمل .

فعلت ذلك بعد أن ارتديت ملابسى مباشرة، مررت بنظرى على الرفوف لألاحظ أن الزجاجاة المحتوية على الكونين ليست فى مكانها العادى مع بقية الزجاجات . كان هذا ما لفت انتباهى إليها، وأدهشنى بعد ذلك أن أجدها نصف خاوية بعد أن كانت الزجاجاة مليئة تماما فى

اليوم السابق أما الآن فقد كادت تكون فارغة.

أغلقت النافذة ثم الباب ورائي وأنا أشعر بالضيق والدهشة معا، وهذا - كما أعترف يجعل تفكيرى أقل سرعة وهذا ما زادنى انزعاجا. سألت كل من فى البيت فأنكر الجميع أن أيا منهم قد دخل المعمل على الإطلاق فكرت فى الأمر برهة ثم قررت أن اتصل بأخى تليفونيا أطلب نصيحته.

لقد كان فيليب على الدوام أسرع منى فى كل شئ، ومن ثم فقد حثنى على الذهاب إليه ومناقشة الأمر معه. ذهبت إلى هناك وقابلت مس وليامز وهى تبحث عن تلميذتها، فأكدت لها أننى لم أر أنجلا وأنها لم تأتى إلى منزلى. ولابد أن مس وليامز لاحظت فى تغيرا - لقد رمقتنى باندھاش، لكن لم يكن فى نيتى أن أخبرها بما حدث وانطلقت إلى الشاطئ لأجدها متجها إلى ضيعة أولبرى حيث كان أخى واقفا على الجانب الآخر فى انتظارى.

سرنا نحو المنزل معا فى الطريق الذى سرت فيه معك. وفى مرورنا بحديقة المدفعية سمعنا ما كان يدور داخلها. وفيما عدا أن كارولين وامياس كانا يتناقشان فيما يشبه الشجار فإننى لم ألق انتباها إلى ما كان يقال. إننى بالتأكيد لم أسمع تهديدا من أى نوع تتطرق به كارولين. كان موضوع المناقشة هو أنجلا فقد كانت كارولين تتوسل ألا تذهب إلى المدرسة، إلا أن امياس كان مصرا على موقفه وصاح قائلا. إن الأمر قد انتهى وأنه سيهتم بأن تحزم حقائبها.

فتح باب حديقة المدفعية ونحن أمامه تماما لتخرج منها كارولين وقد بدا عليها الاضطراب. ابتسمت لى بذهن غائب وقالت أنهما كانا يتناقشان فى موضوع أنجلا، اقتربت البزأ هابطة الطريق فى تلك اللحظة، وكان من

الواضح أن امياس يريد أن يتخلص منها ليستأنف الرسم.
إن شقيقى فيليب لام نفسه عدة مرات بعد ذلك لأننا لم نتخذ
اجراء سريعا لكننى لا أرى الأمر من هذه الزاوية.

فإنه لم يكن لنا أى حق فى اقتراض أن أحدهم يفكر فى ارتكاب
الجريمة - بالإضافة إلى أننى الآن أعتقد أنها لم تكن شيئاً مديراً . كان
من الواضح أن علينا أن نتخذ اجراء، لكننى رأيت أن نتحدث سوياً أولاً
حتى نكتشف أصح طريق نسير فيه، ولقد راودتنى هواجس عديدة
منها: هل كانت الزجاجة حقيقة مليئة فى اليوم السابق، إننى لست من
هؤلاء الأشخاص الذين يستطيعون أن يكونوا واثقين من شئ تماماً
فإن الذاكرة قد تخونك أحياناً، وكلما حاولت استعادة حالة الزجاجة
بعد ظهر اليوم السابق كلما ازدادت شكاً فى نفسى. لقد كان هذا ما
ضايق فيليب الذى فقد صبره معى.

لم نستطع أن نستمر فى نقاشنا ذلك الوقت، واتفقنا على تأجيل
الحديث حتى بعد الغداء. وفيما بعد أحضرت لنا انجلا وكارولين
البيرة، وسألت انجلا لماذا اختفت عن مربيتها فقالت أنها لم تكن تريد
أن تحيك قميصها القديمة فى حين أنها ستشتري أشياء جديدة
بمناسبة ذهابها إلى المدرسة ولما لم أستطع الحديث مع فيليب فقد
تجولت فى الطريق المؤدى إلى حديقة المدفعية، وجلست فى تلك
المساحة المفتوحة التى تطل على الحديقة تماماً لأدخن وأرهب اليزا
وقد أخذت وضع الموديل أمام امياس.

سأظل أذكرها كما كانت فى ذلك اليوم بقميصها الأزرق، والبلوفر
الأحمر معلق فوق كتفها، والبحر وراءها، وهما يتكلمان عن مشاريعهما

بالنسبة للمستقبل.

يبدو ذلك وكأنى كنت استرق السمع، لكن الأمر لم يكن كذلك، فإن اليزا كانت ترانى جيدا، وكانت هى وامياس يعرفان أننى هناك، بل إنها لوحت لى بيدها وصاحت: إن امياس كان قاسيا تماما هذا الصباح لأنه لم يعطها فرصة لتستريح بعد أن تصلبت عضلاتها.

زمجر امياس أن عضلاتها لم تتصلب مثل عضلاته المصابة بالروماتيزم، وقالت اليزا إنه رجل عجوز مسكين، وأنها كانت ستزوج رجلا مريضا منتهيا.

لقد صدمنى حديثهما المتطلع إلى المستقبل بينما هما يتسبان فى تلك المعاناة الشديدة لكارولين، لكننى رغم ذلك لم أحقد عليها، فقد كانت صغيرة، وقد وقعت فى الحب، ولا تكاد تعرف ماذا تفعل. لقد افترضت بسذاجة أن كارولين ستتقلب على مشاعرها وستكون (على ما يرام) إن اليزا لم تكن ترى سوى نفسها وامياس سعيدين. لم تكن تساورها الشكوك، ولكن هل يمكن أن تساور الشكوك شبابا متطلعا؟

لم يتكلما كثيرا فأى رسام لا يحب الثثرة وهو يعمل، لأنه بعد ما يقرب من عشرة دقائق سمعت اليزا تقول:

- أظن أنك على حق بالنسبة لاسبانيا: إنها أول مكان يجب أن نزره ولا بد أن تأخذنى لمشاهدة مصارعة الثيران، فهى لا شك شئ رائع، إلا إننى أريد أن يقتل الثور المصارع وليس العكس، فإن الرجال ليسوا شيئا، لكن الحيوانات رائعة.

بدت لى اليزا نفسها كحيوان بدائى وليست بشرا له تجاربه

الحزينة. إنها لم تكن تفكر، بل تشعر فقط، لكنها كانت قبل كل شيء مليئة بحيوية لم أر مثلها قط من قبل. لكن تلك كانت آخر مرة أراها فيها بهذا الانطلاق والثقة على قمة العالم، ذلك أن الجرس رن معلنا الغداء، فانضمت إلى اليزا عند باب حديقة المدفعية، ومن مكاني شاهدت اميلاس مستلقيا على المقعد الطويل، ويداه ممدودتان إلى جانبيه. كان يحرق في اللوحة، ولطالما رأيته في هذه الحالة.

كيف كان لي عندئذ أن اعرف أن السم كان يسرى في جسده ويصلب عضلاته؟

لقد كان يكره المرض ولا يعترف به إطلاقا. وأظن أنه اعتقد أنها ضربة شمس تلك التي ألت به، فإن أعراضها مشابهة، لكنه على أية حال لم يشكو من ذلك. قالت اليزا (إنه لن يأتي للغداء). أما أنا فقلت لنفسى أن ذلك عمل حكيم منه. ثم قلت له بصوت مرتفع (إلى اللقاء إذن).

حول عينيه من اللوحة إلى وفيها نظرة توحى بالشر. لم أفهم ذلك عندئذ وتخيلت أنه ربما كانت اللوحة على غير ما يريد، وقد كانت هذه عادته في هذه الحالة - أن يبدو متوحشا. ولما لم نجد شيئا غير عادى فيه انطلقت أنا واليزا للغداء ونحن نتحدث ونضحك.

كانت كارولين طبيعية تماما أثناء الطعام، ربما مشغولة بأفكارها قليلا ليس أكثر، لم يكن هناك ما يدل على ارتباطها بما كان يحدث. وإذا لكانت ممثلة ممتازة، بعد ذلك ذهبت هي والمربية ووجدته ميتا. التقيت بمس وليامز عائدة في هلع وطلبت منى أن أتصل تليفونيا بالطبيب وعادت هي إلى كارولين. أما اليزا الفتاة المسكينة هذه فقد أصابها حزن مميت كأنها كالأطفال لا يصدقون أن الحياة يمكنها أن

تدفع بهم الى الموت.

أما كارولين فقد كانت هادئة تماما، وكانت قادرة بالطبع على ضبط عواطفها لم تبد وكأن ضميرها يؤنبها بل قالت فقط أنه انتحر. لكننا لم نستطع أن نصدق ذلك إلى أن انفجرت اليزا متهمه إياها في مواجهتها.

وربما أدركت هي بالطبع أنها قد تتهم، وهذا يفسر سلوكها فيما بعد.

كان فيليب مقتنعا تماما أنها ارتكبت الجريمة. أما الممرضة فقد ساعدت اليزا على أن تتمالك نفسها، وحملت انجلا على الابتعاد عندما حضر رجال الشرطة. لقد كانت امرأة مدهشة.

إن الأمر كله كابوسا بغيضا والشرطة ينقبون في المنزل ويوجهون الأسئلة، ثم رجال الصحافة بكاميراتهم يستجوبون أفراد الأسرة.... لقد كان الأمر كله كابوسا مخيفا.

إنه مازال كابوسا مخيفا بعد كل تلك الأعوام. ولكن شكرا لله لو أنك استطعت أن تقنع كارلا بما حدث حقيقة، فإننا نستطيع جميعا أن ننسى الأمر برمته ولا نتذكره بعد ذلك مطلقا.

إن امياس كريل لا بد قد انتحر - مهما بدا الأمر بعيد الاحتمال.

انتهت رواية ميرديث بليك



رواية ليدى ديتشام

لقد أوردت هنا القصة الكاملة
للقائي بامياس كريل حتى وقت
وقوع مأساة موته. لقد رأيته أول
مرة في حفل أقامه أحد الرسامين.
أتذكر أنه كان يقف إلى جوار
النافذة، وعندما سألت أحدهم
عمن يكون قال (إنه امياس كريل
الرسام) فقلت على الفور أنني أحب
التعرف إليه.

تحدثنا في تلك المناسبة حوالي عشر دقائق، وليس لأحد أن يتكلم
عن الانطباع الذي تركه امياس كريل فهو لا يوصف. لأحسن ما أصف
به هذا التأثير إنما القول بأنني عندما كنت أرى امياس كريل كان وجود
الآخرين جميعا يتلاشى تماما.

بعد هذا اللقاء المباشر ذهبت لرؤية جميع لوحاته وبعضها في
المتاحف، وعندما التقيت به في المرة التالية قلت له (لقد ذهبت لرؤية
جميع لوحاتك، وأعتقد انها رائعة) فقال:

- ومن قال أنك تصلحين للحكم على اللوحات؟ لا أعتقد أنك
تقهرين أى شىء فيها .

- ربما لا ولكن ذلك لا يمنع من أن تكون رائعة.

- لا تكونى فتاة صغيرة مندفعة فى مشاعرك.

- إننى لست كذلك وإننى أريدك أن ترسمنى.

- لو أن لك عقلا على الإطلاق لأدركت أننى لا أرسم نساء جميلات.

- لا يهم أن تكون لوحة، ثم أننى لست امرأة جميلة.

- نظر إلى عندئذ وكأنه يرانى لأول مرة ثم قال: كلا، ربما لست كذلك.

- هل سترسمنى؟

- إنك لست سوى طفلة غريبة، ألسن كذلك؟

- إننى ثرية جدا، وأستطيع أن أدفع مقابلها.

- ولماذا تهتمين بأن أرسملك؟

- لأننى أريدها. وأنا دائما أحصل على ما أريد.

جذبنى من كتنى وأدارنى نحو الضوء ثم ابتعد عنى قليلا و أنا
أنتظر فى سكون ثم قال: لقد أردت أحيانا رسم بيضاء ضخمة متعدد
الألوان هابطا فوق كاتدرائية سانت بول. ولو أننى رسمتك بخلفية منظر
طبيعى لحصلت على نفس النتيجة كما أعتقد. سأرسمك. ولكنى
أحذرك يا اليزا جرير من أننى لو قمت برسمك فربما طارحتك الغرام.
- أود أن تفعل.

قلت ذلك بهدوء وبطريق مباشرة. سمعته يلتقط أنفاسه دهشة، ورأيت نظرة خاصة في عينيه..... لقد تم كل شيء فجأة كما ترى.

بعد ذلك بيوم أو اثنين التقينا مرة أخرى. قال لى أن أذهب إلى ضيعته حيث المنظر الطبيعي - قال:

- إننى متزوج كما تعرفين، وأنا مغرم جدا بزوجتى.

- بما أنك مغرم بها فلا بد أن تكون سيدة لطيفة.

- إنها فعلا كذلك... إنها محبوبة جدا وأنا متيم بها. ومن ثم عليك أن تضعى هذا فى اعتبارك يا اليزا، قلت له أننى فهمت ما يرمى إليه. وبدأ الرسم بعد ذلك بأسبوع، بعد أن كانت كارولين قد استقبلتني بالترحاب، لم تشعر نحوى بالحب، ولكن ما الذى يدفعها إلى ذلك؟ ولقد كان امياس حريصا فلم يقل لى كلمة واحدة لا يمكن أن تسمعها زوجتها، كنت أنا بالتالى مؤدبة ورسمية فى حديثى إليه. وتحت هذا الغطاء كان كل منا يعرف ما هنالك. بعد ذلك بعشرة أيام قال لى أن أعود إلى لندن. فقلت: لكن اللوحة لم تنته.

- إنها لم تكتمل بعد، الحقيقة هى أننى لا أستطيع أن أرسمك يا اليزا.

- لماذا...؟ أنت تعرفين السبب، ولهذا أيضا عليك أن ترحلى. إننى لا أستطيع أن أفكر فى الرسم أو أى شيء آخر سواك.

كنا عندئذ فى حديقة المدفعية فى يوم مشمس، وكان يمكن أن أشعر بالهدوء والسكينة، لكنى لم أكن كذلك. بل شعرت بالتوتر والمأساة، وكأن ما حدث بعد ذلك كان مرسوما فى المكان من قبل.

كنت أعرف أنه لا فائدة من عودتى إلى لندن لكنى قلت:

- حسنا جدا، سأعود طالما تريد أنت ذلك.

- يا لك من فتاة مطيعة.

وعدت إلى لندن ولم أكتب له. ابتعد عني عشرة أيام كاملة ثم أتى، كان يائسا تماما لدرجة صدمتني قال:

- لقد حذرتك يا اليزا. لا تقولى أنني لم أحذرك.

- لقد كنت أنتظرك وكنت أعرف أنك ستحضر.

- إن هناك أشياء أكبر من قوة أى رجل. إننى لا أستطيع أن أشرب أو أكل أو أنام بسبب حاجتى إليك. قلت له اننى أعرف ذلك، وأننى كنت أقياسى من ذلك الذى يقاسى منه، وإن ذلك حدث منذ اللحظة الأولى التى رأيته فيها. لقد كان القدر ولا فائدة من محاربة القدر. قال: إنك لم تحارى كثيرا. يا اليزا. أليس كذلك؟

قلت أنني لم أحارب على الإطلاق. قال أنه يمتنى لو لم أكن صغيرة السن إلى هذا الحد، فأجبت أنه هذا لا يهم. ويمكننى القول أنني وهو كنا فى غاية السعادة فى الأسابيع القليلة التالية... لكن كلمة سعادة لا تكفى، لقد كانت شيئا أكثر عمقا من ذلك. كنا وكأن كل منا قد ولد للآخر، وأن أحدهما قد عثر على الآخر فى نهاية الأمر، وأننا سنستمر سويا على الدوام.

لكن شيئا آخر حدث فى نفس الوقت، بدأت تلك اللوحة الناقصة تؤرق امياس إلى أن قال:

- يا له من أمر مضحك. إننى لم أستمتع رسمك من قبل، وكنت أنت السبب - لكنى أريد أن أرسمك يا اليزا. ستكون تلك اللوحة أروع

شئ رسمته حتى الان. إننى أتحرق شوقا الآن لأن أمسك بالفرشاة لأرسمك وأنت جالسة على جدار حديقة المدفعية والبحر الأزرق وراءك... إننى لا أريد مشاكل أثناء رسم اللوحة، ومن ثم فسوف أنتظر حتى تنتهى، ثم أخبر كارولين بالأمر ونهى المسألة برمتها.

- هل ستثير كارولين العقبات أمام إعطائك الطلاق؟

- لا أعتقد ذلك. لكنك لا يمكنك أن تتأكدى من شئ يتصل بامرأة.

قلت ساكون حزينة لو أنها تضايقت، ولكن هذه الأمور تحدث فقال: إنك عاقلة جدا يا اليزا، لكن كارولين ليست عاقلة مثلك، ولن تكون مشاعرها معقولة، فهي تحبى كما تعلمين.

قلت أنتى أفهم ذلك لكن طالما كانت تحبه فسوف تضع سعادته فى المكان الأول، وأنها لن تحتفظ به فى حين يريد هو حريته. قال:

- إن مشاكل الحياة لا يمكن حلها بالحكم المكتوبة فى كتب الأدب. تذكرى أن الطبيعة لها أسنان قوية.

- إننا بشر متحضرون هذه الأيام.

ضحك اميلاس وقال: فليذهب الناس المتحضرون إلى الجحيم - إن كارولين ستكون عندئذ مستعدة لضربك ببلمة. وقد تفعل ذلك. ألا تدركين يا اليزا أنها ستقاسى؟ ألا تعرفين معنى المعاناة؟

- إذن لا تخبرها.

- كلا فإن الانفصال سوف يأتى لا ريب فيه. لا بد لك أن تنتمى إلى ياليزا أمام جميع العالم.

- افترض أنها لن تعطيك مطلقاً؟ إننى لست خائفاً من ذلك.

- فما الذى تخاف منه إذن؟

كان خائفاً من شيء بالنسبة لكارولين، ولم أعرف ما هو - لو أننى فقط عرفت.... وعدنا إلى أولبرى مرة أخرى لتجد الأمور أكثر صعوبة، فقد أصبحت كارولين أكثر شكا، ولم يرقنى ذلك مطلقاً. إننى كنت أكره على الدوام الخداع والغش، وظننت أنه يجب بمثلنا أن نخبرها، لكن أمياس لم يكن يسمح بذلك. لكن ذلك لم يكن يعنى أنى كان يهتم إلى حد كبير. فرغم أنه كان مغرماً بكارولين ولا يريد أن يفترق إلا أنه لم يهتم بأن يكون صادقا أو غير صادق. كان يرسم اللوحات التى من الحمى، ولا شيء سواها له قيمة. إننى لم أره فى منزل، فناء القصر من قبل، وأدركت عندئذ أن له عبقرية خاصة. لكن الأمر كان مستحيلاً بالنسبة لى، لأننى كنت فى موقف تسبىء، فكارولين لا تحب التسبىء. الحق، ولم يكن أمامى سوى أن أخبرها بالحقية حتى يستقيم الموضوع. لكن كان كل ما أمياس يقوله هو أنه لا يريد شجاراً حتى ينتهى من اللوحة.

قلت له أنه ربما لن يكون هناك شجار، وقد، فبدأنا فى التراجع. تحافظ على كرامتها فلا تثير أى نزاع، قالت: أننى أريد أن تكون صادقة بالنسبة للموضوع كله، علينا أن نكون صادقين.

- فليذهب الصديق إلى الجحيم فإننى أرسم اللوحة - اللعنة على كل شيء.

كنت أستطيع أن أفهم وجهة نظره، لكنه لم يكن يفهم وجهة نظرى. وفى النهاية انتهزت الفرصة، فعندما كانت كارولين تتحدث عن

شيء ستفعله مع امياس فى الخريف التالى، وكانت تتكلم بثقة تامة، شعرت أنه شيء كريبه أن أدعها تستمر فى هذا الوهم، فنطقت بالحقيقة. مازلت أظن أننى كنت على حق فى ذلك رغم أننى لم أكن لأفعل هذا لو أننى عرفت بأن ما حدث كان مقدرًا له أن يحدث. وقع الصدام مباشرة، وتعرضت لغضب امياس الأعمى، لكنه اضطر أن يعترف بأن ما قلته هو الحقيقة. لم أفهم موقف كارولين على الإطلاق. فقد ذهبنا لتناول الشاي عند ميرديث بليك، وكان سلوك كارولين رائعًا، فقد ظلت تضحك وتتحدث، ولقد ظننتها - وكان هذا حمقًا منى أنها تتحمل الموقف بصلاية. كنت محرجة لعدم استطاعتي ترك المنزل، لكن امياس سيغضب بشدة لو فعلت. ظننت لحظة أن كارولين ربما ترحل هى، ولو أن ذلك قد حدث لجعل الأمور أسهل بكثير. إننى لم أرها تأخذ الكونين، ويحتمل تمامًا أنها قد أخذته - مطلقًا لأقوالها - كى تنهى به حياتها، لكننى حقا لا أظن ذلك، لأنها من ذلك النوع الغيور الممتلك من النساء اللاتى لا يمكن أن يتخلين عن شيء يعتقدن أنه لهن. كان امياس ملكًا خاصًا لها، وأظن أنها كانت مستعدة لأن تقتله ولا تتركه يذهب نهائيًا ولا كلية - إلى امرأة أخرى. أظن أنها قررت أن تقتله، وأن عرض ميرديث للكونين بمحض الصدفة أعطاها الوسيلة لتنفيذ ما عزمته عليه - تلك المرأة التى ملأتها المرارة وحب الانتقام. لقد كان امياس على الدوام يعرف أنها خطيرة، لكننى لم أكن أعرف ذلك عنها.

فى صباح اليوم التالى جرت مشاجرة أخرى بينها وبين امياس سمعت معظمها وأنا فى الشرفة. كان هو صبورًا هادئًا يتوسل إليها أن

تكون عاقلة، قال لها أنه مغرم بها وبالطفلة، وأنه سيفعل أى شىء لضمان مستقبلهما، لكنه كان مصرا تماما على الزواج منى ولن يوقفه عن ذلك شىء، وذكرها بأنهما كانا قد اتفقا على أن يترك كل منهما الآخر حرا، حينما يرغب أى منهما فى ذلك، قالت كارولين عندئذ.

- افعل كما يحلو لك، لقد حذرتك.

- ما الذى تقصدينه يا كارولين؟

- إنك لى، ولن أسمح أبدا بأن تتركتى، وقبل أن تفعل ذلك سوف أقتلك.

وفى تلك اللحظة تقدم نحوى فيليب بليك فنهضت للقائه، وابتعدت به لأتنى لم أرغب فى أن يسمع شيئا، بعد قليل، خرج امياس وقال لى أنه حان الوقت لاستئناف رسم اللوحة، فذهبنا سويا إلى حديقة المدفعية. لم يقل الكثير سوى أن كارولين مستاءة جدا، وطلب منى ألا أتحدث فى الموضوع، لأنه يريد أن يركز ذهنه فيما يفعل، وأن يوما آخر من العمل، فى اللوحة سيتمها. قال:

- ستكون هذه اللوحة أروع شىء رسمته حتى الآن يا اليزا، حتى لو كان ما دفعته فى سبيلها هو الدم والدموع.

بعد ذلك بدقائق ذهبت إلى المنزل لاجتماع البلوفر، وأثناء عودتى كانت كارولين مع امياس فى حديقة المدفعية، وأعتقد أنها كانت تتوسل إليه للمرة الأخيرة ورأيت معها فيليب وميرديث بليك، وعندئذ قال امياس أنه يريد بعض البيرة حيث أن فى الحديقة كانت ساخنة. قالت كارولين أنها سترسل بيرة مثلجة. قالت ذلك بطريقة طبيعية تماما. يا لها من ممثلة ماهرة تلك المرأة، فلا بد أنها عندئذ كانت تعرف ما تنوى

عمله. أحضرت البيرة بعد ذلك بعشر دقائق في حين كان امياس
يرسم. صبيحتها ووضعت الكأس إلى جواره. لم أكن أنا أو هو نرقبها
عمدتها. فقد كان امياس يركز في الرسم، بينما أنا متخذة وضعي
الموديل. شرب امياس ما في الكأس جرعة واحدة كمادته، ثم ظهرت
على وجهه علامات الامتعاض وقال أن مذاق البيرة كريه، لكنها كانت
بازدة على أية حال. وبحثني في تلك اللحظة - ورغم قوله ذلك لم
يشأخلى أي شك، بل ضحككت وقلت أنه لايد أن كبدك هو السبب في
ذلك، يا امياس. وبعد أن رآته يشرب البيرة ابتعدت كارولين نحو المنزل.

لايد أنه مرت أربعين دقيقة قبل أن يشكو امياس من ألم وتصلب
في عضلاته، قال أنه لايد روماتيزم عضلي، وهو الذي لم يكن يحب أن
يعترف بأنه مريض مطلقا، وبعد أن قال ذلك خفف من وقع كلماته بأن
أردف ضاحكا (إنه كبير السن كما اعتقد، إنك تأخذين رجلا عجوزا
قارب النهاية يا ألوزا. قلت شيئا ردا على مزاحه، لكني لاحظت عندئذ
سابقه تتحركان بطريقة متصلبة. لكني لم أظن أن السبب شيء آخر
سوى الروماتيزم. وفي الحال جلس على المقعد الطويل وتمدد عليه،
كان مبتادا على أن يفعل ذلك ليريح عضلاته من الرسم، ومن ثم لم
يبدل في وضعه بل ذلك شيئا غير عادي. سمعنا رنين الجرس يدعونا
للمساءة لكن لم نكن نريد أن نأكله، بل سيقى ليرسم، ولم يكن
ذلك محور مفاوضات أيضا فقد اعتاد عليه، بالإضافة لأنه كان يسهل
الأمور ولا من أوزوا به كارولين على مائدة الطعام. كان يتكلم بطريقة
مفرقة دائما فيمنع الكلمات، لكنه كان أحيانا يفعل ذلك عندما لا يكون
في العمل في اللوحة. أتى ميرديث بليك ليصحبنى،

وتحدث إلى امياس، لكن امياس لم يكن به ميل للكلام.

واتجهنا إلى المنزل سويا تاركين امياس بمفرده - كى يموت وحيدا.
إننى لم أر إنسان يتطور به المرض فى حياته مطلقا، ولم أكن أظن أن
امياس به شئ سوى عصبية الرسام، ولو إننى أدركت ما به، فربما
أتيت بطبيب ينقذه... يا الهى كم كنت حمقاء جميعا.

ليس هناك ما يمكن أن أضيفه أكثر من ذلك سوى أن كارولين
والمربية هبطا إليه بعد الغداء يتبعهما بليك، وعلى الفور عاد هذا
ليقول لنا إن امياس قد مات.

وعندئذ فقط علمت، اقصد أنها كانت كارولين رغم أننى لم أفكر
فى السم، وكان ما ظننته هو أنها قد أطلقت عليه النار أو أغمدت فى
صدره خنجرا. أردت أن افترسها، أن أقتلها. كيف فعلت هذا؟ كيف
استطاعت أن تفعل هذا؟ لقد كان مليئا بالحياة والحيوية، أن يخنق
كل ذلك ليصبح جثة هامدة باردة - لقد فعلت هذا كى تحرمنى منه.

يا لها من امرأة مخيفة قاسية منتمة.

إننى أكرهها ومازلت أكرهها -إنهم لم يشنقوها، وكان يجب أن يشنقوا
إن الشنق نفسه ليس كافيا بعقابها، إننى أكرهها.. أكرهها..
أكرهها.

نهاية رواية ليدى ديتشام

رواية سيسيليا ويليامز

عزيزى مستر بوارو:

إننى أرسل لك تقريراً عن حوادث التاسع عشر من سبتمبر كما شاهدتها بنفسى. لقد كنت صريحة تماماً ولم أخف شيئاً مطلقاً، وتستطيع أن تطلع كارلا كريل عليه. قد يؤلمها ما جاء به، لكننى كنت على الدوام أثق فى قول الحقيقة، فإن نصف الحقائق أكثر ضرراً، ولا بد للمرء أن يكون أكثر شجاعة لمواجهة الواقع. ويدون هذه الشجاعة لن تكون للحياة معنى. وأكثر الناس اضراراً بنا هم أولئك الذين يخفون الحقيقة غناً.

المخلصة سيسيليا ويليامز

اسمى هو سيسيليا ويليامز، وقد استخدمتسى مسز كريل كمربية لأختها غير الشقيقة انجلا وارن. وقد استلمت عملى فى أولبرى، وهى ضيعة جميلة كانت على الدوام ملكاً لأسرة مستر كريل، وكنت أعرف أن مستر كريل كان رساماً مشهوراً، لكننى لم ألتق به إلا حين ذهبت للإقامة فى أولبرى.

كانت الأسرة مكونة من مستر ومسز كريل وانجلا وارن وهى فى الثالثة عشرة من عمرها، وثلاث خدم قضوا معظم حياتهم فى خدمة الأسرة. وجدت تلميذتى فتاة لطيفة تبشر بالخير، وقد سررنى أن أقوم

بتعليمها بالرغم من فيض حيويتها التي يمكن توجيهها لفائدتها. كانت انجلا مدلة بسبب معاملة مسز كريل. أما مستر كريل فلم يكن حكيما في موقفه تجاهها، فأحيانا يصادقها تماما، وأحيانا تنفضه تصرفاتها فيحقق عليها، لكن هذا هو طبع الفنان.

إننى لا أفهم مطلقا أن يتخذ الفنان من موهبته عذرا ليفعل ما يشاء. وإننى لم أعجب مطلقا برسوم مستر كريل والتي أعتبر ألوانها مبالغيا فيها، لكننى طبعاً ليس لى أن أعبر عن رأيي. ولكنى شعرت بالصدقة والإعجاب بمسز كريل التي كانت تتحمل صعوبة الحياة في صلالة، ذلك لأن مستر كريل لم يكن زوجا مخلصا وكان هذا ما يؤلمها. ولو أنها كانت امرأة أخرى لتركته بلا عودة، لكن مسز كريل لم تفكر في ذلك مطلقا بل تحملت عدم إخلاصه وغفرت له، رغم أنها لم تتحمل ذلك في هدوء بل كانت تتشاجر معه بروح قتالية.

لقد قيل في المحاكمة أنهما عاشا معا كالقطعة والكلب، إننى لا أرى هذا الرأي، فرغم تكرار الشجار فإن ذلك كان شيئا طبيعيا في مثل تلك الظروف، كنت قد أتممت عامين في خدمة الأسرة عندما حضرت اليزا جريير إلى المنزل في الصيف، ولم تكن مسز كريل قد التقت بها من قبل، وقيل أن الغرض من الزيارة هو أن مستر كريل سيرسم لها لوحة. كان واضحا من أول لحظة أن مستر كريل كان متأثرا بجمال الفتاة التي لم تفعل شيئا لتبعده عنها، بل إنها كانت تتصرف بوقاحة تجاه مسز كريل، وذلك بأن تتبادل الغزل مع زوجها.

ومن الطبيعي أن مسز كريل لم تكن تخبرنى بشيء، لكنى استطعت أن أرى أنها كانت تعسة قلقة، وقد فعلت ما في وسعى كي أسرى عنها.

كانت تدير جريير تجلس ساعات طويلة أمام مسز كريل لكن الصورة لم تكن تتقدم بسرعة وكان الواضح أن لديهم أشياء أخرى يتحدثون عنها.

إن تلميذتي لم تكن - لحسن الحظ - تلحظ شيئاً مما يحدث، لأنها لم تكن تريد الاستطلاع مرضى من أى نوع، ومن ثم فإنها لم تكن ترى أى شيء غير مرغوب فيه في صداقة مستر كريل ومس جريير، رغم أن ريويتا في الأخيرة كان شيئاً، فقد اعتبرتها إنسانة غبية، ذلك أنها لم تناقش موضوعاً عقلياً أو كان لها أفكار أدبية أو علمية من أى نوع لم يكن يشغلها سوى مظهرها الخارجى - الثياب والرجال.

أظن أن انجلا لم تشك في أن أختها كانت تمسة، ذلك أنها كانت تقضى وقتها في تسلق الأشجار والسباحة والقراءة. ذلك بالإضافة إلى أن مسز كريل تهتم بأن تخفى علامات حزنها عن انجلا، وتهتم على التوهم بأن تظهر بمرحها المعتاد في حضور الفتاة.

عادت مس جريير إلى لندن، وهو شيء أسعدنا جداً، فإنها من النوع الذي يسهل لك متاعب جمّة ولا يهتم بأن يشكرك. وغاب مستر كريل من المنزل بعد أن أبلغنا أنه قد غاب عنه طبعاً أنه ذهب خلف الفتاة. لم يزل هذا زوج من أجل مسز كريل، فإنها حزنّت جداً، مما جعلني أقصر والمدايرة حول مستر كريل، فإنه عندما يكون للرجل زوجة جذابة جميلة وأكثر فinesse، أنه أن يعاملها بفظاظة. على أية حال كان أملنا أن يكون الزوجان قريباً، لم يحدث أننا تحدثنا في الموضوع، لكنها كانت قد أبلغنا أنها تفرى نحوها.

أما في يوم السبت - بعد بضعة أسابيع - عاد كلاهما إلى الظهور،

ويدا وكان جلسات الرسم متعبد سيرتها الأولى . لكن مستر كريل بدا الآن مشغولا باللوحة أكثر من انشغاله بالفتاة. ورغم ذلك لاحظت أن الأمور لم تعد إلى طبيعتها، وأن الفتاة قد شددت قبضتها عليه، وأنها تقصد أن تخطفه، وكان هو ليناً في يدها .

تطورت الأمور بسرعة في اليوم السابق لليوم الذي مات فيه . أي في السابع عشر من سبتمبر. كان سلوك مس جرير فظاً للغاية في الأيام الأخيرة، ذلك أنها أحست بثقة زائدة في سيطرتها على الموقف. أما مسز كريل فقد كانت تتصرف بهدوء ورزاة لكنها كانت توحى للآخرى بما تكنه لها من آراء ومشاعر.

في ذلك اليوم كنا جالسين في حجرة الصالون بعد الغداء نطقت مس جرير بملاحظة غريبة عن نيتها إعادة تأييث الحجرة عندما تأتي للإقامة في أولبري، وبطبيعة الحال لم تستطع مسز كريل أن تترك هذا يمر فتحدثا إلى أن قالت مس جرير - أماننا جميعا - أنها سوف تتزوج مستر كريل. لقد قالت فعلا أنها ستتزوج رجلاً متزوجاً بالفعل، وقالت ذلك لزوجته .

لقد كنت غاضبة من مستر كريل، فكيف له أن يسمح لهذه الفتاة بإهانة زوجته في منزلها؟ لو أنه أراد أن يهرب مع الفتاة لفعل ذلك دون أن يحضرها إلى بيت الزوجية ويساعدها على إهانة زوجته. ورغم مشاعرها في تلك اللحظة فإن مسز كريل لم تفقد رباطة جأشها، وعندما دخل زوجها الحجرة طلبت منه ايضاحا .

بدا على مستر كريل الحرج والغضب من مس جرير ووقف وكأنه تلميذ أحقق سييء السلوك مغمغماً أن تلك كانت الحقيقة. لكنه لم يكن

يقصد أن تعرفها مسز كريل بتلك الطريقة. رمقته مسز كريل بنظرة احتقار لم أر مثلها في حياتي، ثم خرجت من الحجرة مرفوعة الرأس. لقد كانت أكثر جمالا وسحرا من تلك الفتاة، وكانت تتكلم وكأنها إمبراطورة. ولقد داعينى الأمل عندئذ في أن يلقي مسز كريل جزءا لقصوته التي أظهرها تجاه زوجته - تلك المرأة النبيلة القوية.

حاولت أن أقول شيئا أخفف به عن مسز كريل لكنها قالت:

- علينا أن نحاول أن نتصرف كالمعتاد فهذا أفضل شيء، ثم أننا ذاهبون لتناول الشاي عند ميرديث بليك.

- أظن أنك رائعة يا مسز كريل.

- إنك قد لا تعرفين.....

ثم خرجت من الحجرة بعد أن قبلتني. ذهبت إلى حجرتها، وظننت أنها ستبكي هناك. ورأيتها عندما خرجوا جميعا إلى الشاي. كانت تضع قبعة عريضة تخفي بها جزءا كبيرا من وجهها لم يكن مسز كريل يحس بالارتياح، لكنه يتظاهر بأن كل شيء على ما يرام. أما مس جرير فقد بدت منتصرة، وكأنها قطة فازت بطبق من القشدة - ثقة ورضاء عن نفسها.

عادوا من عند ميرديث بليك في الساعة السادسة، ولم يتح لى أن انقرد بمسز كريل في ذلك المساء. كانت متماسكة وهادئة وقت العشاء، وذهبت إلى فراشها مبكرة. ولا أعتقد أن شخصا آخر كان يعرف بما تعانيه سواي.

انقضى المساء في شجار بين انجلا ومسز كريل. عادوا يناقشون

مسألة ذهابها إلى المدرسة الداخلية مرة أخرى. ورغم أن كل شيء كان قد استقر بأن اشترت لها ملابسها ولوازمها فقد عادوا يناقشون المسألة مرة أخرى من جديد، ولقد كنت أنا في شغل بأفكاري الخاصة فلم أحاول أن أردع انجلا عن نقاشها. ترددت في الذهاب إلى حجرة مسز كريل لخشيتي أن ذلك قد يضايقها. ولو أنني كنت أعرف ما سيحدث لما ترددت في اصراري على أن تتحدث إلي، فربما لو حدث ذلك لكنت سلكت مسلكا آخر. لم يكن لها من تسرى إليه بأسرارها، ورغم إعجابي بضبط المرء لنفسه إلا أن التعبير عن الأحزان يكون مخرجا أفضل. والتقيت بمستر كريل في طريقي إلى حجرتي، وألقى علي بتحية المساء، لكنني لم أرد عليه.

وفي صباح اليوم التالي - - وكان يوما رائعا جدا شعرت بأن كل شيء سيكون على ما يرام. ذهبت إلى حجرة انجلا والتقطت جوئلة كانت ملقاة على الأرض وهبطت بها إلى الطابق الأرضي لأعطيها لها لتصلحها. حيث أنها كانت قد سبقتني إلى هناك.

كانت انجلا قد أكلت شيئا خفيفا وخرجت، وبعد أن تناولت افطاري انطلقت للبحث عنها. إنني أقول هذا كي أشرح لماذا لم أقضى وقتا طويلا مع مستر كريل ذلك الصباح. ولما لم تكن ملابس السباحة الخاصة بانجلا في مكانها فقد انطلقت إلى الشاطئ. لم يكن هناك أثر لها، لا في الماء ولا على الصخور فقررت أنه من المحتمل أن تكون ذهبت إلى ضيعة مستر ميرديث بليك فقد كانا أصدقاء. عبرت إلى الناحية الأخرى بالقرب لكنني عدت دون أن أجدها. كان كل من مستر فيليب بليك وميرديث بليك يجلسان في الشرفة.

كان الطقس حارا والشمس قوية، لكن الشرفة كانت ظليلة، واقترحت مسز كريل عليهما أن ترسل لهما بعض البيرة وذهبت خلفها كانت انجلا عند الثلاجة وهي تخرج زجاجة من البيرة فقالت لها مسز كريل: إنني أريد زجاجة بيرة مثلجة أذهب بها إلى امياس.

كان من الصعب على عندئذ أن أشك في شيء، كان صوتها - كما أنا واثقة حتى الآن - عاديا تماما. لكن لما كنت مهتمة بتأنيبها فإنني لم أركز اهتمامي في أي شيء آخر، وعندما سألت انجلا أين كانت قالت أنها كانت تسبح. قلت لها أنني لم أجدها هناك، فضحكت وعندما سألتها عن البلوفر الخاص بها قالت أنها لا بد وأن تكون نسبيته على الشاطئ. أقول هذه التفاصيل لأشرح كيف اضطررت لأن أترك مسز كريل تذهب بالبيرة إلى حديقة المدفعية.

إنني لا أتذكر أكثر من هذا في ذلك الصباح. أصلحت انجلا جونتتها بينما أنشغلت أنا بأعمال منزلية أخرى. لم يحضر مسز كريل لتناول الغداء وقد سررت هذا منه. وبعد الغداء قالت مسز كريل أنها ذاهبة إلى حديقة المدفعية، ولما كنت أريد استعارة بلوفر انجلا من على الشاطئ فقد انطلقنا سويا. وبعد أن تركتها بخطوات عند حديقة المدفعية سمعت صياحها يناديني. وكما قلت لك أثناء زيارتك لي طلبت هي إلى أن اتصل بالطبيب تليفونيا، لكنني عهدت بالمهمة إلى مسز ميرديث وعدت إليها.

هذه هي روايتي التي قتلها أثناء التحقيق ثم بعد ذلك في المحاكمة. لكن الذي ساكته الآن هو شيء لم أخبر به أي مخلوق من قبل. إن أحدا لم يوجه إلى سؤال لم أجبه عليه بصدق. لكنني رغم أي اعتبار

مذبذبة بأننى حجبت بعض الحقائق وأنا نادمة على ذلك. لكنى أشعر أيضا أنه يكشف هذه الحقيقة قد أتعرض للوم لكنه بعد مرور كل تلك السنوات لا أعتقد أن أحدا س يأخذ ما أقوله على محمل الجد - خاصة وأن كارولين كريل قد وجدت مذبذبة حتى دون الدليل الذى حجبتة. وهذا ما حدث:

لقد التقيت بمستتر ميرديث بليك كما قلت وعهدت إليه بالاتصال بالطبيب، وعدت بأسرع ما يمكنى إلى حديقة المدفعية، وعندما أصبحت عند بابها رأيت ما يلى:

كانت مسز كريل مشغولة بمسح ما على زجاجة البيرة بمنديلها. وبعد أن فعلت ذلك أخذت يد زوجها الميت ووضعتها على زجاجة البيرة. كانت طوال الوقت متيقظة منتبهة. وكان الخوف الذى لمحتة على وجهها هو ما كشف لى الحقيقة. لقد عرفت عندئذ - بلا أى شك أن كارولين كريل قد سمت زوجها. وعن نفسى فإننى لا ألومها، فقد دفع بها لليأس فوق احتمال البشر، ولقد تسبب فى موته بيده.

إننى لم أذكر هذا الذى رأيته لمسز كريل، ولم تعرف هى مطلقا أننى رأيته. لا يجدر بابنة كارولين كريل أن تبني حياتها على كذبة، ومهما كان الألم الذى تسببه معرفة الحقيقة، فإن الحقيقة أفضل من أى شيء آخر. قل لها عنى أن أمها لم تفعل ما فعلته برغبتها، بل دفعت إليه دفعا. وعلى ابنتها أن تفهم وأن تعفو.

نهاية رواية سيسيليا وليامز

رواية انجلا وارن

عزيزى مستر بوارو

ها أنا أنفذ وعدى لك وأكتب ما أتذكره عن تلك الأحداث الدامية التى حدثت منذ ستة عشر عاما . ولكنى حتى بدأت الكتابة لم أكن أدرك أن ما أتذكره هو قليل جدا . وحتى وقوع ذلك الحادث لم يكن هناك ما يثبت أحداث تلك الأيام فى ذهنى . لدى ذكرى غامضة عن أيام الصيف تلك، حتى أن جاء موت امياس وكأنه رعد انبثق فى السماء بطريقة مفاجئة، حتى أنى أبدو غير متذكرا لتلك الأيام التى سبقتها .

وانى لأتساءل الآن . هل كان لى وأنا فى الخامسة عشرة من عمري أن أكون عمياء صماء كما كنت عندئذ؟ وإذا كان للنشاطات أن تقتصر على السباحة وتسلق الأشجار وأكل الفواكه والقراءة لا أكثر، أم أننى كان يجب أن أحل سلوك الناس وأعرف السبب فيما يلم بهم .

لقد كان كل من كارولين وامياس مركز الحياة بالنسبة لى، ومن ثم لم أكن أفكر فى مشاكلهما أو شئونهما أو ماذا يفكران أو يشعران . إنى أيضا لم ألاحظ حضور اليزا جرير بطريقة خاصة . كل ما فكرت فيه أنها كانت غيبية وليست جميلة كما يظن الآخرون وقد تقبلت وجودها على أنها إنسانة ثرية متعبة يهتم امياس برسمها .

ولقد كان أول ما أثار انتباهي ما سمعته وأنا في الشرفة من اليزا وهي تقول أنها سوف تتزوج امياس. رنت في أذني تلك الكلمات كشيء سخيف، وأتذكر أنني حاولت إغاطة امياس بالتكلم في الموضوع، فعندما كنا في حديقة ضيعة هاندكروس قلت له:

- لماذا تقول اليزا أنها سوف تتزوج؟ إنها لا تستطيع ذلك، فالرجل لا يمكن أن تكون له زوجتان - إن ذلك مخالف للقانون ويؤدي إلى السجن.

أتذكر أن امياس غضب جدا وقال: كيف بحق السماء سمعت ذلك؟ قلت له أنني سمعت هذا الحديث عبر نافذة المكتبة. ازداد غضبه وقال أن الوقت قد حان لنهاي للمدرسة حتى أتخلص من تلك العادة القبيحة بالتصنّت على الآخرين - شعرت أن ذلك ليس عدلا، وغمغمت قائلة أنني لم أكن أنصت ورددت قولي عن سبب ما قالت اليزا، فأجاب امياس أنها كانت نكتة. ولقد كان يمكن أن ترضيني هذه الإجابة إلا أنها لم تؤد إلى ذلك تماما. ومن ثم فقد سألت اليزا في طريق عودتها إلى المنزل (لقد سألت امياس عما كنت تقصدينه بقولك أنك ستتزوجينه، وقد أجابني بأنها نكتة) شعرت برغبة في إغاطتها، لكنها لم تفعل شيئا سوى الابتسام. لم تعجبني تلك الابتسامة مطلقا فذهبت إلى حجرة كارولين وسألتها إذا كان من المستحيل بالنسبة لامياس أن يتزوج اليزا، فأجابتي بالكلمات التالية التي أكاد أسمعها ترن في أذني حتى الآن قالت:

- سوف يتزوج امياس من اليزا فقط بعد أن أموت. ولقد أعادت على هذه الإجابة ثقتي تماما، فإن الموت كان يبدو لي شيئا بعيدا جدا. ورغم ذلك- فقد بقيت حائرة على امياس بعد ذلك اليوم، فتشاجرت

معه على العشاء، وانطلقت للحجرة متجهة إلى فراشي وأنا أنتحب.

إننى لا أتذكر كثيرا مما حدث بعد ظهر ذلك اليوم فى ضيعة ميرديث بليك، رغم أننى أتذكر قراءته بصوت عال من كتاب يصف موت سقراط، لم أكن قد سمعت هذه القطعة من قبل، وظننتها من أفضل وأجمل ما سمعت.

لا أتذكر شيئا مما حدث فى صباح اليوم التالى رغم محاولتى ذلك مرارا - أتذكر بلا وضوح أننى ذهبت للسباحة، وأن شخصا ما حملنى على إصلاح شئ بنفسى. إن كل شئ غامض باهت حتى تلك اللحظة التى عاد فيها ميرديث بليك يلهث ووجهه شاحب تماما. أتذكر فتجان القهوة يسقط من فوق المائدة وينكسر أظنه كان فتجان اليزا، وأتذكر شكلها وهى تجرى - تعدو بكل قوتها إلى أسفل المدر، وتلك النظرة الغريبة التى أرسمت على وجهها. ولقد ظللت أقول لنفسى (إن امياس مات) لكن ذلك بدا شيئا غير حقيقى.

كما أتذكر حضور دكتور فوست بوجهه الصارم، ثم مس وليامز وهى تمتنى بكارولين، أتذكر نفسى أيضا وأنا أتجول حزينة كسيفة البال فى طريقى هذا وذاك وأنا أشعر بالمرض. لم يتركبنى أذهب كى أرى امياس، ثم أتت الشرطة وأخذوا يكتبون أشياء فى مفكراتهم، ثم أحضروا جثته على المحفة مغطاة بقطعة قماش.

بعد ذلك أخذتنى مس وليامز إلى حجرة كارولين، حيث كانت هذه ممددة على أريكة وقد بدت شاحبة تماما. قبلتنى وقالت أنها تريدنى أن أبتعد بأسرع ما يمكن عن هذا المكان المفزع، ولكن ليس على أن أقلق أو أفكر فى الموضوع أكثر من ذلك.

وأن على أن الحق بكارلا عند ليدى تريسيبيان لأن رجال الشرطة يريدون إخلاء المنزل. تعلقت بكارولين وقلت أنتى لا أريد أن ابتعد عنها، فقالت أنه من الأفضل لى أن اذهب بعض الوقت كي أضع القلق عن ذهنى، وأردفت مس وليامز قائلة:

- إن أفضل شيء تساعدن به أختك يا انجلا هو أن تفعل ما تريدك أن تفعله دون معارضة كثيرة.

قلت لهما أنتى سأفعل كل ما تريدنى كارولين أن أفعله، ومن ثم فقد عانقتى كارولين مرددة أنه ليس هناك ما أقلق لأجله، وعلى ألا أفكر أو أتحدث فيما حدث إلا بالنذر اليسير. اضطرت بعد ذلك لمقابلة مفتشى الشرطة الذى كان رقيقا معى، سألتنى متى رأيت اميلاس لآخر مرة، وأسئلة عديدة بدت لى بلا معنى فى ذلك الوقت، وإن فهمت الآن الهدف منها. وقد اقتنع بأنه لن يخرج منى بأكثر مما خرج به من الآخرين، ثم فطم قال لمس ويليامز أنه لا اعتراض لديه على ذهابى إلى ليدى تريسيبيان.

ذهبت إلى هناك وكانت الليدى رقيقة جدا معى، ولكننى سرعان ما عرفت الحقيقة، وأنهم قد قبضوا على كارولين على الفور تقريبا، وقد أفزعنى ذلك وشل تفكيرى حتى مرضت. سمعت بعد ذلك أن كارولين كانت قلقة بشأنى، وأنها مصرة على أن أذهب إلى خارج إنجلترا قبل أن تبدأ المحاكمة كما سبق أن قلت لك.

وكما ترى فإن ذكرياتى عن الأحداث قليلة جدا ولقد عصرت ذاكرتى لاستعيد التعبير الذى ارتسم على وجه هذا أو ذاك من الأشخاص، لكنى لا أتذكر شيئا يدل على جرم أحدهم فطم عصبية

اليزا، ووجه ميرديث الشاحب القلق وغضب فيليب بك وحزنه - لقد
بدووا جميعا طبيعيين بالنسبة للموقف. ورغم ذلك أعتقد أن أحدهم
كان يمثل دورا .
إننى أعرف شيئا واحدا فقط وهو أن كارولين لم ترتكب الجريمة.
إننى واثقة تماما من هذه النقطة وسأظل كذلك دوما، لكننى لا
أملك دليلا على ما أقول سوى معرفتى الوثيقة بشخصيتها .
نهاية رواية انجلا وارن



استنتاجات

رفعت كارلا ليمارشانت بصرها إلى
أعلى. كانت نظراتها وهي تلمس
كومة من الأوراق.

- إن هذا كله لا يثير الدهشة لأن لكل منهم وجهة نظر مختلفة. إن
كلا منهم يرى أمى من زاوية مغايرة لكن الحقائق تكاد تكون واحدة. إن
الجميع يتفقون على الحقائق.

- هل أصابتك قراءة هذه التقارير بخيبة أمل؟

- نعم ألم تخيب ظنك أنت؟

- كلا، بل وجدت في بعض هذه الوثائق أشياء قيمة بها معلومات مفيدة.

كان بوارو يتحدث ببطء وتأمل في حين كانت كارلا متوترة فقالت:

- أتمنى لو أنني لم أقرأها قط.

- إذن فهذا هو شعورك الآن؟

- إنهم جميعا يعتقدون أن أمى قاتلة - كلهم فيما عدا خالتي
انجلا. وما تعتقده هي ليس له قيمة، فليس لها أى دليل على ما تقول.

إنها ليست سوى شخص مخلص يتمسك بما يعتقد، رغم عدم وثوقه منه، ولا تفتأ تردد (إن كارولين لم تفعلها). ولكن لو لم تكن أمي قد فعلتها فلا بد أن أحد هؤلاء الخمسة قد فعلها، بل إن لدى نظرية عن دوافعهم لذلك.

- آه إن هذا مهم. أخبريني عن ذلك.

- إنها كلها لا تتعدى نظريات، فليب بليك مثلاً - وهو سمسار وكان من أعز أصدقاء أبي - ربما كان قد استخدم نقود أبي، ثم خدع أبي بأن جعله يوقع على أوراق، وعندما كاد كل شيء يكتشف لم يكن أمامه سوى قتل أبي لينقذ نفسه. إن هذه أحد النظريات التي فكرت فيها.

- إنه خيال يمكن أن يكون معقولا تماما، وماذا أيضا؟

- حسنا هناك اليزا، وفليب بليك يقول إنها أمكر من أن تستخدم السم، لكنني لا أعتقد ذلك مطلقا. لنفرض أن أمي قد ذهبت إليها وقالت لها أنها لن تطلق أبي، إنه ليس هناك مطلقا ما قد يدفعها إلى ذلك. وأظن أن اليزا بعقليتها البرجوازية كانت تريد أن تبدو محترمة بزواج شرعي، وعندئذ فكرت في قتل أمي - وكان في مقدورها بعد ذلك أن تسرق السم، وهي التي أتحت لها فرصة كبيرة بعد ظهر ذلك اليوم، وحاولت أن تضعه لأمي في تلك الليلة. أظن أن ذلك يتفق مع شخصية اليزا تماما. وعندئذ، وربما بالصدفة أخذ امياس السم بدلا من كارولين.

- مرة أخرى ليس هذا بخيال سييء، وماذا بعد.

- أما بالنسبة لميرديث بليك فهو يبدو لي الشخص القادر على

ارتكاب جريمه . اھصد انه - وهو الذى يضحك منه الجميع ربما كان
يمقت ذلك . وحيث أن أبى تزوج من الفتاة التى أرادها هو زوجة له ،
وكان أبى ناجحا وغنيا ، أما هو وهو صانع للسموم ، فربما يكون قد
اتجه لهذه الهواية كى يكون فى مقدوره أن يقتل شخصا ما يوم ما -
كان عليه أن يثير الانتباه لسرقة الكونين حتى يبعد الشبهة عنه وهو
الشخص الأكثر احتمالا لأخذه . وربما كان يريد لكارولين أن تشفق لأنها
رفضته وتزوجت غيره . وكلامه عن أن الناس أحيانا ما يقدمون على
عمل لا يتفق مع شخصياتهم كلام ليس له ما يؤيده . وربما كان يقصد
بذلك نفسه قبل أى شخص آخر .

- إنك على الأقل صادقة فى هذا ، فإنه ليس علينا أن نأخذ
رواياتهم على أنها حقيقة ، فإن ما كتب يمكن أن يكون قد كتب للتضليل .

- أعرف ذلك ولقد كنت أفكر فى هذه النقطة طوال الوقت .

- هل لديك أفكار أخرى؟

- لقد تساءلت عن موقف مس ويليامز . لقد فقدت وظيفتها عندما
ذهبت انجلا للمدرسة ، ولو أن امياس مات فجأة لما ذهبت انجلا إلى
المدرسة مطلقا . أقصد لو أن موته اعتبر طبيعيا - وهو الشئ الذى
كان يمكن أن يحدث ، لو أن ميرديث لم يكتشف سرقة الكونين - لو أن
هذا حدث لما فقدت وظيفتها . لقد قرأت عن الكونين أنه لا يترك أى
آثار واضحة فى الجثة ، وربما ظن الجميع أن سبب موت امياس كريل
كان ضربة شمس . إننى أعرف أن فقدانها وظيفتها ليس دافعا قويا
للجريمة ، لكن هناك جرائم قتل ارتكبت بدوافع بدت أكثر من هذا
سخفا بسبب مبالغ تافهة من المال أحيانا ، ومربية فى منتصف العمر

ليست على قدر كبير من المهارة، وربما كان ذلك دافعا قويا لها . لكن مس ويليامز من هذه الأوراق لا تبدو كذلك مطلقا، وهي ليست قليلة المهارة على وجه التأكيد.

- كلا على الإطلاق، وهي مازالت على قدر كبير من الكفاءة والذكاء.

- أعرف وهي تبدو مدعاة للثقة أيضا، فهي التي تتادى بمواجهة الحقائق كما هي، وكما قالت فإنه ليس من المفيد أن يبنى المرء حياته على كذبة، لأن تلك الكذبة هي ما يريد أن يصدقه. حسنا جدا إنني أواجه الحقائق! أمي ليست بريئة! وقد كتبت خطابها لى لأنها كانت ضعيفة تمسدة وأرادت أن تجنبني الألم. إنني لا أدينها وربما كنت سأفعل مثلها. إنني وأنت لا نعرف ما يفعله السجن بالناس. وأنا لا ألومها أيضا لأنها كانت تحب أبي إلى درجة اليأس. لكنني لا ألوم أبي كلية فإنني أفهم - ولو قليلا - إحساسه. لقد كان مليئا بالحيوية والحياة والاحتياج إلى كل شيء. إنه لم يستطع تجنب ما فعله فإن تكوينه كان هكذا. وكونه رساما عظيما يفقر له الكثير.

- إذن فأنت مقتنعة؟

- مقتنعة!

وأدارت وجهها المنفعل إلى هيركيول بوارو الذي قال:

- اسمعي. إنك تتخلين عن المعركة في الوقت الذي يجب عليك أن تتمعكي فيه بالنضال، وفي اللحظة التي قد حصلت فيها أنا - هيركيول بوارو - على فكرة واضحة عما حدث حقا.

حدقت كارلا ليمارشانت وقالت:

- إن مس ويليامز أحبت أمى إلى أقصى حد، وهى التى رأتها تزور
دليل الانتحار ذلك، فإذا أخذتهما مس ويليامز.....
- بل لأنه بسبب ما قالته سيسيليا ويليامز عن قيام والدتك بطبع
بصمات أصابع أمياس كريل على زجاجة البيرة، وانتهى إلى ما أقول -
إن هذا هو الشيء الوحيد الذى أقنعنى بطريقة تامة أن والدتك لم
تقتل أباك.
وأوماً بوارو برأسه عدة مرات وخرج من الحجرة وكارلا ليمارشانت
تحقق خلفه فى دهشة.



بوارو يوجه خمسة أسئلة

السؤال الأول

- حسنا يا مستر بوارو؟
- كانت نبرة فيليب توحى بفراغ صبره - قال بوارو:
- لا بد لى أن أشكرك على تقريرك الرائع عن مأساة كريل.
- أشكرك! لقد أدهشنى أنا نفسى مقدار ما تذكرته عن تلك الأحداث عندما بدأت الكتابة فعلا.
- لقد كانت رواية واضحة بطريقة تدعو للإعجاب، لكننى لاحظت بعض الحذف اليس كذلك؟
- قطب فيليب بليك ما بين حاجبيه وقال: حذف!
- إن روايتك لم تكن صريحة تماما، فلقد وصل إلى علمى يا مستر بليك أنه فى أحد ليالى ذلك الصيف شوهدت مسز كريل تخرج من حجرتك فى ساعة غير عادية.
- ساد الصمت برهة، صمت لا يتخلله سوى تنفس فيليب بليك الذى قال أخيرا: من قال لك ذلك؟
- لا يهم من قال لى، بل المهم أن أعرف ما حدث.

- يبدو أنه بمحض الصدفة قد علمت بمسألة خاصة تماما . اعترف أنها لا تتفق مع ما كتبت لك، ولكنها مع ذلك تتفق مع الحقيقة التي أنا مجبر على أن أقولها لك..... لقد كان لدى شعور ببعض الكراهية لكارولين كريل، في نفس الوقت الذي كنت أشعر فيه بجاذبيتها . وربما كان شعوري بحبها هو الذي أدى إلى شعوري بالعداء نحوها . لقد كرهت الاعتراف بسيطرة جاذبيتها على باستمرارى في التأكيد على النقاط السيئة فيها . إننى لم أكن مغرما بها على الإطلاق، لكنه كان من السهل جدا على أن أتورط في هذا الغرام في أية لحظة . لقد كنت مغرما بها وأنا صبي في حين لم تلتفت هي إلى، ولم أكن أنا لأغفر لها ذلك .

توقف فيليب بليك ثم قال:

- ولقد حانت لى الفرصة عندما فقد امياس كريل عقله تجاه تلك الفتاة اليزا جرير . ويدون أن أعرف ماذا أفعل، وجدت نفسى أخير كارولين بحبى لها، لكنها قالت لى بهدوء ووفاحة (نعم لقد كنت أعرف ذلك دائما) . لقد كنت أعرف بالطبع أنها لا تحبني، لكننى رأيت فقط كيف أن موقفها الحالى مع امياس كان سيئا . إن مثل هذا الموقف قد يدفع أى رجل عندئذ للفوز بها بسهولة . ولقد وافقت على أن تأتى إلى فى تلك اللحظة . وقد أتت إلى حجرتى . وعندئذ وذراعائى يحيطان بها قالت لى ببرود كامل أن ذلك لن يفيدنى بشيء لأنها - قبل وبعد كل شيء - زوجة مخلصه، وأنها سوف تتمسك بامياس كريل مهما فعل .

قالت معترفة أنها عاملتى بطريقة سيئة، وطلبت إلى أن أغفر لها ذلك . ثم تركتني هل تعجب يامستر بوارو إذا كانت كراهيتى لها عندئذ

قد ازدادت أضعافاً؟ هل تتعجب إذ لم أغفر لها مطلقاً تلك الإهانة التي ألحقها بي، بالإضافة إلى قتلها للصديق الذي أحبته أكثر من أي شخص في العالم؟

وارتعش فيليب بليك وهو يقول آخر كلماته:

- إنني لا أحب أن أتكلم عن ذلك، هل تسمعني. والآن وقد حصلت على الإجابة التي تريدها فاهرب ولا تذكر لي هذه المسألة مطلقاً بعد ذلك.

السؤال الثاني

- إنني أريد أن أعرف يا مستر بليك الترتيب الذي خرج به ضيوفك من المعمل في ذلك اليوم.

أجاب ميرديث بليك محتجاً:

- ولكن يا عزيزي مستر بوارو! كيف يمكنني بعد ستة عشر عاماً أن أتذكر ذلك؟ لقد قلت لك أن كارولين هي آخر من خرج.

- هل أنت واثق من ذلك؟

- نعم على الأقل أعتقد أن....

- دعنا نذهب إلى هناك فلابد لنا أن نتأكد.

وقاد ميرديث بليك الطريق مطيعاً. فتح باب المعمل ثم التوافذ في حين قال له بوارو أمراً.

- والآن يا صديقي تخيل نفسك وقد أريت ضيوفك محاليلك المثيرة للإهتمام. أغلق عينيك وتذكر ما حدث بعد ذلك.

أغلق ميرديث بليك عينيه وأخرج بوارو منديلاً من جيبه محركاً

إياه فى الهواء غمغم ميرديث بليك وأنفه يتحرك قليلا .

- نعم... نعم إنه لمن العجيب كيف يعود كل شيء إلى عقله. إننى أتذكر كارولين وثوبها بلون القهوة الشاحب وفيليب يبدو متبرما... لقد كان على الدوام ساخطا على هوايته.

- تذكر الآن.. أنك على وشك ترك الحجرة فى طريقك إلى المكتبة الملحقة بالمعمل لتقرأ عليهم تلك الفقرة عن موت سقراط. من ترك الحجرة أولا؟ هل كنت أنت؟

- اليزا - ثم أنا - نعم لقد مرت من خلال الباب أولا، وتبعته أنا عن قرب، فقد كنا نتحدث. وقفت هناك أنتظر بقيتهم حتى أغلق الباب بنفسى. لقد خرج فيليب بعد ذلك ثم انجلا التى كانت تسأله شيئا. وتبعهم أمياس، بينما وقفت أنا فى مكانى منتظرا كارولين بالطبع.

- إذن فأنت واثق أن كارولين هى التى بقيت فى الخلف. هل رأيت ماذا كانت تفعل.

- كلا فلقد كان ظهري للحجرة كما ترى، لأننى كنت أتحدث إلى اليزا التى لابد كانت ضجرة بحديثى، وأنا أحدثها عن جمع الأعشاب عندما يكون القمر فى كامل استدراته طبقا للخرافات القديمة. ثم خرجت كارولين مسرعة قليلا - وأغلقت الباب.

توقف ميرديث بليك ونظر إلى بوارو الذى كان يعيد منديله إلى جيبه، استنشق ميرديث بليك الهواء فى ازدراء مفكرا فى نفسه (أن الفتى يستخدم الروائع) لكنه قال بصوت مرتفع:

- إننى واثق من الأمر الآن. إن الترتيب كان هكذا اليزا، أنا، فيليب،

انجلا ثم كارولين. هل يفيدك هذا بشيء؟
أجاب بوارو قائلاً: إن كل شيء في مكانه الآن. اسمع... إنني أريد ترتيب اجتماع هنا، ولا أعتقد أنه سيكون صعباً.

السؤال الثالث

إنني أريد أن أسألك سؤالاً يا سيدتي.
قالت اليزا ديتشام في حماس طقولى: حسناً ما هو؟
- بعد أن انتهى كل شيء - أقصد المحاكمة - هل طلب إليك ميرديث بليك أن تتزوجيه؟
حدقت فيه اليزا وعلى وجهها شعور بالاحتقار والملل وقالت:
- نعم لقد فعل... لماذا؟
- هل أدهشك ذلك؟
- لا أتذكر؟
- ماذا قلت له عندئذ؟
ضحكت اليزا وقالت: ماذا تظننى قد قلت؟ هل أقبل بميرديث بعد اميلاس؟ إن الأمر كان يدعو للسخرية لقد كان ذلك غباء منه، لكن الغباء لم يكن شيئاً غريباً عليه. لقد أراد (أن يمتنى بى) هذا ما قاله بالحرف الواحد.
لقد ظن كما قد يفعل أى شخص آخر أن المحاكمة كانت شيئاً مفزعاً بالنسبة لى، والصحفيين والجمهور وتلك الصفات القبيحة التى ألحقوها بى.

وتأملت اليزا ديتشام لحظة ثم قالت ضاحكة:

- المعجوز البائس ميرديث يا له من حمار.

السؤال الرابع

مرة أخرى ذهب هيركيول بوارو لسؤال مس ويليامز، ومرة أخرى عاوده شعوره الصبي الواقف أمام مدرسته. شرح لها أن لديه سؤالاً يود توجيهه إليها فقال:

- لقد أصيبت انجلا وارن بعاهة وهي طفلة صغيرة. وفي مذكراتي أجد إشارتين لهذه الحقيقة أحدهما تقول أن مسز كريل ألقت على الطفلة بثقالة ورق، والإشارة الأخرى تقول أنها هاجمت الطفلة بقضيب من حديد. فأى الروايتين أصح؟

أجابت مس ويليامز في نبرة واضحة مرحة:

- إننى لم أسمع مطلقاً عن قضيب من حديد، وثقالة الورق هي الرواية الحقيقية.

- من كان مصدر هذه الرواية؟

- انجلا بنفسها، لقد قالت لى ذلك فى وقت مبكر.

- ما الذى قالت بالضبط؟

- لقد لمست صدغها وقالت (لقد فعلت هذا كارولين بى عندما كنت طفلة، ألقت على بثقالة ورق. أرجوك ألا تشيرى إلى هذا مطلقاً لأن ذلك يزعجها جداً).

- ألم تذكر لك مسز كريل هذه المسألة مطلقاً؟

- فقط بطريقة ملتوية. وقد ضمنت أنني أعرف القصة. أتذكر أنها قالت ذات مرة (أعرف أنك تظنين أنني أفسد انجلا بتدليلي، ولكن كما تعرفين لأنني أشعر دائما أنني لا أستطيع شيئا يعوضها عما فعلته لها) وفي مناسبة أخرى قالت (أن يعرف المرء أنه قد أصاب بأذى دائم إنسانا آخر لهُر من أقطع الأثقال التي قد يتحملها الإنسان).

- أشكرك يا مس ويليامز. هذا كل ما أردت معرفته.

قالت مس ويليامز بحدة.

- إنني لا أفهمك يا مستر بوارو. هل أطلعت كارلا على روايتي عن الماساة؟

ولماذا أومأ بوارو برأسه - استطردت قائلة:

- ورغم ذلك فإنك لا زلت.....

- فكرى لحظة. لو أنك مررت ببائع سمك ورأيت اثنتي عشرة سمكة على منضدته فسوف تظنين أنها كلها أسماك حقيقية أليس كذلك؟ ولكن واحدة منها تكون سمكة محنطة.

- إن ذلك بعيد الاحتمال ولكن على أية حال....

- إنه بعيد الاحتمال حقا، لكنه ليس مستحيلا - لأن صديقا لي أخذ سمكة محنطة - كانت هذه مهنته - ليقارنها بسمك حقيقي. ولو أنك رأيت فاكهة لا تزرع في إنجلترا في حجرة صالون شخص ما فقد تظنين أنها غير حقيقية. لكنها قد تكون فاكهة حقيقية نقلت بالطائرة من بغداد.

وهذا يوضح لك أن نوافذ العقل هي التي يرى بها المرء الأشياء.

السؤال الخامس

أبطاً بوارو فى سيره عندما وصل إلى منزل انجلا وارن الذى يطل على حديقة ريجنت. لم يكن يريد توجيه أى سؤال لانجلا، فإن السؤال الوحيد الذى كان يود أن يوجهه لها كان يمكن أن ينتظر. لكن إحساسه بالتعاسف هو الذى دفعه للذهاب إليها. فطالما أن هناك خمسة أشخاص فلا بد أن يكون هناك خمسة أسئلة. بدا له ذلك أفضل. ثم إنه يستطيع أن يفكر فى شيء.

حيثه انجلا ببعض الحماس وقالت:

- هل اكتشفت شيئاً. هل توصلت إلى أى شيء؟

- إننى على الأقل أحرز تقدماً.

- فيليب بليك؟

نطقت انجلا وارن بالاسم بنبرة اختلط فيها السؤال بالتقرير.

- إننى لا أريد أن أقول شيئاً فى الوقت الحاضر، فاللحظة المناسبة

لم تأت بعد، كل ما أطلبه منك هو أن تحضرى إلى ضيعة هانديكروس، ولقد وافق الآخرون على ذلك.

- ما الذى تنوى أن تفعله؟ إعادة تمثيل ما حدث منذ ستة عشر عاماً مضت؟

- ربما لأراها من زاوية أكثر وضوحاً. هل ستحضرين؟

- أوه نعم سأحضر، فسوف يكون مثيراً أن أرى كل هؤلاء الأشخاص مرة أخرى، وسوف أراهم من زاوية أوضح عما رأيتهم فى

ذلك الوقت.

- وسوف تحضرين معك ذلك الخطاب الذى أطلعتنى عليه.
- قطبت انجلا وارن ما بين حاجبيها وقالت:
- إن ذلك الخطاب يخصنى، ولقد اطلعت عليه لأسباب كافيه، لكننى لا أنوى قراءته على أشخاص غريباء متعارضين.
- ولكنك ستسمعين لى بأن أوجهك فى هذا المضمار.
- لن أفعل شيئاً من هذا القبيل. سوف أحضر الخطاب معى، لكنى سأستخدم عقلى الذى أعتقد أنه يعمل بكفاءة عقلك.
- رفع بورارو يده علامة استسلام ونهض قائلاً:
- هل تسمعين لى بتوجيه سؤال واحد؟ حسناً ألم تقرأى فى وقت مقارب لوقوع المأساة رواية سومرست موم بعنوان (القمر وسيت بنسات)؟
- حدقت فيه انجلا وارن بدهشة ثم قالت:
- أعتقد ذلك، لماذا؟ نعم إن ذلك حقيقى، ولكن كيف عرفت؟
- لكى أريك يا آنستى فى شيء بسيط كهذا فإننى شيء قريب من ساحر. أعرف أشياء دون أن تقال لى.



إعادة تمثيل الأحداث

اخترقت أشعة الشمس حجرة العمل
فى هاندكروس بعد ظهر ذلك اليوم
وضعت بعض المقاعد الخفيفة فى
الحجرة، لكن هذا أدى إلى زيادة
الإحساس بفرغ الحجرة ووحشتها .

أخذ ميرديث بليك يتحدث إلى كارلا ليمارشانت بإحساس بالحرر
وتوقف فجأة وهو يقول:

- يا عزيزتى إنك تشبهين أمك تماما وتختلفين عنها أيضا .
- فيم أشبهها، وفيما أختلف عنها؟
- لك نفس لونها وطريقة حركاتها، لكنك أكثر إيجابية منها بكثير.
- أما فيليب بليك فقد تطلع إلى خارج النافذة فى غير صبر وقال:
- ما هى الحكمة فى ذلك كله؟ أن يضيق المرء بعد ظهر سبت رائع
كهذا لهو..... أسرع هيركيول بوارو مهدئا من الموقف
- إننى أعتذر عن تخلفك عن لعب الجولف يا مستر بليك، ولكن ها

أنت ترى ابنة أعز صديق لك وفي مقدورك أن توضح لها شيئاً ألن تفعل؟
وهنا أعلن الخادم مقدم مس انجلا وارن وذهب ميرديث ليرحب بها
قائلاً: إنه رائع منك أن تأتي يا انجلا فإنك مشغولة جداً كما أعرف.
وتقدمها نحو النافذة فقالت كارلا:
- أهلا بخالتي انجلا، لقد قرأت مقالاتك في جريدة التايمز هذا
الصباح. إنه من الرائع أن يكون للإنسان خالة بهذه الشهرة.
ثم أشارت إلى شاب يقف إلى جوارها وأضافت:
- هذا هو جون ريتارى، وأنا وأهو نأمل أن نتزوج.
تقدم ميرديث بليك ليصافح القادم التالي وقال:
- أهلا مس ويليامز، لقد مضت أعوام عديدة منذ أن رأيتك آخر مرة.
تقدمت المربية العجوز مركزة نظراتها على بوارو حتى تحولت
عينها إلى انجلا وارن التي تقدمت نحوها قائلة:
- إننى أشعر وكأننى تلميذة مرة أخرى.
- إننى فخورة بك يا عزيزتى فإلقد حققت ما كنت أتمناه لك. هذه
كارلا كما أعتقد؟
إنها لم تتذكرنى فقد كانت صغيرة جداً عندما... قال فيليب بليك
بغضب: ما هذا كله؟ إن أحدا لم يخبرنى.
قال هيركيول بوارو: إننى اسمى ذلك رحلة إلى الماضى. هل تسمحون
بأن نجلس جميعاً وسوف نكون مستعدين فور وصول آخر ضيف،
وعندما تكون حاضرة معنا فسوف نبدأ عملنا فى تحضير الأرواح.
- ما هذا العبث؟

- إنه ليس عبثاً، لن نفعل شيئاً سوى استعادة أحداث انقضى عليها زمن طويل وناقشها، وربما من خلال ذلك نراها بوضوح أكثر. أما عن الأشباح فإنها لن تتجسد أمامنا. ولكن من ذا الذى يقول أنها ليست معنا فى هذه الحجرة رغم أننا لا نستطيع رؤيتها؟ من ذا الذى يقول أن امياس وكارولين كريل لا ينصتان إلينا الآن.

فتح الباب وأعلن الخادم حضور ليدى ديتشام التى دخلت وتعبير وجهها يوحى بالسأم والتكبر كالعادة. ألقت على ميرديث ابتسامة خفيفة، ووجهت لانجلا وفيليب نظرة باردة. واتجهت إلى مقعد إلى جوار النافذة يبتعد عن الآخرين قليلاً. خلمت القراء الذى يحيط برقيبتها وحدقت فى كارلا التى واجهت نظرتها بنظرة متأملة تقيم بها تلك المرأة التى أوقعت المأساة فى حياة والديها. لم تكن فى نظراتها كراهية، لكن حب استطلاع. قالت اليزا: إننى آسفة لتأخيرى يا مستر بوارو.

- لقد أحسنت صنعا بالحضور يا سيدتى.

وجهت إليها سيسيليا ولييامز نظرة غضب، لكن اليزا قابلت نظرتها بعدم مبالاة وقالت:

- إننى لم أكن لأعرفك يا انجلا، إننى لم أرك منذ ستة عشر عاماً. انتهز هيركيول بوارو الفرصة وقال: نعم لقد مضت ستة عشر عاماً منذ وقعت تلك الأحداث التى سنتحدث عنها الآن، لكن دعونى أقول لكم أولاً السبب فى تواجدها هنا.

وفى كلمات قليلة، بسيطة شرح لجو كارلا ليمارشانت إليه وقبوله القيام بالمهمة. تجاهل ثورة فيليب بليك البادية على وجهه فى حين كانت كارلا ليمارشانت تسمع كلماته وكأنها صادرة من عالم آخر.

يمكنها أن ترى في أحدهم قاتل أباهما؟ هل هي اليزا أخذت تدرس
الوجوه الخمسة بدقة وهي تفكر: هل المتعالية، أم فيليب الفاضب، أم
ميرديث الطيب، أم المربية الصارمة، أم العاقلة الباردة أنجلا وارن؟

هل يمكنها مهما حاولت أن تتخيل أحدهم يقتل شخصا آخر؟ نعم
ربما، ولكنها لن تكون الجريمة التي يمكن أن تدبرها عن دهاء وتفكير.
استطاعت أن تتخيل فيليب بليك يقتل امرأة في فورة غضب، أو
ميرديث بليك يهدد لصا بمسدس - ويمكن أن تتطلق رصاصا
مطاشة.... ويمكنها تخيل أنجلا وارن تطلق رصاصا من مسدس أيضا،
ولكن ليس بفعل المصادفة، أما اليزا جرير اليزا ديتشام الآن فقد
تخيلتها في قلعة ضخمة تتمرغ في حرير وتقول (ألقوا بهذا الحقير من
فوق أسوار القلعة) لكنها لم تتخيل مطلقا مس ويليامز تقتل أى إنسان.
تخيلت نفسها تسأل المربية العجوز (هل سبق أن قتلت أحدا يا مس
ويليامز). وتخيلت الأخرى تجيبها قائلة: (استمرى فى مسائل الحساب
يا كارلا ولا تلق بأسئلة سخيفة. إن قتل أى إنسان عمل شرير تماما).

وفكرت كارلا في نفسها (لايد أننى مريضة، لايد لهذه الخيالات أن
تتوقف. أنصتى يا كارلا لهذا الرجل الذى يدعى أنه يعرف كل شيء)
ذلك فى حين كان هيركيول بوارو يقول:

- كانت هذه هى مهمتى.. أن أعود إلى الخلف كل هذه السنوات،
وأن اكتشف ما حدث فعلا، قال فيليب بليك:

- إننا جميعا نعرف ما حدث، وإدعاء شيء آخر ليس إلا أكذوبة.
وأنت تأخذ مالا من هذه الفتاة بادعاءات كاذبة.

لم يسمح هيركيول بوارو لنفسه أن يغضب وقال:

- تقول إننا جميعا نعرف ما حدث، لكنك نتكلم دون تفكير. فإن الرواية المقبولة لحقائق معينة لا تجعلها بالضرورة هي الحقيقة ذاتها. فعلى الظاهر يا مستر بليك أنك كنت تكره كارولين كريل، إن هذا هو الوجه المقبول من الجميع عن موقفك تجاهها. لكن أى شخص يلم ببعض علم النفس سيعرف على الفور أن الحقيقة هي عكس ذلك تماما. لقد كانت كارولين كريل دائما ذات جاذبية خاصة بالنسبة لك، ولقد كرهت أنت هذه الحقيقة بأن حاولت على الدوام التغلب عليها بتكرارك لنفسك نقائص كارولين. وبنفس الطريقة فإن ميرديث بليك كان يحب كارولين كريل لسنوات عديدة. وفي روايته عن المأساة يقول عن نفسه أنه قاوم مسلك اميلاس كريل تجاهها. ولكن على المرء فقط أن يقرأ بعناية ما بين السطور ليعرف أن ذلك الحب الذى استمر سنوات طويلة انتهى بأن أصبحت اليزا جرير هي التى تشغل عقله وفكره.

غمغم ميرديث بليك بكلمات حائقة، فى حين ابتسمت ليدى ديتشام واستطرد هيركيول بوارو:

- إننى أذكر هذه الأمور للإستشهاد فقط، بالإضافة إلى أنها لها تأثير على الأحداث. جستا إذن فلنعد إلى الخلف لنعرف كل شيء عن المأساة. لقد تحدثت إلى محامى الدفاع عن كارولين كريل، ثم إلى المدعى، ثم إلى المحامى العجوز الذى كان يقوم بكل القضايا لأسرة كريل، ثم إلى كاتب المحامى وإلى ضابط الشرطة، ثم إلى الشهود الخمسة الذين كانوا فى مسرح الجريمة.. ومن كل هؤلاء خرجت بصورة مركبة عن امرأة، وخرجت بهذه الحقائق:

(إن كارولين كريل لم تحاول فى أى وقت إثبات براءتها) فيما عدا ما كتبه فى خطابها لابنتها. وأن كارولين كريل لم تبدو خائفة مطلقا

فى قصص الاتهام - بل إنها لم تكن مبالية بموقفها على الإطلاق، بل على العكس أخذت موقفا انهزاميا، وأنها فى سجنها كانت هادئة مستكنة. وأنها فى خطابها الموجه إلى أختها - بعد صدور الحكم - عبرت عن قبولها لتقديرها. وأن كارولين كريل - فى نظر كل من التقيت بهم (فيما عدا شخص واحد فقط) - كانت مذنبه.

أوما فيليب بيليك برأسه وقال: طبعاً لقد كانت كذلك.

لكن دورى لا يكمن فى أن أقبل حكم الآخرين، بل كان على أن أفحص الأدلة بنفسى. أن أفحص الحقائق وأن أقتنع بأن نفسية من اتصلوا بالحادث متفقة مع ما حدث. ومن أجل هذا قرأت ملفات الشرطة بعناية، وأقنعت الخمسة أشخاص الذين كانوا هناك وقت الحادث بأن يكتبوا لى تقريراً عن المأساة. لقد كانت هذه التقارير ذات قيمة كبيرة، فقد احتوت على أشياء لم تكن ملفات الشرطة تحتوى عليها. ومن ذلك:

(أ) أحاديث وحوادث معينة كانت من وجهة نظر الشرطة غير ذات قيمة.

(ب) آراء الأشخاص أنفسهم بالنسبة لما كانت كارولين كريل تفكر فيه وتشعر به.

(ج) حقائق معينة حجبتها من يعرفها عمداً عن الشرطة.

وأصبحت فى موقف يسمح لى بالحكم على القضية بنفسى. لم يكن هناك شك فى إن كارولين كريل كان لديها دافع قوى لارتكاب الجريمة، فقد كانت تحب زوجها الذى اعترف أمام الجميع أنه كان على وشك أن يهجرها من أجل امرأة أخرى. وباعتراف كارولين كريل

نفسها فأنها كانت امرأة غيورة. ولو انتقلنا من الواقع إلى الوسائل فإن زجاجة عطر خاوية كانت تحتوى على الكونين وجدت فى درج خزانها، ولم يوجد فوقها سوى بصمات أصابعها هى. وعندما سألها رجال الشرطة عن ذلك اعترفت بأنها أخذتها من هذه الحجرة التى تجلس فيها. وعلى زجاجة الكونين كانت هناك بصمات أصابعها أيضا.

وعندما سألت مستر ميرديث بليك عن ترتيب خروج الخمسة أشخاص من هذه الحجرة فى ذلك اليوم. ومن البديهي أن أحدا منهم لم يكن سيأخذ الكونين فى حضور الآخرين فى نفس المكان. وقد غادر الأشخاص الحجرة بالترتيب التالى: اليزا جرير - ميرديث بليك - أنجلا وارن - فيليب بليك - امياس كريل - وأخيرا كارولين كريل.

بالإضافة إلى ذلك كان مستر ميرديث بليك يعطى ظهره للحجرة بينما كان ينتظر خروج مسز كريل منها، ومن ثم كان يستحيل عليه أن يرى ماذا كانت تفعل. وهذا معناه أنه كانت لديها الفرصة. إذن فإننى مقتنع بأنها أخذت الكونين بنفسها فعلا. ولقد كان هناك تأكيد غير مباشر لذلك عن ميرديث بليك عندما قال لى منذ أيام (إننى أتذكر نفسى واقفا هنا أشم رائحة الياسمين من خلال النافذة المفتوحة). لكن الوقت كان شهر سبتمبر والياسمين الزاحف خارج النافذة كانت زهراته قد انتهت بالفعل. ذلك أنه من نوع الياسمين الذى يزهر فى يونيو ويوليو، لكن زجاجة العطر التى وجدت فى حجرتها والتى عثر فيها على أثر الكونين، كانت تحتوى فى الأصل على عطر الياسمين. إذن فإننى واثق أن مسز كريل قررت سرقة الكونين وأنها أفرغت العطر من الزجاجة التى كانت فى حقيبتها.

لقد اختبرت ذلك للمرة الثانية عندما طلبت إلى ميرديث بليك أن

يفلق عينيه، وأن يحاول ترتيب خروج الأشخاص من الحجرة. ولقد حفزت ذاكرته رائحة الياسمين فوراً، ذلك أننا جميعاً نتأثر بالروائح أكثر مما نعرف.

نحن الآن في صبيحة يوم المأساة. وحتى الآن فإن أحداً لا يعترض على الحقائق، فإن كشف مس اليزا جرير عن حقيقة تبادلها الحب مع مستر كريل واعتزامها الزواج وتأكيد امياس كريل نفسه لذلك أصاب كارولين كريل بحزن عميق أن هذه الحقائق لا تعتمد على شهادة شخص واحد فقط بل أجمع عليها الكل.

وفي صبيحة اليوم التالي جرت مناقشة صاخبة بين الزوج وزوجته في حجرة المكتبة، وأول ما سمع من هذا النقاش هو قول كارولين في نبذة مليئة بالمرارة (أنت ونساؤك سوف أقتلك يوماً ما). لقد سمع هذا فيليب بليك وهو في اليهو، وسمعه اليزا جرير وهي في الشرفة خارج المنزل. ثم سمعت مستر كريل يطلب إلى زوجته أن تكون عاقلة، ثم سمعت مسز كريل تقول (سأقتلك قبل أن أتركك تذهب مع تلك الفتاة). وبعد ذلك خرج امياس كريل إلى الشرفة مبهتجاً وقال لاليزا جرير أن تأخذ وضعها كموديل ليستكمل اللوحة، فتأتى هي ببلوفر وتصحبه.

إلى هنا ليس هناك شيء غير صحيح من الناحية النفسية.

فإن كل شخص يتصرف كما يتوقع منه أن يتصرف. لكننا نأتى إلى شيء يبدو متناقضاً مع الناحية النفسية. ذلك أن ميرديث بليك يكتشف سرقة الكونين، يتحدث إلى شقيقه بالتليفون - يتقابلان قرب الشاطئ ويصعدان الطريق مارين بحديقة المدفعية حيث كانت كارولين كريل تتبادل حديثاً مع زوجها في موضوع ذهاب انجيلا إلى المدرسة. إن هذا

يبدولى شيئاً عجيباً جداً. فالزوج والزوجة يتبادلان نقاشاً عنيفاً انتهى
بتهديد كارولين الواضح له، ورغم ذلك فبعد عشرين دقيقة فقط
تذهب إليه لتحديثه فى مسألة منزلية تافهة.

واستدار بوارو نحو ميرديث بليك وقال له:

- إنك تتحدث فى تقريريك عن كلمات سمعتها من كريل، فقد قال
مثلاً (ولقد استقر الأمر وسوف أهتم بأن تحزم حقيباتها) هل هذا صحيح؟
- نعم لقد كان شيئاً كذلك.

استدار بوارو نحو فيليب بليك وسأله: هل تتذكر نفس الشيء؟

- إننى لم أتذكره حتى قلت أنت - لكننى أتذكر الآن أن شيئاً قد
قيل عن حزم الحقيبة.

- قيل هذا الشيء بكلمات مستر كريل وليس مسز كريل.

- نعم اميلاس هو الذى قال تلك الكلمات، وكل ما سمعته من
كارولينا، هو قولها شيئاً عن أن ذلك قاس بالنسبة للفتاة. على أية حال
ما أهمية ذلك كله؟ إننا جميعاً نعرف أن انجلا كانت على وشك
الذهاب إلى المدرسة بعد يوم أو يومين.

- إنك لا ترى أهمية اعتراضى، لماذا يقوم اميلاس كريل نفسه
بحزم حقيبة الفتاة؟ إن ذلك متناه فى الغرابة. أقصد أنه كانت هناك
مسز كريل ومس ويليامز والخادمة، إن حزم الحقائب مهمة امرأة
وليس مهمة رجل.

- إن هذا ليس له علاقة بالجريمة.

- هل تعتقد ذلك؟ أما بالنسبة لى هانوا أول نقطة أثارت الأفكار فى

رأسي. تبعته نقطة أخرى: فإن مسز كريل وهي امرأة في موقف يائس انفطر قلبها والتي هددت زوجها منذ قليل بالقتل، والتي كانت تفكر إما في الانتحار أو في ارتكاب جريمة - تعرض على زوجها بطريقة لطيفة تماما أن تحضر له بيعة مثلية. قال ميرديث بليك ببطة:

- إن ذلك ليس شاذًا لو أنها كانت تفكر في ارتكاب جريمة. إن ذلك بالضبط ما كانت لتفعله: أن تتظاهر بالهدوء.

- هل تظن ذلك؟ لقد قررت أن تضع السم لزوجها، ولقد حصلت على السم فعلا. ثم أن زوجها يحتفظ بعدد من زجاجات البيرة في حديقة المدفعية. لو أنها على نوع من الذكاء لكنت بالتأكيد قد وضعت السم في إحدى تلك الزجاجات عندما لا يكون أحد هناك.

قال ميرديث بليك محتجا:

- لم يكن يمكنها أن تفعل ذلك، فإن شخصا آخر كان يمكنه أن يشرب تلك الزجاجات.

- نعم ويكون هذا الشخص هو اليزا جرير. هل تريد أن تقول أنها وقد قررت أن تقتل زوجها فإن كارولين كريل ستتردد في قتل الفتاة أيضا؟ ولكن لا تدعنا نقف عند هذه النقطة، فلنحدد أنفسنا بالحقائق. لقد قالت كارولين كريل أنها ستترسل لزوجها في حديقة المدفعية بيعة مثلية وهي تصعد إلى المنزل فتأخذ الزجاجات من الثلاجة وتهبط بها إليه. ثم تصبها له في كأس وتعطيها له، أمياس كريل يجرع الكأس مرة واحدة ويقول: (إن كل شيء يبدو سيء المذاق اليوم).

تصعد مسز كريل مرة أخرى إلى المنزل وتتناول غداءها، وقد بدا كل شيء فيها عاديا تماما، ولقد قيل في وصفها في ذلك الوقت أنها كانت

تبدو قلقة قليلا يشغل ذهننا شيء ما . إن ذلك لا يفيدنا كثيرا فإنه ليس هناك مقاييس لسلوك المجرم قبل ارتكاب جريمته، فهناك محرمون يكونون هادئين، وآخرون يكونون منفعلين. وبعد الغداء تذهب كارولين كريل إلى حديقة المدفعية، وهناك تكتشف موت زوجها وتقع ما هو متوقع منها . فهي تضبط مشاعرها، وترسل المربية لاستدعاء الطبيب بالتليفون. والآن نأتى إلى حقيقة لم يعرفها أحد منكم من قبل.

ونظر هيركيول بوارو إلى مس ويليامز يسألها إذا كان لا يراها اعتراض فقالت بوجه شاحب: إننى لم ألزمك لاحتفاظ الأمر سرا .

وفى هدوء ولكن بتأثير كبير أعاد بوارو على مسمع الحاضرين ما كانت المربية قد رآته يحدث فى حديقة المدفعية عندما اكتشفت كارولين أن زوجها قد مات.

تحركت اليزا ديتشام فى مقعدها وأخذت تحقق فى المربية الضئيلة وقالت بعدم تصديق: هل رأيتها تفعل ذلك فعلا؟

أما فيليب بليك فقد نهض من مقعده وقال صائحا:

- إن ذلك ينهى الأمر.. إن ذلك ينهيه إلى الأبد . نظر إليه هيركيول بوارو فى تعاطف وقال: ليس بالضرورة.

قالت انجلا وارن بحدة وقد بدا العداء فى نظراتها التى وجهتها إلى المربية: إننى لا أصدق ذلك.

أما ميرديث بليك فكان يعبث بشاويه وقد بدا الامتعاض على وجهه . كانت مس ويليامز الوحيدة التى لم يبدو عليها الانفعال . جلست منتصبة فى مقعدها وقد بدا بعض الاحمرار فى وجنتيها . قالت:
- هذا هو ما رأيته.

قال لها يوارو ببطله: ليس هناك أى دليل على ذلك سوى كلامك؟
- ليس هناك سوى كلامى، وأنا لست معتادة يا مستر يوارو على أن
يشك فى كلامى أحد.

أحنى هذا رأسه واستطرد يقول: إننى لا أشك فى كلمة واحدة يا
مس ويليامز، فإن ما رأيته هو ما حدث فعلا بالضبط - وبسبب ما
رأيته أدركت أن كارولين كريل لم تكن مذنبه. ولا يمكن أن تكون مذنبه.
ولأول مرة تحدث الشاب جون ريتارى وقد بدا على وجهه القلق
قال: يهمنى أن أعرف لماذا تقول ذلك يا مستر يوارو.

- بالتأكيد. سأخبرك. إن ما رأيته مس ويليامز هو: كارولين كريل
وهى تمسح بعناية بصمات أصابع عن زجاجة البيرة، وتضع بدلا منها
بصمات أصابع زوجها القتيل - وانتهوا إلى أنها كانت زجاجة البيرة.
لكن الكونين كان فى الكأس - وليس فى زجاجة البيرة. وأن رجال
الشرطة لم يجدوا أى آثار للكونين فى الزجاجة. ذلك لأن الكونين لم
يوضع فى الزجاجة مطلقا من قبل. وكارولين كريل لم تعرف ذلك. إنها
هى التى يفترض أن تكون قد وضعت السم لزوجها لم تكن تعرف أين
وضع له السم، ذلك لأنها ظنت أن السم كان فى الزجاجة.

قال ميرديث بليك معترضا: ولكن لماذا؟

- نعم لماذا؟ لماذا حاولت كارولين كريل باستماتة أن تؤكد نظرية
الانتحار؟ إن الإجابة لابد أن تكون بسيطة. لأنها كانت تعرف من الذى
وضع له السم وكانت راغبة فى أن تفعل أى شيء - وتتحمل أى شيء -
ولا تترك هذا الشخص موضع الشك. ولكن من يمكن أن يكون هذا
الشخص؟ هل تغطى على جريمة فيليب بليك أم ميرديث بليك، أم اليزا

جرير أم سيسيليا ويليامز؟ كلا، إن هناك شخصا واحدا فقط هي مستعدة لأن تحميه بأى وسيلة.

وتوقف بوارو لحظة ثم قال موجها كلامه إلى انجلا وارن:

- يا مس وارن إذا كنت قد أحضرت خطاب أختك معك فيأنتى أريدك أن تقرأيه على الجميع.

- كلا. ولكن يا مس وارن.....

- إننى أدرك جيدا ما تهدف إليه... إنك تقول أننى قتلت امياس كريل وأن أختى عرفت بذلك... إننى أنكر هذا الاتهام كلية.

- إن الخطاب.....

- إن الخطاب قصد به أن أقرأه أنا فقط.

نظر بوارو إلى حيث كان يجلس الشابان كارلا ليمارشانت وجون ريتارى بنظرة استطلاع، فقالت كارلا:

- أرجوك يا خالتي انجلا أن تفعلنى ما يطلبه إليك مستر بوارو:

قالت انجلا وارن بمرارة: أحقا يا كارلا! أليس لديك إحساس بالتعاطف؟ لقد كانت أمك التى. وهنا رن صوت كارلا واضحا قاسيا وهى تقول: نعم إنها أمى، ولهذا فلى الحق أن أسألك، إننى أتكلم نيابة عنها وأريد أن يقرأ ذلك الخطاب بصوت مرتفع.

وببطء أخرجت انجلا وارن الخطاب من حقيبتها وهى تقول بمرارة: كنت أتمنى لو لم أكن قد أطلعتك عليه مطلقا:

وابتعدت عن الجميع واقتربت من النافذة لتطل منها إلى الخارج، فى حين قرأ بوارو خطاب كارولين كريل الأخير. وحيث كانت الظلال

تتجمع في أركان الحجر فقد أحست كارلا ليمارشانت أن هناك شخصا آخر يتنفس وينصت معهم - لابد أنها كارولين كريل معهم في الحجر. كان هيركيول بوارو يقول:

- أظن أنكم ستفقون على أنه خطاب متميز، خطاب جميل، لكن فيه بالتأكيد ما يميزه، ذلك لأنه ينقصه شيء هام جدا، فكارولين كريل تضمنه احتجاجها بالبراءة.

قالت انجلا وارن قبل أن تدير رأسها: لم يكن هذا ضروريا.

- نعم يا مس وارن، لم يكن هذا ضروريا حقا؟ فإن كارولين كريل لم تكن في حاجة لأن تقول لأختها أنها بريئة - ذلك لأنها ظنت أن أختها كانت تعرف تلك الحقيقة بالفعل. أما ما كانت تهتم به كارولين فهي أن تهديء من روع أختها، وتؤكد لها أنها تتجنب اعترافا من انجلا، ومن ثم فهي تردد مرة بعد الأخرى (كل شيء على ما يرام يا حبيبتي، كل شيء على ما يرام تماما).

- ألا تستطيع أن تفهم، لقد كانت تريدني أن أكون سعيدة.

- نعم أرادتك أن تكوني سعيدة، وهذا واضح تماما. وهذا هو أول ما يشغل بالها. لقد كانت لها طفلة، لكنها لم تكن تفكر في تلك الطفلة قدر تفكيرها في أختها التي تشغل بالها أكثر من أي شيء آخر، ولابد أن تؤكد وتشجع تلك الأخت على أن تعيش حياتها وتتج. وكارولين تضمن خطابها فقرة على أكبر قدر من الأهمية وهي (لابد للمرء أن يوفي ديونه). إن هذه الفقرة تشرح كل ذلك. إنها تشير إلى موضوع العبء الذي حملته كارولين سنوات طويلة منذ أن قذفت - في نوبة غضب صيبياني - بثقالة ورق على أختها الطفلة فشوهتها مدى الحياة.

والآن على الأقل فقد حانت فرصتها لتوفى دينها . ولقد أراح كارولين ذلك كثيرا، فإن الوفاء بذلك الدين جعلها تشعر بالسلام والطمأنينة اللذين لم تكن تشعر بهما من قبل. وبسبب اعتقادها أنها كانت توفى ذلك الدين فإن عذاب المحاكمة والاثام لم يؤثر فيها . إن ذلك شيء غريب بالنسبة لقائلة أدينت – لكن كان لديها كل ما يجعلها سعيدة، وسوف أوضح لكم ذلك أكثر فيما بعد .

والآن بهذا التفسير تثبت كل الحقائق في مكانها فيما يختص ببردود فعل كارولين. ولنتنظر الآن إلى تسلسل الأحداث من وجهة نظرها، فإنه في الليلة السابقة حدث شيء ذكرها بحدة بفعلتها المميتة في طفولتها. لقد ألقت انجلا ببقالة ورق على امياس كريل . إن هذا كما تعرفون هو ما فعلته بنفسها منذ سنوات عديدة، ثم سمعت انجلا وهي تصيح أنها تود أن يموت امياس. ثم في صبيحة اليوم التالي تحضر كارولين إلى الشلاجة وتجيد انجلا تمبث بزجاجات البيرة. تذكروا كلمات مس ويليامز (لقد كانت انجلا هناك وقد بدا عليها الإحساس بالذنب). إن ما تعنيه مس ويليامز هو إحساس انجلا بالذنب لأنها هربت منها، فإن إحساس انجلا بالذنب بالنسبة لكارولين هو أنها ضببطت وهي تفعل شيئا محرما. تذكروا أيضا أنه في مناسبة أخرى واحدة على الأقل وضعت انجلا شيئا في شراب امياس كريل، إذن فهي فكرة ليست بعيدة عنها.

بعد ذلك أخذت كارولين الزجاجة التي أعطتها لها انجلا وذهبت إلى حديقة المدفعية، وهناك تصب منها في كأس تعطيه لامياس الذي يجرعها مرة واحدة، ثم يقول تلك الكلمات التي مغزاها (إن كل شيء له مذاق سيئ اليوم).

لم يكن لدى كارولين شك عندئذ، لكنها بعد الغداء تذهب إلى حديقة المدفعية لتجد زوجها ميتا - ولا يداخلها أى شك فى أنه قد مات مسموما . إنها لم تفعل ذلك فمن الذى فعلها؟

وتتداعى الأحداث كلها فى ذهنها فجأة، تهديدات انجلا، ووجه انجلا وقد ضبطوها تعيث بالبيرة، والذنب الذى بدا على وجهها عندئذ. ولكن لماذا فعلت الطفلة ذلك؟ ربما كان انتقاما من امياس لكنها لم تكن تقصد أن تقتله، فقط أن يصيبه بمرض. أم أنها فعلت ذلك لأجل خاطر كارولين؟ هل أدركت انجلا، وكرهت أن يهجر امياس أختها ففعلت ذلك. إن كارولين تتذكر عواطفها الشائنة وانفعالاتها الخطيرة وهى فى سن انجلا. ومن ثم فإن خاطرا واحدا ينبثق فى عقلها. كيف يمكنها أن تحمى انجلا؟ إن انجلا قد أمسكت بزجاجة البيرة، ومن ثم فإن أصابع انجلا لابد أن تكون فوقها. وبسرعة تمسح تلك الزجاجة وترجو أن تجعل كل شخص يعتقد أنه كان انتحارا. ذلك لو أنهم وجدوا بصمات أصابع امياس فقط على الزجاجة. ومن ثم فهى تحاول طبع بصمات أصابعه فوقها - متحركة بسرعة شديدة يائسة - خشية أن يأتى أحد.

لو أننا اعتقدنا أن هذا هو ما حدث حقيقة فإن كل شيء ينضبط مع هذا الافتراض. قلقها على انجلا طوال الوقت، وإصرارها على إبعادها عن المكان، وتأكيدها من أن انجلا لا تعرف بما يجرى، ثم خوفها من أن يستجوب رجال الشرطة انجلا، وأخيرا قلقها المسيطر لأن تبعد انجلا عن انجلترا قبل بدء المحاكمة - كل ذلك بسبب خوفها الدائم أن تنهار انجلا وتعترف.

الحقيقة

ويبطء استدارت انجلا وارن إليهم
وقد بدا الاحتقار والغضب في
عينيه وقالت:

- إنكم جميعا حمقى وعميان. ألا تعلمون أنني لو كنت قد فعلتها لاعترفت. لم أكن مطلقا لأترك كارولين تقاسى بسبب ما فعلته أنا مطلقا. قال بوارو: ولكنك عشت بزجاجة البيرة. أليس كذلك.
- أنا عشت بالبيرة؟ اسمع يا مستر ميرديث، في تقريرك عما حدث تحدثت عن أحداث سمعتها في حجرة العمل هذه، والتي تقع تحت حجرة نومك مباشرة، وذلك في صبيحة يوم الجريمة. هز ميرديث بيلك رأسه وقال: ولكنها كانت مجرد قطعة.
- وكيف عرفت أنها كانت قطعة؟
- أنا.. إنني لا أتذكر، ولكنها كانت قطعة. إنني واثق من ذلك، فالنافذة كانت مفتوحة بما يكفي لقطعة أن تدخل منها.
- ولكنها لم تكن مثبتة في هذا الوضع. ذلك لأن زجاجها يتحرك بحرية، وكان في الإمكان لأي إنسان أن يدخل ويخرج منها.

- نعم ولكنى أعلم أنها قطة.

- هل رأيت القطة بنفسك؟

- كلا إننى لم أرها.. ورغم ذلك فأنا أعرف.

- سوف أخبرك لماذا أنت واثق. لكنى فى نفس الوقت سأشرح لك نقطة أخرى. لقد كان يمكن لشخص ما أن يأتى إلى المنزل ذلك الصباح، ويدخل إلى معملك، ويأخذ شيئاً من أحد الرفوف، ويخرج به دون أن تراه.

والآن إذا كان هذا الشخص قد جاء من ضيعة أولبرى فإنه لن يكون فيليب بليك أو اليزا جرير أو امياس كريل أو كارولين كريل، ذلك لأننا نعلم ما كان هؤلاء الأربعة جميعاً يفعلونه. وبهذا تبقى انجلا وارن ومس ويليامز. لقد جاءت مس ويليامز إلى هنا، وقد التقيت أنت بها أثناء خروجك. ولقد أخبرتك عندئذ أنها كانت تبحث عن انجلا- ذلك أن انجلا كانت قد خرجت للسباحة مبكراً. لكن مس ويليامز لم ترها تسبح فى الماء، ولم تعثر عليها فوق الصخور. لقد كان فى إمكان انجلا فعلاً أن تسبح فى هذه الناحية - وهذا ما فعلته فى وقت متأخر من ذلك الصباح مع فيليب بليك. اقترح أنها سبحت إلى هنا، وأتت إلى المنزل ودخلت من خلال النافذة، وأخذت شيئاً من فوق الرف.

قالت انجلا وارن: إننى لم أفعل شيئاً من هذا القبيل أو على الأصح.

قاصمها بوارو بصيحة انتصار قائلاً:

- آه... ها أنت تتذكرين. ولقد أخبرتنى أنك لكى تثيرى غيظ امياس كريل سرقت ما سمته (أكل القطة ووضعتة فى.....

وهنا قال ميرديث بليك بحدة: مادة الترددين بالطبع.

- بالطبع وهذا ما جعلك واثقا في قرارة عقلك أنها قطعة تلك التي دخلت الحجرة. إن أنفك حساسة جدا فشملت رائحة خافتة سيئة - رائحة الترددين - ومن ثم فإن عقلك الباطن ربط بينها وبين القطعة. ذلك لأن الققط تحب الترددين، وتسمى وراءه في أى مكان. إن طعم الترددين سيئ، ومن شرحك له في اليوم السابق فكرت مس انجلا أن تضع بعضا منه في بيعة زوج أختها، وهو الذى كانت تعرف أنه يجرع كأس البيعة مرة واحدة.

قالت انجلا وارن متعجبة:

- هل كان ذلك اليوم حقا، إننى أتذكر تماما. نعم أتذكر أننى أخرجت البيعة من الثلاجة، وأن كارولين اقتربت منى في اللحظة التالية مباشرة، وكادت تضبطنى. إننى أتذكر ذلك بالطبع. لكنى لا أربط بين هذا وبين يوم الجريمة.

- بالطبع لا، فلم يكن فى عقلك رابط بين الاثنين. فإن الحادثين مختلفتين تماما بالنسبة لك. أحدهما مجرد حيلة لعبتها على زوج أختك، بينما الحدث الآخر مأساة انفجرت دون إنذار جعلت كل ماعداها من حوادث ينمحي من ذهنك. ولكن ما جعلنى اتنبه لهذه النقطة قولك (سرق كذا .. لأضعه فى شراب امياس) ولم تقولى أنك قد فعلت ذلك بالفعل.

- كلا لأننى لم أضعه مطلقا، ذلك لأن كارولين جاءت فى اللحظة المناسبة التى كنت أحاول فيها فتح الزجاجة.

وأطلقت انجلا وارن صرخة أردفت بعدها قائلة:
- إذن فكارولين قد ظنت - لقد ظنت أنني.... وتوقفت ثم نظرت
حولها ثم أردفت في صوتها الهادئ البارد: أظنكم جميعا تفكرون في
أننى التى فعلتها. إننى لم أقتل امياس كريل.
ليس عن طريق حيلة شريرة أو عن عمد، ولو أننى قتلتها ما بقيت
فى صمتى.

قالت مس ويليامز بحدة وهى تنظر إلى هيركيول بوارو:

- هذا صحيح يا عزيزتى، وليس سوى أحقق من يظن عكس ذلك.
- إننى لست أحقق ولا أظن ذلك، فإننى أعرف جيدا من قتل
امياس كريل. إن هناك خطرا من قبول الحقائق، وهى ليست كذلك -
فلنفحص الموقف الآن. هناك امرأتان وسوف نعرف بأن امياس كريل
كان ينوى أن يهجر زوجته من أجل المرأة الأخرى، ولكنى اقترح الآن أنه
لم يكن ينتوى مطلقا أن يفعل شيئا من هذا القبيل.

نعم لقد وقع تحت تأثير نساء أخريات وكانت هاته النساء تشغلن باله
أثناء ارتباطه الغرامى بهن، لكن هذه الرابطة كانت سرعان ما تنتهى،
وكانت هاته النساء اللاتى وقع فى غرامهن من نوع ذى خيرة خاصة.

- فلم يكن يتوقعن منه الكثير. لكن فى هذه المرة كانت الفتاة تتوقع
منه شيئا، ومطبقا لكلمات كارولين كريل كانت الفتاة مخلصمة ومتحمسة
تماما. ربما كانت من معدن صلب، ذات خبرة، لكنها عندما وقعت فى
الغرام سيطر هذا على عقلها، ولأنها كانت تحب امياس كريل بعاطفة
مشبوبة، فقد ظنت أنه يكن لها مثل هذه العاطفة، وظنت أن تلك

المواطن ستدوم مدى العمر، ودون أن تفكر في كونه متزوجاً .

ولكنكم ستقولون لماذا لم يكشف لها امياس كريل عن الحقيقة. وإجابتي هي: اللوحة. لقد كان يريد اللوحة بأى ثمن. إن هذا قد يبدو للبعض غير قابل للتصديق، ولكنه ممكن التصديق بالنسبة لمن يعرفون حقيقة الفنانين، وفي حالة قبولها لهذا التفسير من ناحية المبدأ فإن المحادثة بين امياس كريل وميرديث بليك يكون لها معنى الآن. فإن كريل المخرج - يريت على ظهر ميرديث بليك ويؤكد له بطريقة متفائلة أن كل شيء سيستقيم فى نهاية الأمر. كان كل شيء بالنسبة لامياس كريل - كما ترون - بسيطاً للغاية. فهو يرسم لوحة تعمله عن إتمامها امرأتان غيورتان - لكن أى منهما لن يسمح لها بإيقاف أفضل عمل فى حياته.

فإنه إذا أخبر اليزا بالحقيقة فلن تتم اللوحة. وربما أنه فى هورة عواطفه الأولى نحوها لم يتحدث عن هجرانه كارولين، بل ربما تركها تخمن ذلك لأنه لا يهتم بما تخمنه اليزا.

دعها تفكر كما تشاء، فى أى شيء يبقياها هادئة ليوم أو اثنين. وبعد ذلك يخبرها الحقيقة، وهى أن علاقتهما قد انتهت، ذلك أنه لم يكن من نوع الرجال ذوى الشكوك، لكنه حاول ألا يدخل فى متاعب مع اليزا منذ البداية، فأخبرها أى نوع من الرجال هو، ولكنها لم تهتم بتحذيره، وانطلقت مسرعة إلى قدرها. وبالنسبة لكريل فإن النساء رغبة جميلة وحيث كانت اليزا صغيرة السن فسوف تتغلب على تركه إياها.

كان هذا هو تفكير امياس كريل. أما زوجته فكانت فعلا الشخص الوحيد الذى يحبه. لكن أمرها لم يكن يقلقه كثيراً، فإنه لم يكن عليها سوى أن تحتل الموقف يوماً أو يومين آخرين، ولذلك فقد أغضبه جدا

تصريح اليزا بما قاله لها أمام كارولين، لكنه ظن في تفاؤل أن كل شيء سيكون على ما يرام. فإن كارولين ستغفر له كما فعلت من قبل، ولن يكون أمام اليزا إلا أن تبتلع تركه لها. هكذا كانت الأمور بسيطة بالنسبة لرجل مثل اميلاس كريل.

لكنى اعتقد أنه أصبح قلقا حقا في الليلة الأخيرة، قلق على كارولين، وليس على اليزا. وربما ذهب إلى حجرتها، لكنها رفضت أن تتحدث إليه. على أية حال فإنه بعد ليلة مزعجة انفرد بها بعد الإفطار وأخبرها بالحقيقة. وهى أنه تأثر باليزا أياما لكن كل شيء قد انتهى، وأنه طالما ينتهى من اللوحة فلن يرها مرة أخرى. وكانت إجابة كارولين على ذلك هى (أنت وسأؤك) وهى الفقرة التى جعلت اليزا على قدم المساواة مع الأخريات، ثم أضافت كارولين فى غضب (وسوف أقتلك يوما ما).

لقد كانت غاضبة ثائرة على قسوته مع الفتاة، وعندما رآها فيليب بليك فى البهو وسمعها تتمنم لنفسها قائلة (إن هذا لقاس جدا) فإنها عندئذ كانت تفكر فى اليزا. أما بالنسبة لكريل فإنه خرج من حجرة المكتبة ليجد اليزا مع فيليب بليك، ويأمرها أن تصعبه لاستكمال اللوحة. وكان ما لا يعرفه هو أن اليزا جرير كانت تجلس إلى جوار النافذة الخاصة بحجرة المكتبة مباشرة، وسمعت كل ما دار بينه وبين زوجته. وكان ما قالته عن تلك المحادثة غير صحيح، وتذكروا أنه ليس أمامنا سوى ما قالته هى.

تخيّلوا الصدمة التى شعرت بها عندما سمعت الحقيقة التى قالها اميلاس بطريقة قاسية.

تذكروا ما قاله لنا ميرديث بليك من أنه بعد ظهر اليوم السابق، وبينما كان ينتظر كارولين أن تخرج من حجرة العمل، فإنه كان يعطى ظهره للحجرة وهو يتحدث إلى اليزا جرير. هذا يعنى أنها كانت تواجهه، وأنها من موقفها كانت ترى بالضبط ما تفعله كارولين من فوق كتفه - وأنها كانت الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يفعل ذلك. رأت كارولين تأخذ السم. لم تقل شيئاً عندئذ، لكنها تذكرت ما رآته وهى جالسة إلى جوار حجرة المكتبة تسمع ما دار بين امياس كريل وزوجته.

وعندما خرج امياس كريل اعتذرت له بأنها تريد بلوفر، وذهبت إلى حجرة كارولين لتبحث عن ذلك السم. والنساء عادة يعرفن أين يخبئن الأشياء فوجدته، واهتمت بالألا تلمس بصمات أصابع كارولين أو تترك بصماتها هى، وذلك بأن امتصت السائل فى شفاطة قلم حبر، ثم خرجت إلى كريل، وذهبت معه إلى حديقة المدفعية، وعلى الفور صبت له بعض البيرة التى تجرعهما هو مرة واحدة بطريقته المعتادة.

فى ذلك الوقت كانت كارولين كريل فى أشد حالات الضيق، وعندما رأت اليزا آتية إلى داخل المنزل لتأخذ بلوفر فإنها تسلمت بسرعة إلى حديقة المدفعية، وقالت لزوجها أن ما يفعله شئ مخجل، شئ قاس لن تتحمل قسوته الفتاة. وحيث أن امياس قد ضايقه مقاطعتها اللوحة، سيهتم بحزم حقائب الفتاة وكانت كلماته لعمله فقد قال أن الأمر قد انتهى، وأنه حينما تنتهى (لقد استقر الأمر، وسوف أمرها بحزم حقائبها كما قلت لك).

وعندئذ سمع وقع خطوات فيليب وميرديث بليك، وخرجت كارولين - محرجة قليلا، لتهمس لهما بأنهما كانا يتحدثان فى أمر ذهاب

انجلا إلى المدرسة. ولكنه بسبب الرباط الطبيعي لأفكار فإن الرجلين اعتقدا أن ما سمعاه كان يشير إلى انجلا، وأن عبارة سوف أمرها بحزم حقائبها أصبحت (سوف أهتم بحزم حقائبها) وفي تلك اللحظة - قدمت اليزا والبلوفر في يدها.

ولقد اعتدت طبعاً، بلا شك على احتمال اتهام كارولين بارتكاب الجريمة، والعثور على زجاجة الكونين في حجريتها. لكن كارولين تساعدها على تنفيذ مخططها تماماً، فهي تحضر بنفسها بعض البيرة المثلجة وتصبها لزوجها. وعندما يجرعها امياس كريل مرة واحدة كمادته يبدو الامتعاض على وجهه ويقول (إن كل شيء له مذاق سيئ اليوم).

هل ترون أهمية هذه الملاحظة؟ إن كل شيء طعمه كريبه اليوم؟ إذن فقد كان هناك شيء آخر كريبه الطعم في ذلك اليوم أيضاً، ومازال طعم ذلك الشيء في فمه. ثم هناك نقطة أخرى. فإن فيليب بليك يتحدث عن تعثر خطوات كريل قليلاً، ويتساءل في نفسه عما إذا كان كريل قد شرب خمراً. لكن هذا التعثر الخفيف كان أول أثر الكونين عليه. وهذا معناه أن الكونين قد أعطى له في وقت سابق للوقت الذي أحضرت له فيه كارولين زجاجة البيرة المثلجة.

وهكذا جلست اليزا جرير على سور حديقة المدفعية محتفظة بامياس كريل معها حتى تبعده عن أن يشك في شيء حتى يصبح الوقت متأخراً جداً. ومن ثم تحدثت إليه بطريقة طبيعية مبهجة، وعندما رأت ميرديث بليك جالسا على مقعده على رتبة فوقهما لوحث له بيدها بطريقة طبيعية.

أما امياس كريل، وهو الرجل الذي كان يحتقر المرض ويأبى

الاعتراف به فقد استمر يرسم حتى تصلبت عضلاته، وأبطأ حديثه، ثم استلقى على المقعد الطويل يائسا، لكن ذهنه كان لا يزال يعمل. وعندما رن الجرس في المنزل معلنا عن طعام الغداء هبط ميرديث بليك إلى حديقة المدفعية. وأظن أنه في تلك اللحظة القصيرة - تركت اليزا مكانها وجرت نحو المنضدة، وسكبت القطرات القليلة الباقية من السم في كأس البيرة.

(ولقد تخلصت من شفاطة القلم الحبر بأن سحقتها على عتبة المنزل) ثم التقت بميرديث بليك عند الباب.

لم يستطع ميرديث في تلك اللحظة أن يرى ما في الحديقة بوضوح. فقد رأى صديقه ممددا بطريقته المعتادة على المقعد، وعيناه تحدقان بطريقة شريرة بعيدا عن اللوحة. ما الذي يمكن أن يكون امياس كريل قد عرفه أو خمنه؟ ما الذي يمكن عقله الواعي قد ألم به، فإننا لا نعرف وأشار هيركيول بوارو نحو لوحة اليزا جرير المعلقة على الحائط وأردف قائلا:

- كان لابد لي أن أعرف ما حدث عندما رأيت هذه الصورة لأول مرة، ذلك لأنها صورة ممتازة، إنها صورة فائتة رسمت بيدها ضحيتها. صورة فتاة ترهب حبيبها وهو يموت.



النتيجة

وسط ذلك الصمت الذى أعقب ما
قاله هيركيول بوارو، وكان صمتا
مخيفا، وكانت الشمس قد قاربت
المغيب، وبدأت الظلمة تحيط بالمكان
تحركت اليزا ديتشام ثم قالت:

- خذ الجميع إلى الخارج يا ميرديث، واتركنى مع مستر بوارو.
ظلت جالسة فى مقعدها دون حراك حتى أغلق الباب بعد آخرهم
ثم قالت: إنك ماهر جدا أليس كذلك؟ ما الذى تتوقع منى أن
أفعله؟ أن اعترف؟

هز هيركيول بوارو رأسه نفيا، ولم يتكلم.

- لأننى لن أفعل شيئا من هذا القبيل. لن أعترف بشيء، وما سوف
تقوله هنا، لن يكون له نتيجة لأن أحدا لن يشهد بما سمع.

- بالضبط. أريد أن أعرف ماذا ستفعل أنت.

- سأفعل كل ما فى وسعى لأحمل السلطات على أن تمنح عفوا
لكارولين كريل بعد موتها.

ضحكت اليزا ديتشام وقالت: إن ذلك شيء سخيف: أن تعطى عفوا عن شيء لم تفعله. ولكن ماذا عني؟

- سوف أشرح استنتاجاتي لمن يهمهم الأمر، فإذا ما قرروا إمكانية رفع قضية ضدك فقد يفعلون. سأقول لك رأيا آخر إنه ليس هناك أدلة كافية ضدك. هناك استنتاجات ولكنها ليست حقائق. وبالإضافة إلى ذلك فإنهم لن يكونوا حريصين على مقاضاة من كانت في مثل مركزك، إلا إذا كان لديهم شيء مقنع.

- إنني لن أهتم حتى لو وقفت في قفص الاتهام إن أذاع عن حياتي، فإن في ذلك ما يثير وقد أتمتع به.

- لكن زوجك لن يتمتع بهذا.

- هل تظن أنني أهتم في أقل القليل بما يشعر به زوجي؟

- كلا لا أفعل فإنني لا أظن أنك في حياتك كلها قد أهتممت بمشاعر أي شخص آخر، ولو أنك فعلت لكنت أسعد حالا.

- لماذا تشعر بالأسف نحوي؟

- لأنك يا بنيتي مازال ينقصك كثير مما يجب تعلمه.

- ماذا يجب علي أن اتعلمه.

- مشاعر الأشخاص الناضجين - الشفقة - التعاطف - الفهم، ذلك لأن كل ما تعرفينه هو الحب أو الكراهية.

- لقد رأيت كارولين تأخذ الكونين، فظننت أنها تقصد أن تقتل نفسها. إن ذلك كان يسهل الأمور كثيرا. لكنه في صباح اليوم التالي

عرفت الحقيقة، فقد قال لها إنه لا يهتم بن قليلا أو كثيرا، وأنه إذا كان قد فعل ذلك لفترة قصيرة فقد انتهى كل شى الآن، وأنه حالما تتم اللوحة فسوف يأمرنى بإعداد حقائبي، وأنه ليس هناك ما عليها القلق من أجله، أما هي فقد كانت حزينة من أجل... هل تفهم معنى ذلك بالنسبة لي؟ ولقد وجدت السم، وأعطيته له وجلست أرقبه وهو يموت. إننى لم أشعر بمثل تلك الاثارة والنشوة والقوة فى حياتى مثلما شعرت فى ذلك الوقت.. أخذت أرقبه وهو يموت.

لوحى بذراعيها واستطردت: لم أفهم أننى كنت أقتل نفسى عندئذ وليس هو. وبعد ذلك رأيتهما وهى تقع فى الفخ. لكن ذلك لم ينفعنى أيضا، ذلك لأننى لم أكن أستطيع إيذاءها لأنها لم تكذب تهتم - لقد هربت من ذلك كله، فقد كانت نصف الوقت حاضرة بجسدها فقط. لقد هربت هى وامياس إلى حيث لا أستطيع الوصول إليهما لكنهما لم يموتا، بل أنا التى مت.

نهضت اليزا ديتشام واتجهت صوب الباب، ورددت مرة أخرى (أنا التى مت).

وفى البهو مرت بشابين كانت حياتهما على وشك أن تبدأ. وفتح السائق باب السيارة، ودخلتها ليدي ديتشام، ووقف السائق ينتظر حتى تجلس ليضع سجادة من الفراء فوق ركبتيها.

عمر